

المملكة العربية السعودية
جامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
الدراسات العليا - شعبة الدعوة

٢١٨٥
٢٤
٢٤

الدعوة الإسلامية المعاصرة

في القرنين الأفريقيين

بحث مقدم لئيل الشهادة العالمية العالية «الدكتوراه»

إعداد

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عادة شؤون الكتب - قسم المخطوطات

تم التسجيل العام - COA
التاريخ / / ١٤

علي الشيخ أحمد أبو بكر

إشراف

فضيلة الدكتور عبد المنعم حسين

سنة ١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

((المقدمة))

المقدمة :
=====

الحمد لله القائل لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ((ادع السبي
سبيلا ريك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتي هي أحسن ان ريك هو
أظم بمن ضل عن سبيله وهو أظم بالمهتدين)) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه واتبع سبيله الى يوم الدين .

أما بعد :

لقد اخترت موضوع هذه الرسالة وهو بعنوان (الدعوة الاسلامية
المعاصرة في القرن الافريقي ، للدواعي والأسباب الاتية :

لماذا اخترت هذا الموضوع ؟

أولا : القرن الافريقي يمر في الوقت الحاضر بمرحلة تتسم بالخطورة البالغة
التعقيد والدقة ، وكأنها مرحلة تحول جذرية تنتقل من أوضاع الفها
المجتمع عبر عقود طويلة من الزمان الى أوضاع مغايرة ومختلفة
لا يدرك الساكنون هناك حقيقتها لأنها مجهولة المعالم ، ولأنها
خاضعة في معظم الأحيان الى مفاجات مذهلة ومثيرة .

فمنطقة القرن الافريقي تواجه حاليا مصاعب جديدة لم تكن في الحسبان
في السنوات القريفة الماضية ، تواجه غزوا شيعيا واسع النطاق
حقق انتصارات ساحقة في المنطقة ، وسجل مكاسب كبيرة .

فالشيعية خططت منذ أمد طويل لهذا الغزو ، ونفذته تنفيذا
مكحما ، وهي اليوم تعمل جاهدة بكل اصرار لتشد يد قبضتها

الحد يدبسة ، وتستخدم في تحقيق أغراضها ومقاصدها بكل الوسائل المتاحة والامكانات الهائلة بما فيها القوة العسكرية .

ولقد اكتوت المنطقة بنارها بصورة رهيبية ، ولا بد أن ندرك أن الشيوعية العالمية عند ما تصوب سهامها نحو أمة اسلامية ترهد من وراء الهجوم هدم العقيدة الاسلامية واحداث تغيرات أساسية في تلك الأمة وتشنر الفوضى والانحلال الخلقي ، وكل ما يمكن أن يدمر جانب الحياة كما قال " ستالين " أيام كان أول مسئول في روسيا : " نحن نبارك كل عمل يؤدي الى التمجيل بتحقيق الشيوعية الدولية ، ولهذا نبارك كل ضرب من ضروب التخريب الداخلي والفتن والمشاحنات والاضطرابات ، فهذه الأمور كلها تؤدي الى التمجيل بالثورة الدولية " (١) .

ولذلك تعتبر هجمات الشيوعية في القرن الافريقي أنها موجهة الى الاسلام ، وهذه الحرب تدور بين العقيدة الاسلامية والاحاد الماركسي وهي حرب جديدة على الاسلام ، ولها مخاطرها الجمة ، لأن الاحاد مدع بالوسائل الفكرية والوسائل العسكرية في آن واحد ، مما يضاعف مخاطره . وهناك حرب شرسة يخوضها التمشير النصواني في المنطقة ، ورغم أنها قد بمة الى حد ما ، ولكن نشاطه قد ازداد في السنوات الاخيرة وأصبح خطرا لا يخفى على أحد .

والتعاون بين الشيوعية والتمشير في القرن الافريقي وثيق جدا بدرجة أنهم ينفذون خططا مشتركة وأعمالا منسقة سواء في السياسة الدولية ، أو المستويات الأخرى ، وهذا التعاون المخيف بين النصرانية والشيوعية ، والذي

(١) بشير حمدي : العرب وروسيا ص ٢٩ ط عام ١٩٦٩ م .

ظهر أخيراً في القرن الأفريقي هو الذي يهدد الإسلام هناك ويقف دون نجاح الدعوة الإسلامية ، وهذا السبب هو الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع في المقام الأول لأعيش فترة معينة في مشاكل أمتي محاولاً أن أعرف حقيقة ما يجري هناك من مؤامرات دولية ومحلية .

ثانياً : إن منطقة القرن الأفريقي لم يقدم عنها بحوث تتناول قضايا الدعوة الإسلامية ومشاكلها فيما أعلم لذلك أردت أن أسجل بعض المسطور حول الدعوة الإسلامية في الوقت الحالي راجياً أن أكون قد وضعت بعض الخدوش المريضة حول هذا الموضوع .

المنهج الذي سرت عليه :

أولاً : مادام هذا البحث يدور حول قضايا معاصرة في منطقة لم يبدون كثير من أحداثها المعاصرة وحقائقها التاريخية بالطريقة المطلوبة فأنني ركزت على جمع الحقائق والمعلومات من البيئة ذاتها ومن المجتمع نفسه لاصل إلى حقيقة الأوضاع هناك ، لأن القضايا المعاصرة والأحداث الجارية يجب أن تنقل من أعينها الثقات الذين عاشوا في كنفها وعاصروا في آلامها وأحزانها ، وذاقوا علوها ومرها ، لأنهم أعرف الناس في تلك القضايا التي تحدث في ديارهم وتأثرهم سلباً وإيجاباً ، ولذلك لم أنقل من الكتب القليلة التي كتبت عن المنطقة إلا ما وجدت لها توثيقاً من أصعب القضايا الثقات ، لأن كثيراً من المعلومات الواردة في الكتب الحديثة غير صحيحة على الإطلاق ، بل هي بعيدة عن الواقع ونقل مثل هذه المعلومات ، أو الاعتماد على مثل هذه الكتب سيضيع كثيراً من الحقائق .

والسبب الذي اقتضى في ذلك ما وجدته من أعطاء في بعض الكتب بالإضافة إلى ما ذكرته :

١ - لقد أورد محمود شاكر صاحب مواطن الشعوب الاسلامية في كتابه
 " الصومال " ما يلي :

" يدين ٩٩٪ من سكان الصومال بالاسلام وجلهم على المسند هب
 الشافعي ويتكلمون لغة خاصة بهم هي اللغة الصومالية القريبة من اللغة
 الساحلية " وفي صفحة أخرى ورد ما يلي : " اليهود : ويميش بعضهم
 في الصومال الفرنسي بينما يعيش الباقي في الصومال ويخطون في الصناعة
 والتجارة والاعتكار شأنهم شأن بقية اليهود في كافة بقاع الأرض وهم معتقرون
 وخاصلة لدى الفئات الواعية اسلاميا " عندما يقرأ الطمون باعوال الصومال
 مثل هذه الجمل يدركون سريعا ان الشيخ محمود شاكر مع جهده المشكور
 في مواطن الشعوب قد كتب هذه الجمل بدون أن يكلف نفسه عنا البحث
 عن الحقيقة لأنه كلام لاصلة له بالواقع فنسبة ٩٩٪ غير حقيقة لأن ١ ٪
 نسبة كبيرة وأين هذه النسبة أهي نصرانية أم يهودية أو وثنية أم ماذا ؟
 ومع الاسف الشديد فإن هيئات كثيرة تستعمل هذه النسبة في مجلاتها
 وجرائدها ، وهذا تحريف عظيم يمهّد لجاليات لا وجود لها في الصومال
 آملين الاتعدت بعد الآن ، وكلمة جلهم شافعيون توهم أيضا وجود مذاهب
 أخرى وهذا لأساس له من الصحة ، كما ان اللغة الصومالية ليست قريبة
 من اللغة الساحلية في شكل النطق على الأقل .

أما وجود اليهود في الصومال : فهذا اغرب شئ فأنني عشت

في الصومال مدة طويلة وأنا صومالي ولم أرى يهوديا أبدا فيها ، ووجود اليهود في الصومال مجرد خيال أو قياس بما هو موجود في سوريا أو أي بلد آخر مما أوقع الشيخ على أخطاء مرتبة من الوجود الخيالي ومن بينها احتكار اليهود لتجارة الصومال وصناعتها ، ومثل هذه المعلومات تسمى إلى الحقائق علما بأن الصوماليين يعتقدون بأن الجنس اليهودي ناقص البشرية لأنهم استقوا هذا المفهوم من تفسير الآية الكريمة : ((ضربت عليهم الذلعة)) وعدم رويتهم أي يهودي في بلادهم ، والامثلة فسي تحريف السحقات كثيرة .

٢ - ما أورده الدكتور أحمد شلبي عن الامام أحمد بن ابراهيم الفازي بأنه ابن لأحمد القساوسة مع ان هذا الامام كان من الاسر الخازية المجاهدة العريقة ومثل هذه جنائية على التاريخ الاسلامي وتشويه للحقائق التاريخية .

وهذه الاسباب حرصت أن لا أنتل من المراجع الحديثة الا شيئا تأكدت لدى صحته من الثقات في المنطقة ، أما باقي المعلومات في الرسالة فاشنى كتبها بعد فحص وتدقيق ومراجعة أهل الخبرة والدراية في شئونها ولذلك تجنبت عن كل المعلومات التي لم أقف عليها أو لم اسمع من أصحابها حتى لا أقع في أخطاء وخاصة في المناطق التي لم أعش فيها فترة طويلة .

المصوبات :

- ١ - قلة المراجع الممكن الاعتماد عليها .
- ٢ - عدم توفر امكانيات تمكني من السفر الى المنطقة مرارا لتسجيل مزيد مسن الحقائق المنفية عن الأنظار .

خطة البحث :

يتكون البحث من : مدخل ، وثلاثة أبواب :

المدخل : دخول الاسلام في القرن الافريقي .

الباب الأول : عقبات في طريق الدعوة في الصومال - وفيه أربع فصول :

الفصل الأول : اثار الاستعمار في القرن الافريقي .

الفصل الثاني : القلبية وآثارها في المجتمع .

الفصل الثالث : اثر الانظمة الوطنية في مسيرة الدعوة .

الفصل الرابع : المادات والتقاليد الجاهلية .

الباب الثاني : ركائز الدعوة الاسلامية في الصومال - وفيه ثلاث فصول :

الفصل الأول : دعوة الملما* وجهادهم .

الفصل الثاني : رسالة المسجد في الصومال .

الفصل الثالث : مدارس تحفيظ القرآن .

الباب الثالث : أحوال المسلمين في الدول المجاورة - وفيه ثلاث فصول :

الفصل الأول : أوضاع المسلمين في الحبشة .

الفصل الثاني : أوضاع المسلمين في كينيا .

الفصل الثالث : أوضاع المسلمين في تنزانيا .

الخاتمة .

شكر وتقدير :
=====

وفي الختام أقدم شكري وتقديري الى أستاذي الجليل فضيلة الدكتور
عبد المنعم محمد حسنين - المشرف على الرسالة على ما بذله من جهد
كبير ، ووقت نفيس ، لاخراج هذه الرسالة .

وانني أقدر هذا الجهد ، وتلك النصائح الأبوية التي بذلها
لأجل تقويم الرسالة واخراجها الى حيز الوجود ، سائلا الله تعالى
أن يرزقه السعادة والصفية ، وأن يجعل الجنة مأواه .

كما أقدم شكري الى جميع الذين شاركوا في اعداد هذه الرسالة
فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(علي الشيخ أحمد)

المدخل

دخول الاسلام في القرن الافريقي

====

القرن الافريقي هو المكان الذي يلتقي عنده البحر الأحمر والمحيط الهندي ، لأنه يشبه الرأس حيث يشكل الهرم مثلثا عند هذا المكان ، وهو واقع في أراضي الصومال ، ولكن استتماله توسع حتى شمل كل الأراضي المجاورة القريبة له ، فدخل على سهل المجاز الحبشة وكينيا .

أما دخول الاسلام في هذه المنطقة فقديم لا شك فيه ، أما متى وكيف بالتحديد فهو مدار خلاف بين المؤرخين ، فمنهم من يقول ان الترابط بين القرن الافريقي وبين الجزيرة العربية منذ القدم هو عامل طبيعي لدخول الاسلام الى هذه المنطقة في وقت مبكر من عمر الاسلام . ونتيجة لهذه الصلات والترابط بين الجزيرة والصومال ، فقد دخل الاسلام في الصومال منذ عهد مبكر وفي أيامه الأولى ، ولهذا فقد أجمع المؤرخون في التاريخ الاسلامي على نقطتين مهمتين :

الأولى : ان الاسلام دخل في الصومال في القرنين الأول والثاني .

الثانية : ان الدين الاسلامي لم يصل الى الصوماليين عن طريق الجهاد ، وإنما وصل اليهم عن طريق الدعوة السلمية المباشرة بواسطة الدعاة .

وهناك آراء ثلاثة في دخول الاسلام .

أ - ان عهد الصومال بالاسلام كان عام ١٢٢ هجرية ، عندما هاجم سرت جماعة الزهدية الشيعية ، ويذكر أحد الكتب التاريخية العربية ، وكان

قد وجدته البرتغاليون في مدينة كلوا حين اجتاحتها " دون فرنسيسكو
 دالميسدا " في سنة ١٥٠٥ أن أول من هاجر كانوا جماعة من العرب
 نفوا لأنهم اتهموا تعاليم خارجة على الدين كان يقول بها شخص يدعى
 زهد من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقتل في عهد هشام بسن
 عهد الطك ، ويظهر أن هذه الجماعة عاشت في خوف عظيم من سكان
 البلاد الأصليين ، ولكنها نجحت بالتدريج في بسط مواطنها على طول
 الساحل حتى جاءت جماعة أخرى من المهاجرين قدوا من الشاطي
 الغربي للخليج الفارسي ، وأول مدينة أسسوها هي مدينة مقديشسو
 حتى منتصف القرن العاشر الميلادي ، وظلت أقوى مدينة على الساحل
 زها^(١) سبعين سنة^(٢) وفي المناطق الشمالية من الصومال " لجأت جماعات
 من المسلمين الى ساحل الصومال الشمالي وأقامت في بعض المدن مثل
 زيلع التي يقول عنها ابن حوقل : ان المسلمين والمسيحيين كانوا
 يمشون جنباً الى جنب في القرن الثالث الهجري^(٢) .

ب - ان الصومال عرف الاسلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما
 خرج جعفر بن أبي طالب وبعض الصحابة الأخرى الى الحبشة هجرة من
 أذى المشركين ، وذلك يكون الصومال قد عرف الاسلام منذ فجره
 الأول ، ووصل اليه قبل أن يصل الى المدينة المنورة .

(١) سيرتوماس : الدعوة الى الاسلام ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ط الثالثة
 مكتبة النهضة المصرية .

(٢) الشيخ عبد الرحمن النجار : الاسلام في الاسلام ص ٦١ ط ١٣٩٣ هـ .

ج - ان انتشار الاسلام في الصومال بصورة واسعة ومنظمة انما حدث فسي
القرن الأول الهجرى أيام عبد الطك بن مروان ، أحد خلفاء الدولة
الأموية حيث توجهت جيوشه الى هذه المنطقة من الشاطي^١ الافريقي
بقيادة الأمير موسى من بني جشم حيث دعا الى الاسلام وعظمهم قراءة
القرآن ، فدخلوا في دين الله أفواجا بدون حرب ولا قتال ، وأقاموا
من بعده مشرئين بالاسلام ، ينشرون دعوتهم في كل مكان ، وسكان
البلاد يفتحون للاسلام قلوبهم ، ويتغلغل الايمان في قلوبهم^(١) .

ويحل كثير من الكتاب الى الرأي القائل بدخول الاسلام في حياة الرسول صلى
الله عليه وسلم " ويرى هؤلاء ان الصحابة عبروا البحر الأحمر عن طريق باب الغندب
توجهين الى الحبشة ، ونا^٢ عليه فلا بد وأنهم مروا وأقاموا في الأراضي الصومالية
بحكم موقعها الجغرافي عند سفرهم من مكة المكرمة ، وعند عودتهم اليها ،
وأنه ليس من المعقول أن تمر الصحابة بأرض الصومال في الذهاب والمسيودة
دون أن يعرف أحد من أهل البلاد شيئاً عن الاسلام الذي يحمله هؤلاء^(٢)
المهاجرون " .

لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يأتوا الى هذه المنطقة
للتجارة أو للسياحة ، أو لأى عمل آخر من هذا القبيل ، ولكنهم قدموا ومهمهم
الدين الاسلامي الذي أودوا بسببه ، فلا بد أنهم قد تحدثوا مع أهل المنطقة .

وأما كان الرأي الصحيح ، فالاسلام انتشر في المناطق الساحلية لغرب
البحر الأحمر وأجزاء من المحيط الهندي في وقت مبكر جداً ، حيث ان هذه

(١) المصدر السابق ص ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٢ .

المنطقة الواسعة تحولت الى منطقة اسلامية بحتة ، لا توجد فيها أية ديانة أخرى ، وأصبح للمنطقة تاريخ ساطع واضح المعالم ، لا تشوبه شوائب الوثنيات المنتشرة في القارة الافريقية .

كما أصبح لها كيان معروف اتسم بالفعالية والجهاد المستمر ضد الوثنيين والنصارى في الحبشة في العهد القديم للاسلام ، فكانت للاسلام في هذه المنطقة صولة وجولة في يوم من الأيام ، بقيادة امارات وسلطنات اسلامية لها ارتباطات وثيقة بالدولة الاسلامية في عهدها المختلفة ، ومن هذه الامارات الاسلامية في القرن الافريقي : امارة زليح ، وامارة هرر ، وسلطة عدل ، وامارة مقديشو . . . الى غير ذلك من الامارات المتعاقبة في مختلف المصور .

" ولما ضعف المباسيون وضعف سلطانهم على المناطق البعيدة ، انحصر نفوذهم عن الصومال ، وبدأت تتحكم في البلاد امارات محلية تحكمتها شيوخ القبائل وحكام لا يتجاوز سلطانهم على المدن الكبيرة وما يجاورها " (١)

وكان هؤلاء الحكام يقومون بتدبير شئون البلاد على الأساس الاسلامي ويصلحون الخلافات والمنازعات التي كانت تحدث بين القبائل الرحل ، وكانوا يتعاونون مع رؤساء القبائل والملما ، ويستخدمون الوعاظ والخطباء في اصلاح الرعية ، ومن الأمراء المشهورين : السيد عمر الأصمعي في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، والأمير حق الدين حفيده ، وأخوه الأمير سعد الدين والمجاهد الكبير أحمد بن ابراهيم الذي جاهد في الله حتى هزم الدولة النصرانية في الحبشة قبل أربعة قرون " (٢) .

(١) محمود شاكر : الصومال ص ٩ ط الأولى ، مكتبة دار الفتح بدشق .

(٢) راجع كشف الدول عن تاريخ الصومال ص ٢٥ ط الأولى ، لمؤلفه

ومما يؤكد لنا اسلامية منطقة الشرق الافريقي بصفة عامة ، والقرن الافريقي بصفة خاصة ، وكيف ان هذه البلاد ازدهرت وتطورت ، ما يؤكد لنا ذلك رحلة ابن بطوطة حيث يقول في وصفه لمدينة زيلع وأهلها : " هي مدينة البرابرة وهم طائفة من السودان ، شافعية المذهب ، ولادهم صحرا " مسيرة شهرين ، أولها زيلع ، وآخرها مقديشو ، وهي مدينة كبيرة لها سوق عظيمة " . . . ويقول بعد وصوله الى مقديشو : " وصلنا مقديشو ، وهي مدينة متناهية في الكبر ، وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها العثين في كل يوم ، ولهم أغنام كثيرة ، وهم تجار أقوياء ، وبها تصنع الثياب النسوة اليها التي لا نظير لها ، ومنها تحمل الى ديار مصر وغيرها " (١) .

يهدد أن انتشر الاسلام في القرن الافريقي ، وامتد الى عمق المناطق البعيدة عن السواحل ، وتحول كثير من القبائل الوثنية الى الاسلام ، بدأت العواجبة الساخنة بين الأمة الاسلامية الفتية ، وبين النصارى الذين يسكنون في جبال الحبشة ، وكانت الحروب لا تنقطع الا نادرا ، وكانت سجالا .

ولكن حرب العقيدة بين الطرفين قد وصلت الى ذروتها في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، عندما تولى قيادة المسلمين الامام الكبير ، والمجاهد العظيم ، أحمد بن ابراهيم ، الذي سماه المؤرخون : قاهر الصليبيين في شرق افريقيا ، وتولى الامامة عام ١٥٢٢ الميلادي ، وتم تعيينه لهذا المنصب عن طريق الشورى (٢) . فالفترة التي ولد فيها الامام أحمد كانت فترة صعبة على المسلمين في القرن الافريقي ، اضطرت الأوضاع ، واختلت الموازين ، وتفككت البلاد بسبب الصراعات بين السلاطين والأمراء ، حتى أصبح الناس غير آمنين

(١) رحلة ابن بطوطة ع ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) معلم جامع عمر : تاريخ الصومال ع ١٩١ ط الأولى .

من هجمات قطاع الطرق المنتشرين في البلاد ، نشأ الامام في هذه الظروف وهي ظروف قتالية ، اشتد هجوم الحبشة على المسلمين ، وانهمزم المسلمون أحيانا كثيرة .

" تولى البلاد السلطان محمد بن آزار بن أبي بكر بن سعد الدين ثلاثين سنة من القرن التاسع ، وخرج السلطان محمد الى الجهاد في بلاد الحبشة ، والتقى المسلمون والكفرة ، فكانت الدائرة للكفرة على المسلمين ، وقتلوا من المسلمين ناسا كثيرين ، ورجع الى البلاد ، وقتل السلطان ، قتله صهره محمد بن أبي بكر ، وطك البلاد بعمده سنة وقتل ، وطك البلاد بعمده ابراهيم بن أحمد ، وقتل - حتى تولى الحكم الجراد أبون ، الذي تسمى الامام أحمد بن ابراهيم تحت ، وكان فارسا من فرسان جراد أبون ، وكان ذا عقل ورأى الهاما من الله للأمر الذي أراد الله على يديه ، وكان جراد أبون يحبه حبا شديدا لما رأى من شجاعته وبراعته " (١) .

ومعد أن تولى القيادة قام باصلاحات وتنظيمات واسعة النطاق في أمور البلاد ، كما نظم طلائع من الجيش ضد الأحماس النصارى ، وكان يتولى دافعا قيادة تلك الطلائع ، ولم يرض أن يتأخر عن أية غزوة الى الحبشة ، فشن الفسارات والهجمات على الصليبيين ، فتوالت هزائمهم " حتى دخل المسلمون على مدينة اكسوم عاصمة ملك الحبشة وقتلوه ، وفسر ملك الحبشة تأنها حتى مات في الأوغال " (٢) .

(١) شهاب الدين الشهير بمصر فقيهه : فتوح الحبشة ص ٦ ، ط

١٩٧٤ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) التوسع الاستعماري ص ١٣ ط الأولى ، وزارة الشؤون الصومالية .

ورغم الأحداث الملاحقة في القرن الأفريقي ، والغزو البرتغالي الذي غير كثيرا مجرى الأمور ، إلا أن الاسلام حقق انتصارات واسعة النطاق ، ومكاسب كبيرة جدا ، ولم تتوقف مسيرة الاسلام وانتشاره بين الوثنيين في المنطقة منذ ذلك التاريخ ، بل استمرت حتى تحول معظم السكان في الحبشة وفي أجزاء كبيرة من كينيا الى الاسلام ، بواسطة الدعوة السلمية في أغلب الأحيان ، لأن الهجرات المتدفقة من الجزيرة العربية لم تتوقف ، بل تواصلت حتى أصبحت تشكل نسبة كبيرة من السكان ، وعملاً بالمهاجرين لمحبوا دورا كبيرا في نشاط الدعوة الاسلامية ، وتأصيل المفاهيم الاسلامية في المنطقة .

ورغم أن الاسلام قد فقد قوته وسيطرته في المنطقة كقوة مؤثرة في مجريات الأحداث بمواطن دولية في معظمها ، إلا أنه ما زال قوة حقيقية تشمل الغالبية الكبيرة من سكان القرن الأفريقي ، الذين يعتقدون الاسلام ، ويشكلون رصيدا عظيما لا يستهان به .

ولأن نجاح الفكر الأوروبي في إبعاد المسلمين عن السلطة ، ولأن سلتمت مقاليد الأمور لأيد لا علاقة لها بالاسلام ، وآمال المسلمين ، فانهم لم ينجحوا في اخراج هذه الشعوب من الاسلام ، وما زال الاسلام يحقق بعض الشئ في القبائل الباقية في الوثنية في عرق الأراضي الحبشية وغيرها رغم المراقيل والمقبات التي وضمت أمامه ، لوقفه عن الحركة ((وَكُفِّرُونَ وَكُفِّرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِهِنَّ)) (١) ، والمدو

(١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ - آية : ٣٠ .

يملن حرب الاسلام)) قَدْ بَدَأَ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، وَمَا تَخْفَى
صُدُّوهُمْ أَكْثَرُ (١) .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ - آيَةٌ : ١١٨ .

المسأب الأول

((طبقات في طريق الدعوة في الصومال))

* * تمهيد :

* * الفصل الأول :

. الاستعمار وآثاره في القرن الأفريقي .

* * الفصل الثاني :

. القبلية وأثرها في المجتمع .

* * الفصل الثالث :

. آثار الأنظمة الوطنية في سيرة الدعوة .

* * الفصل الرابع :

. ضرر المادات الجامعية للمجتمع .

تمهيد :

الدعوة الاسلامية في جميع العصور تواجه الابتلاء والامتحان من قبل الأعداء ، ومن أهلها ، وتواجه العقبات تلوح العقبات في سيرتها الطويلة عبر القرون الزمنية ، وعبر الأجيال البشرية ، فهذه سنة الله في أمر الدعوة الاسلامية ، فالذين يحملونها يجدون الصعوبات دائما في طريقهم ، ويجدون الأشواك المنتشرة في مجال علمهم ، ابتلاء من الله ، وامتحانا لعقدتهم على حبلها ، ومدى صدقهم على تحمل الأمانة الثقيلة التي حطوها ، ويقول الله تبارك وتعالى في شأن الابتلاء : ((أَلَمْ نَكْتُبْ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ مِنَ اللَّهِ آيَاتٌ تُلَاقِيَنَّكَ فَتَقُولُ فِيهَا طُغْيَانًا)) (١) .

والفتن لأصحاب الدعوة ضرورة من ضرورات الدعوة ، ليهلخوا الدرجات العليا ، ويفوزوا برضاء الله تعالى ، أو يمطيهم الله النصر في الدنيا والفوز في الآخرة ، فالله عز وجل يقول : ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ سَتَنْبُؤُهُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) (٢) .

والعقبات التي أريد أن أشير إليها في الفصول القادمة هي جزء من الابتلاء الذي أصاب المسلمين في القرن الإفريقي ، كما أصاب كثيرا من الشعوب الاسلامية الأخرى .

(١) سُورَةُ الْمُنْكَوٰتِ - آيَةٌ : ١ - ٣ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - آيَةٌ : ٢١٤ .

فالمعقات تختلف من حيث أنواعها ومصادرها ، فبعضها ناتج عن
الغزو الاستعماري الذي اجتاحت المنطقة في القرن الماضي عسكريا ، وبعضها
ناتج عن التيارات الفكرية الوافدة الى هذه الديار ، والبعض الآخر نتيجة
انحرافات عن المفهوم الأصلي لهذا الدين ، تراكت حتى أصبحت جزءا من
الدين لدى الجهلاء من المسلمين .

ومع ذلك فانها تؤدي الى معنى واحد ، وهو البعد عن الاسلام
في الحياة بشتى جوانبها ، وهذا أمر له خطورته بالنسبة للمسلمين ، لأن
استمرار هذا الاتجاه يعني أنهم سيفقدون شخصيتهم الاسلامية في المستقبل .

المجلد الأول

((آثار الاستعمار في القرن الأفريقي))

=====

آثار الاستعمار في القرن الافريقي

—————

لمس الاستعمار الأوروبي الحديث أول غزو للقرن الافريقي ، بسبل ان أوروبا غزت الديار الاسلامية في تلك المنطقة منذ عهد قديم :

ففي القرن السادس عشر اشتد ساعد الاسلام ، وبرز المسلمون كقوة كبيرة ومؤثرة ، ودارت الممارك بين المسلمين وبين النصارى ، كان النصر حليفا للقوات الاسلامية ، واستطاع المسلمون فتح الحبشة بأكملها ، ودخل أهلها في دين الله أفواجا ، كما يقول المؤرخ كونزلمان : " انه لم يبق على المسيحية أكثر من العشر ، وهوذا هم الذين فضلوا دفع الجزية " (١) .

بمد هذه التطورات السريعة التي جعلت المطكة النصرانية في الحبشة في حكم المنتهي ، طلب الامبراطور لينا دنجل قبل وفاته مساعدة من أوروبا لطرد المسلمين من بلاده ، وحماية الديانة النصرانية من الانهيار الذي أصابها من قبل المسلمين " فوصلت الحطة البرتغالية الى ميناء مصروع عام ١٥٤١ م ، وكان لوصولها صدى كبير في البلاد ، وسرعان ما انضم اليهم بعض الأمراء القدامى وأتباعهم ، وكانت الحطة تتكون من ٤٥٠ من المحاربين المسلحين بالأسلحة والمدفعية الحديثة ، وعند ما نشبت المعركة مع هؤلاء التشكيلات الجديدة التي تستعمل من الأسلحة ما لم تعهد الحبشة من قبل ، لحقت الهزيمة بقوات الامام أحمد بن ابراهيم قائد المجاهدين في تلك الحقبة عام ١٥٤٣ م ، وأصيب الامام بجراح ، وفي معركة لاحقة بمد بضعة أيام لحقت الهزيمة مرة أخرى ، وتمكن بأعجوبة من الافلات من الأسر ، ولقد كان

(١) فتحي غيث : الاسلام والحبشة عبر التاريخ ص ١٥٤ ط .

لهاتين الهزيمتين أسوأ الأثر على الامام ، وبعد أن حصل على معونة من الوالي العثماني المقيم في زبيد ، قام الامام بالهجوم على القوات البرتغالية والحبشية وانتصر عليها وقبض على القائد البرتغالي كريستوفر دي جاما وقتله ، وفي هذه المعركة فقد البرتغاليون نصف قوتهم وكمية كبيرة من الأسلحة والذخائر . (١)

ولما كان هذا فضلا من فصول الحروب الصليبية لم تتوقف حملات أوروبا عند هذا الحد ، بل سارعت البرتغال بإرسال جيش آخر بقيادة قائد اسمه " لوب سواريز " ، وتمكن هؤلاء من تدمير المدن الساحلية مثل بربرة ، وزيلج ، لأنهم انتهزوا فرصة غياب الجيش والامام في أقصى بلاد الحبشة وانهزم البرتغاليون في معارك السواحل أيضا ، ولكن كانت البرتغال ترسل جيوشا تلوجيوش لنصرة الأحباش ، واخراج المسلمين من بلاد الحبشة " ودارت معارك طاحنة بين المسلمين والنصارى أدت في النهاية الى قتل الامام المجاهد وهزيمة جيشه عام ١٥٤٣ م " . (٢)

هكذا كان التدخل الأوروبي في القرنين الاخيرين كحركة صليبية انتقامية وكانت الامبراطورية الحبشية بمثابة رأس الحربة لهذه الحركة . وبهذه الطريقة هزمت القوات الاسلامية وسقطت بعض الامارات الاسلامية في أيدي النصارى بعد موت الامام .

ومما تجب الاشارة هنا أن الحملة التي قادها المسلمون ضد الدولة النصرانية ، والفتوحات التي تحققت على أيديهم لم تذهب سدى وعمدرا ، وإنما تركت الاسلام يضيء في قلوب عدد كبير من النصارى والوثنيين في بلاد الحبشة ،

(١) المصدر السابق ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٦ .

وخلّفت وراءها شمها سلما ، وكسرت التحجر الكهنوتي الذي حجب الناس عن رؤية الحق والحياة السليمة في البلاد منذ اليهود القديمة .

ثم ان الهزيمة التي أصابت جيش المسلمين لم تمكن النصارى من بسط نفوذهم على الامارات الاسلامية كلها ، بل استطاع المسلمون تنصيب أمير جديد ، وهو " نوري بن محمد " أحد المجاهدين مع الامام " وتولى مقاليد البلاد ، واهتم بتأمين حدود بلاد المسلمين ، واستأنف الجهاد ضد النصارى ، وانتصر عليهم في كثير من المعارك حتى سمي صاحب الفتح الثاني " .^(١)

هكذا كانت البداية السيئة لفتوح أوروبا ، وعندما لم تكن أوروبا بمعدة عن شؤون الحبشة ، فهي كانت معها في حربها وسلمها ، لأنها تنظر الى الحبشة كأنها جزء من البلاد الأوروبية ، لكونها نصرانية تحارب المسلمين ، وتحافظ على عقيدة الثالوث .

وهذه المساعدات السخية ، والدعم السياسي المستمر ، استطاعت النصرانية البقاء ، وأصبحت القوة الاسلامية تضعف مع ضعف المسلمين في العالم ، ووقع خلاف بين الأمراء " وهكذا تسابقت الأحداث وتتابعت حتى آل الأمر الى الأمير محمد بن علي بن عبد الشكور ، وكان معروفًا بالمنصف والظلم ، وفي عهده تقلص نفوذ امارة هرر ، حتى أصبح يمثل بدينونة هرر وحدها " .^(٢)

أما باقي المناطق المندرجة تحت امارة هرر عادة ، فقد اقتطعت منها الحبشة أو بعض قبايل جالا الوثنية آنذاك ، التي تسكن الجبال الواقعة

(١) جامع عمر : تاريخ الصومال ص ١٩٤ ط الأولى .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

غرب مدينة هرر ، وفي هذه الأثناء أحالت الدولة العثمانية التي كانت هذه المناطق تخضع لها اسما ، أحالت هذه الدولة مواني الصومال التي المصريين مقابل أن يدفع المصريون سنويا خمسة عشر ألف ليرة عثمانية للدولة العثمانية .

وفي شهر أكتوبر عام ١٨٧٥ م خرجت حطة مصرية من زيلع بقيادة رؤوف باشا لفتح مدينة هرر من الأمير محمد بن عبد الشكور ، واستمر المصريون كثيرا من المناطق التي أخذتها قبائل جبالا الحبشية ، واستمر الحكم المصري في هرر ، وفي شمال الصومال لمدة تزيد عن عشر سنوات تقريبا .

وكان الاستثمار الأوربي قد تغلغل في البلاد الاسلامية ، وبدأ يقطع أقساما كبيرة من الدولة العثمانية ، وبثوا نفوذهم في مناطق كثيرة من العالم الاسلامي ، وفي هذه الفترة الحرجة " فرضت قوات الاحتلال البريطانية ضغوطها على مصر بالانسحاب عن الصومال ، وتسليم السلطة الى الانجليز الذين يمتنون أنفسهم الوريث الشرعي للمصريين بحجة احتلالهم مصر ذاتها فأصدر مجلس النظار المصري أمرا باخلاء قواتهم من هرر وطحقاتها وتسليمها الى أقرب وارث لها وهو الانجليز ، " وكان هذا المجلس برئاسة نهار باشا رئيس الوزارة المصرية ، وعمو أرمني الأصل ، والأرمن ليسوا بمسلمين ، ولكن علي باشا حاكم هرر العام أخبره بأن عطية الاخلاء صعبة جدا بسبب اندماج الجنود والموظفين المصريين بأهالي الاقليم ، وخاصة عن طريقي الزواج " (١) .

(١) محمود شاكر : الصومال ص ١٦ ط الأولى .

" كما أن الفوضى ستمتد البلاد بعد اخلائها ، لذلك فان التجار والموظفين والجنود والسكان سيرفضون هذه العطية " ، هذه النظرة التي أبداهـا الحاكم المصرى المسلم في مصر تدل على أنه كان واعيا ومدركا تمام الادراك لما يتعرض له المسلمون من مؤامرات دولية ، مما جعله يختار طريقا صعبا حتى وقف ضد القرار الظالم الصادر من حكومته باعلاء من الحكومة البريطانية ، وحاول الحاكم العام أن يقنع حكومته بطريقة لبقة سهلة خوفا من ضياع منطقة اسلامية ، ولكن نهار باشا أصر على الاخلاء وأرسل ذلك الى حاكم زيلع أبي بكر باشا ، وعين رضوان باشا حاكما عاما على مصر بدل علي باشا ، وأوكل اليه القيام بعطية الاخلاء ، وجمعه تحت تصرف المهجر منترا الانجليزى ، كما أنه فوض المهجر منترا عندها بوقف صرف مرتب أى موظف أو ضابط يتأخر في عطية الاخلاء .

وقبل أن تخرج القوات المصرية من مصر ، وبعد اعلان الانسحاب منها ، أرسل بعض الأقطاب النصارى في الجيش المصرى رسالة سرية الى ملك الحبشة يخبرونه فيها بأن المصريين سيخرجون من مصر عما قريب ونصحه فيها بالافارة عليها قبل أن تدخلها قوة أخرى " (١) .

ليس من الغريب في شيء أن يخشى الأقطاب أسرار دولتهم وأن يقدوا نصيحة مهمة لملك الحبشة بالاستيلاء على مصر ، لأنهم يدبسون دائما وأبدا للقوة النصرانية ، وأن ولا هم لبلدانهم ليس الا ولا سطحيـا لا وزن له .

(١) المصدر نفسه ص ١٧ .

وفي شهر فبراير عام ١٨٨٥ م قام رضوان باشا حاكم مصر الصام الجديد بتسليم ولاية مصر وطحقاتها الى الأمير عبد الله بن علي عبد الشكور الذي كان أميرا على مصر قبل دخول المصريين فيها تحت تصرف القنصل البريطاني ، وذهب في طريقه الى مصر ، فقد رفض الجنود المصريون اخلاء مصر فعلا ، وشكلوا مع الأهالي كتلة وطنية لمعارضة الأجانب . وقابل رضوان باشا عند مروره في عدن الوالي الانجليزي الذي كان في عدن بشأن مستقبل السكان الصوماليين في مصر وطحقاتها ، والتجار الأجانب ولما علم الصوماليون بذلك قدموا احتجاجا ضد تلك المفاوضات ، وأعلن الأمير عبد الله رسميا بأنه لا يعترف بأى اتفاقية عقدها المصريون مع الانجليز بشأن بلاد الصومال ، ولا يقبل أى تدخل آخر .

وكانت بريطانيا تعتبر مصر وطحقاتها جزءا من محمياتها كدولة احتلت وورثت مصالحها ، ولذلك طلبت من الأمير عبد الله أن يرفع رايته بريطانيا في مصر وطحقاتها ، فرفض الأمير ذلك رفضا قاطعا ، ولما علمت بريطانيا اصرار الأمير على موقفه ، وتأيد السكان له على ذلك أرادت أن تنتقم من الشعب الصومالي المسلم الذي رفض طلباتها الخذلة ، فوقفت في جانب الحبشة وحرضتها على الاستيلاء على مصر ، وعرضت لبريطانيا مساعداتها على الحبشة في سبيل تحقيق أحلام استعمارية صليبية ، ولم يمض وقت طويل حتى جهزت الامبراطورية الحبشية جيشا قويا وعظيما يسانده البريطانيون بكل المساندة بغزو مصر ونواحيها .

والهدف الخطير وراء تأييد بريطانيا للحبشة هو اذلال المسلمين وتفتيت دولتهم ، وتسليم المنطقة الى القلة النصرانية في الحبشة .

ورغم أن الأعباش والبريطانيين تغلبوا على القوات الإسلامية وسيطروا على مدينة حمير فعلا ، لكنهم لم يتمكنوا من السيطرة الفعلية على المنطقة بصورة واقعية لشدة المقاومة الإسلامية التي واجهوها ، وشدة الحماس الذي واجهه المسلمون التحالف النصراني بقيادة البريطانيين والسبب الثاني الذي جعل الأعمالي يقاومون ويدافعون عن حقوقهم بصلابته وثبات ، وجود مجموعات كبيرة من اخوانهم المصريين ، وخاصة الجنود الذين رفضوا الانقياد للأوامر التي جاءت من القاهرة بإشارة من الحكومة البريطانية .

وهذا الانسجام الذي أبداه الجنود المصريون ، وتلك الشاعرية القوية ، والأحاسيس الفياضة ، أكدت من جديد قوة التلاحم والتمسك بين المسلمين ، وهدنت بصورة واضحة أن الأمة الإسلامية رغم تباين جنسها ولونها ، وتباعد أقطارها ، رغم ذلك هي أمة واحدة ، لأن الجنود المصريين اختاروا طريقا صعبا للغاية ، ليدافعوا عن الإسلام ، ويحموا اخوانهم من الظلم الواقع عليهم من قبل المستعمرين .

ولم ينس المسلمون في مدينة حمير والمدن الأخرى تلك المواقف الجريئة والشجاعة الفائقة ، وما زال إلى يومنا هذا حديث الشعب بين الجيل الحاضر .

ومع الجهد الجبار اشتدت الوطأة على المسلمين حتى هزم المسلمون وسقطت حمير في أيدي أعداء الإسلام .

وهكذا سقطت مدينة هرر المتهددة والمهريقة في الاسلام ، والتي كانت عاصمة الامارات في عدة قرون متتالية ، تحدد من تاريخ دخول الاسلام في هذا البلد حتى عام ١٨٨٧ م ، سقطت العاصمة الاسلامية في أيدي الأحماس الهجيين ، فمطوا فيها ما تشمئز منه النفوس ، وتشمس منه الأبدان ، فنهبوا الأموال ، وصادروا التجار ، وأغلقوا المدارس ومراكز العلم ، وهدموا كثيراً من المساجد الكبيرة ، وأحرقوا المصاحف ، ومنموا اقامة الشعائر الاسلامية ، واعتقلوا آفا من العلماء والزعماء ، وقتلوا العشرات منهم بطريقة غبيثة ، وأخذوا أوقاف المساجد ، وتمرض الناس لأنواع من المذاب كان من بينها اطفاء النيران في الأجساد ، وتمريض الناس للشمس اللاهبة في حالات جوع وظم شديد ، وقد وضعت على مقربة منهم براميل من الماء والطعام ليكمل التعذيب بهذه الصورة .

ومن الطرق القبيحة في تعذيب الأشخاص : دق خصيات الرجال بأعقاب البنادق ، وقذف الأشخاص بين أسلاك شائكة تمزق أجسادهم ، ويتلذذون بهذه المناظر المؤلمة ، واستخدمت كل وسائل العنف والتعذيب في الاستجواب ، واستمرت هذه الأعمال سبعة أشهر كاملة ، قتل فيها من قتل ، وهلك من هلك بسبب الجوع والبرد " (١) .

ان ما فعلته الأحماس في مدينة هرر ، والأجزاء الأخرى الصومالية التي احتلوها فيما بعد ليعجز العقل البشري عن تصورهما ، ويوجز جون بوهولزر تاريخ هرر وما دار بأرضها من صراع صليبي بقوله : " لمدينة هرر تاريخ

(١) محمود شاكر : الصومال ص ٥٩ - ٦٠ ط الأولى عام ١٩٦٤ م .

ملطخ بالدماء ، وتفاصيل أحداثها القديمة تاقبة في ظلمات التاريخ ، ولكن
امبراطورية زيلع العربية امتدت في القرن الرابع عشر الى المرتفعات
وعلى طول الساحل الى ما يعرف في الوقت الحاضر بالصومال ، وزيلع هي
المدينة الساحلية الواقعة جنوب جيبوتي ، ومنها كانت تطلع السفن
العربية عبر الخليج الى بلاد العرب حاملة ما تخصص فيه تجار
هسر من سلع (١) .

واحتلت الحبشة بعد ذلك على مناطق واسعة من الصومال حين
تمكنت أخسر الأمر من الاستيلاء التام على غرب الصومال برتبه ، والذي
مُن الحبشة من الاستيلاء هو الاستعمار البريطاني الذي عقد المزم على
تمزيق الصومال الى قطع صغيرة .

كما ساعد الأوروبيون الحبشة على سيطرة المناطق الاسلامية الأخرى
ولقد أهدى الانجليز الى اثيوبيا منطقة صومال الغرب في أواسط القرن
العشرين انتقاما من الصوماليين الذين حاولوا الوقوف ضده ، وامانا في

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي : لأحمد شلبي ص ٣٩٣ ط السادسة

ج ٦ .

(٢) غرب الصومال : هي المنطقة الفاصلة حاليا بين الجمهورية الصومالية
وإثيوبيا ، وهي منطقة واسعة وغنية بالثروة الحيوانية والزراعية
وهي نائرة ضد اثيوبيا منذ عام ١٩٦٠ م الى يومنا هذا ، وهي
سبب الممارك الدائمة بين الصومال وإثيوبيا .

ممارسة الاسلام في القرن الافريقي ، وتقوية الدولة النصرانية التي تمثل
الاستعمار والصلبية على الدوام ((وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
الْمُزِينِ الْحَمِيدِ)) (١)

ان المخططات الاستعمارية في العالم واسعة ومتنوعة ، ففي النصف
الثاني من القرن التاسع عشر وصل التوغل الأوروبي الى اقصىه ، وكانت
الدول الأوروبية تتسابق في الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضي
وسيط نفوذها الى ما وراء البحار لاستغلال تلك الأراضي اقتصاديا وحربيا ،
ولا استعمار شعوب تلك الأراضي ، وكانت كل دولة تهتم بالحصول على طرق
بحرية جديدة للاتصال بين الشرق والغرب ، وتحاول الحصول على قواعد
ومراكز تموين لسفنها .

وهذه النهضة الخبيثة تحرك الرحالون الأوروبيون وجالوا في أنحاء
العالم ، ووصل بعضهم الى الصومال ليكشفوا مزيدا من عادات المجتمع
والقوم ، وأماكن الضعف والقوة ، تمهيدا للسيطرة والقهر الذي تفكر فيه
أوروبا وتقوم كلما سنحت لها الفرصة في ذلك .

وكان البريطانيون طليعة هؤلاء الرحالين ، وذكر بعض المؤرخين
أن أول أجنبي أوروبي وطئت قدماه الأراضي الصومالية ، كان الرحالة
الانجليزي " أون " في عام ١٨٣٠ م ، وكان ملاحا عالما بشئون البحار
فزار مقديشو ، ومركا ، وهريرة ، وتحدث مع السلاطين المحليين والعلماء
وهو الذي قال : " ان الصوماليين شعب مستقل لم يتعود على شكل من
الحكومات المركزية كما لا يتحمل أي نوع من أنواع الضرائب المباشرة ، وهم

(١) سورة البقرة - آية : ٨ .

كثيروا الشك في الأجنبي أو الجنس الأبيض الأوروبي والمسيحي ، ولا يحتسب
الصوماليون من الزنوج مهما بلغ لون بشرتهم من السواد " (١) .

ومن الذين دخلوا البلاد رجل فرنسي واسمه " وليم " ، ودخل
ساحل خليج عدن الشمالي قرب " لاسقوري " وطولسه " .

وكان منهم الرحالة الانجليزي الشهير " برتون " ، وكان ضابطا
بالهند (وقد نزل " بهرة " متكررا ، وسمى نفسه الشيخ عبد الله ، ودخل
المسجد ، وصلى مع الجماعة ، وكان يعرف اللغة العربية جيدا ، كما كانت
عنده خبرة واسعة في تاريخ الأمة الاسلامية ، وترك لحية زنا طويلا على
هيئة العلماء ، وتزيى بالزي الاسلامي العربي ، وادعى أنه عربي مسلم
جا ، ليتصرف أحوال اخوانه المسلمين ، وأظهر للسكان خالص النية والمحبة
ثم ذهب الى زيلع في طريقه الى حمر) (٢) .

وحدث كل واحد من هؤلاء حكومه على ضرورة الاستيلاء على الصومال
أو الحصول على قسم منها على أقل تقدير ، لما لهذا البلد من أهمية
بحرية سواء من ناحية البحر الأحمر الذي يحتوى على مضيق باب المندب ،
أو من ناحية المحيط الهندي الذي يمتد ساحله الغربي فسي أرض
الصومال بمسافات طويلة ، مما سبب الاغراض الكثيرة من جانب المستعمرين .
ولهذا اشتد التنافس بين الدول الأوروبية على اقتسام الصومال
والاستيلاء عليها من قبل الدول المستعمرة ، والذي يشجع هذه الدول بهذا

(١) تاريخ الصومال لجامع عمر ص ٤٤ ط الأولى .

(٢) داخل افريقيا : برتون ص ١٤٣ .

السلك تجاه الشعب الصومالي ، بالإضافة الى ما ذكرناه من أهمية بحريسة
هو أن الصومال شعب مسلم مائة في المائة ، لا وجود للأقليات في بلاده
وهذا الشعب هو الذي قاد الدعوة الاسلامية في القرن الافريقي بشكل رئيسي
وفي شرق افريقيا بصورة جزئية ، ونشر أنوارها بين الوثنيين المنتشرين
في المنطقة ، حتى أصبح الشرق الافريقي يمثل قوة اسلامية لا تعرف السكون ،
ومن هذا المنطلق كانت الحروب بين المسلمين وبين النصارى في الحبشة
بدعم من أوروبا ، لأن أوروبا كانت تنظر الى الحبشة باعتبارها قوة نصرانية
ضد الفزو الاسلامي الآتي من الصومال ، لذلك أصبح من الضروري لسدى
الأوروبي اضافة هذا الشعب وتمزيقه حتى لا تتعرض اشيوسيا للزوال
والانقراض .

ومن الجانب الآخر - أي جنوب الصومال - تقع كينيا ، وهي
دولة يحكمها قلة نصرانية رهاها الانجليز ، ولذلك يعتبر الأوروبيون
دولة كينيا دولة مسيحية ، وعم يقولون انها مهددة من قبل الصومال
اذا اتحد شعبها مستقلا . وهذه الأسباب الاستراتيجية أو الدينية
قسمت أوروبا الشعب الصومالي الى خمسة أقسام .

وكما أشرنا أن بريطانيا قد استولت على شمال البلاد بعد انسحاب
البريطانيين عنها ، وأنها اعتبرت نفسها ورثا شرعا للمصريين طالما
استولت على مصر قبل ذلك بسنتين ، وقد أعلنت بريطانيا احتلالها للشمال
الصومالي المطل على خليج عدن المعتد من زيلع حتى رأس حافون عام
١٨٨٤ م ، كما احتلت الاقليم الجنوبي الذي كان يطلق عليه بالصومال
ان . اف . دى . N . F . D . واحتجزت الجنوب الغربي لنفسها

ولم ترد بريطانيا الا صطدام مع فرنسا ، فتركها تحتل الشمال الغربي من الساحل الصومالي المعروف بجيبوتي ، وفي عام ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م اجتمعت الدول العظمى في مؤتمر باريس لتقسيم افريقيا عامة ، والصومال خاصة ، واشتركت في هذا المؤتمر الدول الأوروبية ما عدا سويسرا ، كما اشتركت الولايات المتحدة ، واستمر المؤتمر في الانعقاد أكثر من ثلاثة أشهر ، وهدد اجراء محادثات مطولة اتفقوا على وضع خريطة جغرافية تكون أساسا لتقسيم افريقيا تقسيما دوليا . (١)

وقرروا أن أى دولة ارتبطت قبل ذلك بمعااهدة مع السكان الوطنيين لها في احتلال تلك البلاد دون تدخل الدول الأخرى ، وفتح هذا المؤتمر باب الزحف الاستعماري تجاه افريقيا والصومال خاصة ، ولذلك احتلت الحبشة جزءا من أفنى بلاد الصومال ، سواء من ناحية الثروة الحيوانية أم الثروة الزراعية ، أم البشرية ، وكان ذلك في شهر يناير عام ١٨٨٢ م . واحتلت إيطاليا في عام ١٨٩٢ م الاقليم الجنوبي على طول ساحل المحيط الهندي ، وهو الذي عرف فيما بعد بالصومال الإيطالي .

وفي عام ١٨٩٠ م عقدت الدول الاستعمارية مؤتمرا في بروكسل عاصمة بلجيكا ، وبحثت أحوال السكان في افريقيا الشرقية ، والأديان التي يمتنقونها ، وبحثوا على وجه الخصوص الادعاء الحبشي الذي يزعم أن الحبشة بحكم كونها واقعة في وسط اسلامي تتعرض لخطر الزوال من أجل الزحف الاسلامي المحيط ، فيجب على الدول الأوروبية المسيحية أن تساعد

(١) تاريخ الصومال لجامع عمر ص ٤٦ ط الأولى .

لتدفع عن نفسها الخطر المزعوم ، فقررت الدول المؤتمر منح السلاح
والمساعدات المالية والسياسية للحبشة ، وكان الهدف الحقيقي لهذا القرار
ايجاد دولة نصرانية قوية تشاركهم في اقتسام الأراضي الصومالية والسودانية
والأريتيرية .

وفضل هذه المساعدات المادية والمعنوية نجحت المؤامرة في تدعيم
مركز الحبشة في هذه المنطقة .

وفي شهر مايو ١٨٩٧ م ضمت بريطانيا الى الحبشة منطقة كبيرة وغنية مسن
غرب الصومال ، وفي نفس العام أجريت معاهدات بين الحبشة وايطاليا بشأن
الأراضي الصومالية الخاضعة لهما من ناحية الحدود .

وفي عام ١٩٠٨ م تم توقيع الاتفاقية بينهما لتخطيط الحدود التي
تفصل بينهما ، على أن تكون الحدود خطا موازيا بشاطي* المحيط الهندي
ويبعد عنه سافة ١٨٠ ميلا فقط .^(١)

ولما تمكنت قوات بريطانيا من هزيمة ايطاليا أثناء الحرب العالمية
الثانية ، قامت القوات البريطانية بالسيطرة على الصومال والحبشة معا ، وكان
هملا سلاسي قد فر الى بريطانيا عند سيطرة ايطاليا على الحبشة
قبل ذلك بست سنوات ، ثم عاد الى بلاده بحماية بريطانيا ، وعقد اتفاقية
معها ، تم له بموجبها استلام السلطة في الحبشة .

" وقبل البت في مصير الصومال في الأمم المتحدة ، وفي أثناء البحث
عن مستقبله ، وقعت بين هملا سلاسي وبين بريطانيا اتفاقية بشأن

(١) تاريخ الصومال لجامع عمر ص ٤٨ ط الأولى .

بلاد الصومال التي تسيطر عليها الحبشة في الوقت الحاضر " (١) .

وما زالت بريطانيا تمطي الحبشة أراضي صومالية حتى ضمت اليها
آخر بقعة صومالية في عام ١٩٥٥ م وهي الأرض المحجوزة لبريطانيا كما هو
المصروف .

وإذا حاولنا أن نوجز التقسيمات التي حدثت في القرن الأفريقي ،
فهي استقرت بعد الحرب العالمية الثانية بالشكل الآتي :

أ - أخذت فرنسا منطقة جيبوتي المعروفة سابقا " بساحل الصومال "
وهي جمهورية مستقلة تعرف حاليا بـ " جمهورية جيبوتي " .

ب - أما إنجلترا فكان نصيبها وإفرا جدا ، حيث استولت على أغلب
الأراضي الصومالية المكونة من الجزء الشمالي المعروف آنذاك بالأراضي
الصومالية *Somali Land* . واستولت على الجزء الجنوبي
بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية ، والجزء الجنوبي
الغربي الذي كان اسمه ان . اف . دي . *N.F.D* ، وهو
التابع حاليا لجمهورية كينيا .

ج - أما الجزء الغربي من الأراضي الصومالية التي عرفت باسم صومالسي
الغرب " أجاديسين " فأصبحت من نصيب الحبشة بعد أن أعطى
الإنجليز الحبشة آخر جزء من هذه الأراضي سنة ١٩٥٥ م .

وهذا الوضع لم يتغير فيه شي " إلى يومنا هذا سوى اتحاد الجزأين اللذين
كونا جمهورية الصومال الحالية ، وما بقي منه فهو ثابت من الناحية التقسيمية

(١) تاريخ الصومال لجامع عمر ص . ٥ ط الأولى .

أما الآثار التي ترتبت على هذه التقسيمات ، فهي كثيرة

جدا ، منها :

أولا : الحد من انتشار الدعوة في المنطقة :

مما لا شك فيه أن الدول الأوروبية التي اتفقت على تقسيم افريقيا كانت لها طموحات واسعة جدا ، تتمثل في مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، وأن وجود الحبشة من بين الدول الأوروبية له دلالة الخاصة ، وسلامة الامبراطورية الاثيوبية من الأطماع الأوروبية له دلالة التي توضح لنا أن العاطل الديني يلعب دورا بارزا في المحطة كلها ، وهذا ما ظهر بجلاء في التقسيمات التي حدثت في القرن الافريقي ، والطريقة التي تمت بها ، وكيف تصر الدول الأوروبية على ابقاء الأوضاع على ما كانت عليه سابقا ، أو على ما أوجده هي .

وإذا نظرنا من الناحية الدينية ، فإننا نجد أن هذه التقسيمات أدت الى إيقاف الدعوة الاسلامية والحد من نشاطاتها الجبارة ، حيث كانت الدعوة سابقا تنتشر بين القبائل الوثنية التي تقطن في الجنوب الاثيوبي ، وأجزاء كثيرة في منطقة الشرق الافريقي بصفة عامة ، وكانت هذه النشاطات بواسطة العلماء الذين ينطلقون من سواحل القرن الافريقي تجاه المغرب والجنوب ، وبفضل الهمة التي كانت لديهم ، والحرية المطلقة في نشر الاسلام وعدم القيود المفروضة عليهم ، انتشر الاسلام في شرق القارة الافريقية ونجحت الدعوة بين القبائل الوثنية ، بل نجحت بصورة جزئية بين نصارى الحبشة أحيانا كثيرة .

ولكن التقسيم فرض على الناس قيودا هائلة لم يألفوها سابقا في حياتهم

حيث تمددت الدول في المنطقة ، واختلفت الأنظمة ، ولأول مرة أصبحت حرية التنقل محدودة بحدود دولة معينة وحصول اذن خاص من تلك الدولة .

وعندما كانت الحكومة الانجليزية تحكم شمال الصومال ، وجزءاً من الصومال الغربي ، وجزءاً آخر من الجنوب الغربي ، فان كل جزء من هذه الأجزاء المتصلة ببعضها لا يجوز لسكانها التنقل من جزء الى آخر رغم أن الحكومة الانجليزية هي الحاكمة في الأجزاء الثلاثة ، ولكنها تفعل ذلك حتى تحد من نشاطات السكان ، وحتى لا يتصل بعضهم ببعض ، ولا يتشاورون فيما بينهم .

وأما الاتصالات بين الجنوب الصومالي وبين المناطق التي يحكمها الانجليز فكانت مقطوعة ولا يمكن أن ينتقل أحد من الجنوب الى الشمال وبالعكس الا بخفية بالغة السرية ، وهذه الأوصاف تنطبق على المنطقة التي استولت عليها الحبشة ، بل الأمر أشد وأكبر .

فهذه القيود المشددة المفروضة على الناس ، جعلت مستوى الدعوة متدنياً ، وأصبح الملما في ضيق شديد من قبل الدول الحاكمة ، بل أصبحوا تحت مراقبة دائمة ، مما أوقف انتشار الاسلام بصورة كبيرة ، فهذه سلبية من سلبيات التقسيم الاستعمارية ، حيث ان الأوضاع حتى يومنا هذا تسير من سيء الى أسوأ ، فالأنظمة الحالية لم تغير شيئاً عما فرضه الأوروبيون ، بل الأمر ازداد سوءاً في أغلب الجوانب ، فالداعية الذي يحاول أن يذهب من الصومال ليدخل بين القبائل الوثنية يكون متهما من قبل الدولة المسيطرة على تلك القبيلة على أنه جاسوس للدولة التي أتى منها ، والذي يأتي من اثيوبيا الى الصومال أو الى كينيا تنطبق عليه نفس الأوضاع .

ونضرب مثالا على ذلك :

في الساحل الصومالي " جمهورية جيبوتي حاليا " كانت هذه المنطقة الواقعة في الجانب الغربي من البحر الأحمر القريبة لباب المندب مستعمرة فرنسية ، وهي منطقة صغيرة لا تحتوى كثيرا من الثروة سواء الثروة الحيوانية أم الزراعية أم الممادن أم غيرها ، ومع ذلك كان الفرنسيون حريصين كل الحرص على حصار هذه المنطقة وعزلها عن بقية المسلمين في المنطقة ، حيث استدعت كبرى الشركات الفرنسية وخططت هذه الشركة لتطويق المنطقة تطويقا كاملا ، وفكرت في ايجاد وسيلة تكفل منع الدخول والخروج من المنطقة واليهما ، وكانت هذه الوسيلة الناجحة هي الأسلاك الكهربائية المجهزة بالمتفجرات ، تشمل الأسلاك الكهربائية ما يلي :

- أ - شبكات من الأسلاك الكهربائية مجهزة بمختلف الأسلاك الحادة .
- ب - في جدار السلك الكهربائي زرعت الألغام من المتفجرات الحارقة .
- ج - هناك جيش مسلح على بعد أمتار من هذه الأسلاك .
- د - وهناك الأنوار الكاشفة التي تعمل في الليل لتضيء المناطق المحيطة بالأسلاك والألغام .

وقبل أن تدخل مدينة جيبوتي من جهة الصومال أو الحبشة ، وعلى بعد بضعة عشر كيلو متر تظهر هذه الأسلاك ، وإذا تجاوزت هذه الأسلاك المحكمة ، والأنوار الكاشفة ، لن تقطع أكثر من ثلاثة كيلو مترات حتى تفاجأ بأسلاك جديدة تستطيع أن تؤدى نفس الغرض ، ومجهزة بنفس التجهيزات التي ذكرناها في الأسلاك السابقة .

وقبل دخول المدينة ، تجد هناك آخر جدار سميك من الأسلاك الكهربائية المطفومة المحروسة من قبل الجيش ،

ولقد ذكرت هذه القصة لتبرهن لنا مدى الجهد الذي بذلته
الستعمرون في تمزيق الأمة وتشتيتها ، وعزل بعضها عن بعض ، وعند ما
رأيت هذه الصورة البشعة ، والأعمال القذرة التي قام بها الفرنسيون ضد
السكان ، تذكرت مخازي الفرنسيين في الجزائر ، ولم أكن أصدق عذا العمل
لولا رؤيتي له .

فكم من شخص مات في ثنايا هذه الأسلاك . . . وكم من شويت لحومهم
بين الألفام والأسلاك ، انه يعرفنا من هم أصحاب الحضارة ؟ ومن هم هؤلاء
الذين يتحدثون عن حقوق الانسان والحرية والمساواة ؟ !!!

ولا غرو في هذه الأمور اذا عرفنا أن الحطة الأوروبية حطة صليبية
تكيد للإسلام وأهله ، وتهذل كل ما في وسعها لتدمير الاسلام والمسلمين ،
ويرون أن الاسلام هو الخطر المحدق ، وأنه هو المشكلة الرئيسية في وجه
الاستعمار وأطماعه كما يقول لورانس براون :

" ان الاسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي " (١) .

هذه هي النظرة الحقيقية التي يتعامل الأوروبيون من خلالها تجاه الاسلام ،
ولأجل هذا بذلوا جهدهم لتمزيق شمل المسلمين ، والبلاد الصومالية جـزء
من أرض الاسلام مزقوها وأحكوا عليها الخناق ، محاولين اخماد جذوة الايمان
في نفوس أهلها ، لتحت الهمم المالية .

ولا يأخذك العجب اذا علمت أن الاستعمار قسم داخل كل جزء السى
أجزاء صغيرة ، حيث ان كل قبيلة تسكن في منطقة خاصة لا يجوز أن يدخل

(١) جلال المالم : قادة الغرب يقولون : دمروا الاسلام ، أبعدوا أهله .
ص ٣٠ ط الثانية .

عليها الآخرون ، مما تسبب في مشاكل لا حد لها بين القائل ، و إذا عرف المستثمر أى قبيلة تجاوزت حدودها ، فإنه يعاقبها عقاباً شديداً ، حتى أصبحت البلاد سجنًا لا يطاق .

ثانياً : انتزاع الزعامة من أيدي العلماء :

من الآثار التي ورثها المجتمع من المستعمرين الأوروبيين إهمال العلماء عن الحياة ومراكز القيادة في البلد التي كانت في أيديهم منذ فجر الإسلام حتى قدوم المستعمرين ، فعند ما جاء المستعمر وسيطر على الأوضاع كان من أول ما عمل إيجاد طبقة من الشباب الذين لم يعرفوا من الإسلام وعلموا هؤلاء الشباب مفاهيم الحضارة الغربية ، وغرسوا في نفوسهم كل صفة تبعدهم عن الإسلام والمسلمين ، وتفصل بينهم وبين العادات والتقاليد الإسلامية ، حتى تطور هذا الجيل ، وتبوأ مراكز القيادة في مختلف الميادين مما جعل العلماء خارج مراكز القيادة أثناء وجود المستعمر وبعد رحيله ، لأن الطبقة التي هيأها المستعمرون للسيطرة على مقاليد الأمور أصبحت الوريث الشرعي للمستعمرين ، مما أفقد العلماء دورهم الاجتماعي في إصلاح المجتمع والوقوف أمام المخاطر ، وضد التيارات الوافدة على المجتمع من مختلف المشارب .

ومما ساعد على هذا الاتجاه الخطير هو إضعاف مراكز التصليم الدينية بمختلف الوسائل ، مثل المعاهد الدينية وحلقات المساجد ، ولم تنته عزلة العلماء وهمهم عن مراكز التأثير الفعلي بمد جلاء المستعمرين ، بل امتدت ما وراء الجلاء ، لأنهم وجدوا أنفسهم في مجتمع تحكمه قيادات غير إسلامية ، والتي لا تقوم للقيم الدينية أى وزن ، وهكذا نجح

المدون في ابعاد الملما* والفصل بينهم وبين مراكز الادارة والقيادة حتى
انحصروا في زوايا المساجد .

ثالثا : الحصار الاقتصادي :

من الآثار الخطيرة التي ترتبت على الاستيلاء* والتقسيم ، تدهور
الحياة الاقتصادية ، والتي . بدورها لمبت دورا هاما في التفجيرات الاجتماعية
الأخرى ، لأن الاقتصاد له أهمية قصوى .

وعندما حدث التقسيم وحدد التنقلات بين أفراد المجتمع من منطقة
الى أخرى ، نتج عن ذلك ضرر اقتصادي رهيب ، لأن المحاصيل الزراعية
والثروة الحيوانية كانت موزعة بين المناطق ، هناك منطقة غنية بالمحاصيل
الزراعية وهي المنطقة الواقعة في وسط الصومال والمنطقة الشمالية من الصومال
الغربي والمنطقة الجنوبية ، أما الثروة الحيوانية فهي متركزة في الصومال
الغربي وأواسط الصومال بشكل عام ، وهناك ثروة سمكية كبيرة في الساحل
الصومالي ، وكانت كل منطقة تصدر ما عندها الى المناطق الأخرى التي تحتاج
هذه المنتجات ، وفي نفس الوقت تستورد من المناطق الأخرى ما ليس عندها ،
وهكذا كانت الحياة الاقتصادية نشيطة ومتوازنة تستطيع تلبية الحاجيات
الضرورية للمجتمع ، بل قلما كان الناس يحتاجون الى استيراد سلع ومنتجات
من خارج بلادهم ، وخاصة في المأكولات .

ولكن الحياة الاقتصادية تغيرت بصورة جذرية بعد التقسيم بسبب
الحواجز المتعددة ، والقيود المتشددة ، والتي وضمت قسدا وعمسدا
لتفتيت هذا المجتمع ، وشمرة طاقاته من جميع الجوانب ، ومن جراء هذه
الاجراء القاسية احدثت كثير من المناطق الصومالية على سلع المستعمرين

رغم أنفسها ، وتغيرت الحياة الاجتماعية ، وتعقدت الأمور بصورة كبيرة .

رابعا : طمانينة الأوضاع :

ان الغرب المستعمر الذي اجتاح بلاد المسلمين مارس جميع أشكال الحرب العسكرية والاجتماعية والاقتصادية ، ومن تحويل المجتمعات الاسلامية الى مجتمعات لا دينية في تشريعاتها واقتصادياتها وعاداتها وكل شأن من شئون الحياة هدف من أهداف المستعمرين الغربيين ، كما يقول المستشرق ولفورد كانقول سميت : " ان الغرب يوجه كل أسلحة الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الاسلام ، وانه خلق اسرائيل في قلب العالم الاسلامي كجزء من هذا المخطط المرسوم " (١) .

وهذا الكلام يمثل وجهة نظر الأوربيين من المفكرين والماسسة لأنهم يريدون أن يفتلوا بين الدين والدولة ، كما فعلوا في النصرانية حيث لا علاقة بين الكنيسة والدولة ، ولكل واحد رجسالة وتخصصه ، وطبقوا هذه الصفة على الاسلام ، وخططوا لتنفيذ ذلك في البلاد الاسلامية .

وفي هذا يقول كسروك : " ان على الاسلام اما أن يعتمد تفسيرها جذريا فيه ، واما أن يتخطى عن سايرة الحياة " .

وهو يقصد بالتفسير ، فصل الدين عن الدولة كما فعل أتاتورك ، وكما يطالب مفكرونا الملمانيون " (٢) .

هذا المنهج الذي خطه الغربيون طبق على الشعب الصومالي

(١) سعد جمعة : الله أو الدمار ص ٦٥ ط الثالثة .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٥ أيضا .

بشكل واسع ، فالتشريعات والقوانين الاسلامية تغيرت تدريجيا ، حيث ظهرت لأول مرة المحاكم المدنية بجانب المحاكم الشرعية ، واستمر تفسير القوانين الجنائية وغيرها فترة طويلة من الزمن رغم اهداء العرونة في تطبيقها من قبل السلطات المستعمرة حتى لا يحدث ذلك فرارا ونفورا من قبل المجتمع .

وظهرت البنوك الربوية ، أما مجالات التعليم فالمعلمانية كانت واضحة جدا ، حيث المدرس والضحج ، مما أثر في سلوك الطلاب ونفسياتهم وخلق هوة سحيقة بينهم وبين بقية المجتمع ، فالضحج المقرر في جميع المدارس كان بعيدا جدا عن القيم الاسلامية والمعاني السامية التي وردت في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي التراث الاسلامي الضخم ، بل المقررات كانت تربط الطلاب بشكل أو بآخر بقم الحضارة الغربية وماخرها وتجيد تراثها ، واذا تعرضت هذه المقررات لسيرة بطل معين فهي تتحدث عن القيادات الأوروبية وأبطالها المفاوير الذين حققوا انتصارات رائمة للشعوب الأوروبية ، ويحفظون سيرة هذه الأبطال وتنطبع في نفوسهم منذ الصغر ، أما مادة الجغرافيا فمماظها كانت مخصصة لدراسة الشعوب الأوروبية ومناطقها وتضاريسها واقتصادياتها ، وأهم الصادرات والواردات حتى يكاد المرء يحفظ الدول الأوروبية وتاريخها قديما وحديثا ، كأنه ابن من أبنائها ، وكأنه عاش في أوروبا طول حياته ، بينما لا يعرف الطلاب جغرافية بلادهم وتاريخ بلادهم واقتصادياتها ، بل انه لا يشعر نحو وطنه وأنته واجبا طقى على عاتقه .

ولا غرابة في هذا ، لأنه نشأ وترعرع في دراسة الحضارة الغربية ، وتشبع من مفاهيمها منذ نعومة أظفاره ، حتى قوى ساعده .

فهذا الطالب عندما يستمع من مدرسه بعد ذلك أن الانسان السذی نراه اليوم من تطورات مذهلة ، حتى وصل الى شكله الحالي ، أى لم يخسلق انسانا سويا ، لا يستغرب هذا الأمر كثيرا .

وهكذا تنطمع في نفسيات الشباب معاني لا علاقة لها بالاسلام ولا علاقة لها بالأمة الاسلامية ، ولا علاقة لها بأعجاز آتة المدينة ، وكلما يعرف من آتة أنها أمة ضميعة تخلفة عن الأمم الأوروبية المتقدمة التي حققت تقدما هائلا في مجالات الحياة كافة .

ومن الأمور التي أثرت في الشباب في تلك الفترة تأثيرا سلبيا ، الحديث عن الكنيسة الكاثوليكية ، لأن المقررات الدينية في تلك الفترة كان غالبها توجيهات دقيقة تحاول اقناع الطلاب بأن كل تخلف أصاب أوروبا في صورها الوسطى وعصور تخلفها ، وكل التقسيمات والحروب الضروسة ، كل ذلك كان نتيجة لممارسات الكنيسة وتماليمها الدينية المتجمدة التي لا تقبل النظريات العلمية الحديثة ، ولا تلبي مطالب الحياة المعاصرة الحنية على الابتكار والكشوفات العلمية ، بل انها تدعو الى التجمد والثبات على ماضى استنفسد كل ما عنده ، ولا يصلح لمقابلة عصور التطور .

ثم يستمع بعد ذلك كيف أن أوروبا حاربت الكنيسة حربا لا هوادة فيها ، وكيف ان الكنيسة وقتت ضد العلم والنظريات الحديثة ، وكيف أنها قتلت العلماء لأجل ابتكاراتهم ومبادئهم . . . وفي النهاية كيف تخلصت أوروبا من نفوذ الكنيسة ومبادئها حتى وصلت أوروبا الى مرحلة فصل الدين عن الدولة . وبعد ذلك تحقق التقدم العلمي وتطورت الحياة .

وبهذه المقدمات التي ترتب بعضها على بعض ، والنتائج التي ظهرت بعدها ، أثرت على الطلاب في عقلياتهم ونفسياتهم ، واقتنعوا تلقائياً بأن صفة البشرية في حياتها هي الأديان ، واقتنعوا أيضاً بأن فصل الدين عن الحياة ضرورة من ضرورات الحياة الطحة التي يجب تنفيذها فوراً في المجتمعات الإسلامية .

وبكذا تحول النشء الجديد الى جيل علماني مرتبط بالثقافة الغربية وممجب بكل شيء في الحضارة الغربية ، لأنه لم يتعلم سوى تلك المفاهيم الغربية في حياته العلمية .

بهذه الطريقة حدثت تغييرات هائلة في المجتمع الصومالي ، ودخلت فيه مفاهيم لم يألفها من قبل ، وعادات تناقض الإسلام ، وتقاليد جاءت من بلاد الكفر عن طريق الاستعمار الأوروبي .

كان هذا المجتمع مجتمعا تسود فيه المعاني الإسلامية ، والروح الإسلامية ، وكانت الهيمنة للإسلام ، والكلمة للمعلماء وفقهاء الأمة ، ولكن الأساليب التي استخدمها المستعمرون غيرت كثيرا من الأمور ، وبدلت كثيرا من المعالم الأساسية للمجتمع ، حيث ظهرت لأول مرة نزعة القومية الصومالية التي لا مدلول لها على الإطلاق في بنىة المجتمع الصومالي ، وظهرت قيادات تربت على أيدي المستعمرين حاملين أفكارا علمانية لا دينية ، وكانهم ليسوا بمسلمين ، وأصبح هؤلاء هم القادة الفعليون ، والموجهون البارزون ، رغم أن عامة الشعب مرتبطون بالمعلماء وحفاظ القرآن ، إلا أن السلطات الاستعمارية أوجدت هذه الطبقة لتنفيذ مآربها بعد رحيلها ، أوجدتهم عن طريق المدارس العلمانية ، وهو المخطط النصراني الذي يحاول النصارى تنفيذه

في مختلف المجتمعات الاسلامية كما يقول زويمر : " ما دام المسلمون يفسرون من المدارس المسيحية ، فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ، ونسهل التحاقهم بها ، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الاسلامية عند الطلاب " (١) .

ان تأسيس المدارس العلمانية في البلاد الاسلامية أدى دورا خطيرا في زعزعة الثقة في نفوس المسلمين وابعادهم عن الاسلام ، وفضل هذه المدارس نجحت أوروبا في نشر مبادئها وأفكارها الخبيثة بين المسلمين بسهولة ، وبصورة تدريجية صارت مبادئها مقبولة لدى الطبقات المثقفة بصورة خاصة ، فبدل الهجوم الصريح على الاسلام وأهله استعملت المناهج العلمانية طرقا متنوعة لنشر مبادئها حتى تقضي على الروح الاسلامية في نفوس الجيل الجديد .

وهذا ما ظهر فعلا في القيادات التي تولت مقاليد الأمور بمسئد الاستثمار فانهم لم يكونوا مفايرين للاستثمار ، بل انهم نفذوا خططه وآراءه وأطماعه بصورة أسوأ في كثير من الأحيان ، وجرأة لم تستطع القيادات النصرانية اظهارها ، وهذا يؤكد قول جب " لقد فقد الاسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية ، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت في طقوس محددة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعي وانتباه وقد مضى هذا التطور الآن الى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه ، لكن نجاح هذا التطور يتوقف الى حد بعيد على القيادة والزعماء في العالم الاسلامي وعلى الشباب منهم خاصة ، كل ذلك كان نتيجة

(١) سيوشاتلي : الفارة على العالم الاسلامي ص ٨٢ ط الثالثة .

النشاط التعليمي والثقافي العلماني . (١)

عندما قال جب هذا القول قاله وهو على علم تام فيما صنعتــــــــــــه
أوروبا ، وما قدمت من تضحيات لمعارضة الاسلام واهلته ، وهو بالتــــــــــــالي
فرح بنتائج هذه المعركة الشرسة التي كان من بين مخططاتها وروادــــــــــــها
ويؤكد في نفس الوقت أنه رجع الى الوراثة كانه يقول : ان المسلمين قد انسلخوا
من دينهم وأصبحوا علمانيين ، وأن معظم الأعمال المنوطة بــــــــــــنا قد
انتهت ، وما بقي منها يجب على طلابنا الذين علمناهم العلمانية أن ينفذوا :
أولا : أنه يقصد من وراء هذه الكلمة أموراً منها تشجيع النصارى في نشاطاتهم
الهدامة سواء المشركون منهم أم المستشرقون أم الحكام ، ومنها أنه
يريد القضاء اليأس على نفوس الدعاة ، لأن كل من يقرأ هذا التقرير
يشعر بشيء من خيبة الأمل ، وربما يندفع لما وصله النصارى من
انتصارات ضد الاسلام .

ثانيا : يروي أحقاد الصليبية وهاشمه ونبي سمة بارزة في تاريخ النصارى
واليهود ، قال تعالى ((وَذُوقُوا لَوْتَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)) (٢)
وقال تعالى ((قَدْ بَدَأَ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ . . .)) (٤) ، وقال تعالى ((وَذُوقُوا مِنْ أَمْرٍ
الَّذِي لَوْ يَدُونَ مِنْكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كَقَارِئٍ حَسَدًا مِنْ حَيْثُ أَنْفُسِهِمْ
مَنْ نَعَدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)) (٤) .

-
- (١) الدكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر .
(٢) سورة النساء - آية : ٨٩ .
(٣) سورة آل عمران - آية : ١١٨ .
(٤) سورة البقرة - آية : ١٠٩ .

فهذه الأوضاع نتج عنها مخاطر جسيمة ، مثل التهاون في القسوس الدينية في الأوساط التعليمية ، وانتشار الفساد الخلقي مثل الزنا السذ لم يكن شائعا قبل ذلك ، ولم يكن له آثارا ظاهرة في المجتمع لما كان للملما من نفوذ وسيطرة في التعليم والتوجيه ومحاكمة الظاهرة المخالفة للتعالم الاسلامية والخلق الرفيع .

كانت هذه أبرز مظاهر الملمانية في الصومال ، لأن تغيير الاقتصاد والقوانين والتعليم ينتج عن ذلك مباشرة تغيير في نفوس الشباب وانتشار الفساد الخلقي والمادات الجاهلية الفارسة مما غير وجه المجتمع بشكل كبير .

خاصا : التبشير :

مع نشر الملمانية التي أشرت اليها كان التبشير يشي على قدم وساق في الصومال في جميع أجزائه المقسمة بين النصارى ، وقد بدأ حياول البرتغاليون نشر النصرانية في شرقي افريقيا ، ولكنهم فشلوا في ذلك ، وجاء دور الصليبية الجديدة ، فبادرت في محاولاتها المتكررة فبنت مدارس للتبشير ، ومراكز للأيتام وخاصة في جنوب الصومال ، ولكن التبشير لم ينجح كثيرا ، لأن صورته كانت مخيفة لدى المسلمين ، ولقد تنبهوا اليه منذ بدايته ولم يغفلوا مثل ما غفلوا عن الملمانية وشؤونها .

ولقد حدثت حوادث عديدة ضد المبشرين الذين حاولوا ادخال النصرانية في الصومال ، وخاصة بين الأطفال وقتل بعضهم بصورة مكشوفة وفي وضع النهسار ، مما أسفر اليه في الفصل الذي سأحدث فيه عن دور الملما وجهادهم ان شاء الله .

وحد ما طموا أنهم لا يستطيعون تبشير النصرانية بين الصوماليين
طننا ، تنازلوا عن ذلك واكتفوا بترهية بعض الأطفال الذين ليس لهم مسن
يتولى رعايتهم ولم يثبت أن أحدا من هؤلاء الأطفال قد تنصر ، وكل الذين
تنصروا في الصومال في عهد الاستعمار كانت أسرة واحدة رجعت عن النصرانية
بعد ذلك ، وكانت ساكنة في الشمال الصومالي ، فعادت الى الاسلام مسن
جديد ، ويمتبر فشل النصرانية في الأقاليم الصومالية أمرا نادرا مع المقارنة
بما قاموا به في الأقطار الاسلامية ، وهذا من فضل الله ورعايته لدينه .

أما العمل الظاهر الذى عمله الايطاليون في الجنوب هو بناء كنيسة
ضخمة في وسط العاصمة رغم أنها شبه خالية حتى الآن ، وهي الكنيسة
الوحيدة الممتبرة في الصومال ، أما التبشير بعد رحيل الاستعمار ،
فهذا ما سأتناوله ان شاء الله تعالى في الفصل الثالث من هذا الباب .

وخلاصة القول : ان الغزو الأوربي النصراني لم يكن غزوا ينتهب نهبا
خيرات البلاد وثرواتها الطبيعية فحسب ، ولم يكن مجرد هيمنة على تـراب
هذا البلد ومداخله ، ولكن كان غزوا شاملا في جميع جوانبه ، ومؤثرا في
شتى نواحي الحياة .

كان التأثير في تقسيم تلك المنطقة الى مناطق صغيرة .
كان التأثير في اقتصاد المنطقة بشكل واضح من حيث ان الدول المستعمرة
تأخذ خيرات البلد ، ومن ناحية أخرى منع التحركات التجارية بين المواطنين
حتى وصل الاقتصاد والنشاط التجارى الى نقطة التجمد أحيانا كثيرة ، ولقد
تغيرت القوانين ، فطبقت القوانين الوضعية ، وانحسرت الشريعة في الأحوال
الشخصية وبعض القضايا التافهة ، أما مجال التعليم فكان التأثير فيه شديدا
ما أوجد في المجتمع أفكارا هدامة لا تمت للاسلام بصلة ، بالاضافة الى

التفسيرات الخلقية التي برزت في الساحة الاجتماعية بشكل فاضح ، ولم يكن الجو خالياً من التبشير رغم تباطؤ نتاجه الظاهرة للميان .

فهذه العوامل مجتمعة أحدثت في المجتمع الصومالي هزة عنيفة في بنيتة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وأحدثت تبديلاً سريعاً في جوانب كثيرة مما أفقد المجتمع ست البارزة ، والسمو الذي عاش فيه مدة طويلة من الزمان ، المتمثلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن الجو لم يصبح خالياً للملما بمد ذلك أبداً ليوجهوا الجيل الجديد إلى الطريق المستقيم ، بل مراكز القيادة والتوجيه تحولت إلى فئة من المجتمع خالية من التعاليم الإسلامية ، وهاربة عن الأخلاق الإسلامية ، وشبعة بروح الكراهية لهذا الدين ومعايير السامية .

كل ذلك كان نتيجة من نتائج الاستعمار رغم أن الأمراض لا تنحصر في الاستعمار ، وإنما هنالك أمراض اجتماعية أصيلة كانت موجودة قبل الاستعمار ، ولكنه أيضاً ساعد في انتشارها ، ومن بين هذه الأمراض التي هي عقبة أمام الدعوة الإسلامية القلبية البهيفة ، والتي سأحدث عنها في الفصل القادم ان شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

((التهيئة وآثارها في المجتمع))



القبلية وآثارها في المجتمع

ان لكل مجتمع من المجتمعات العالمية قيماً تسود فيه ويتمسك بها الناس فيما بينهم ، وعلى ضوءها يتعاملون ، والمجتمعات مختلفة في بنيتها الاجتماعية ، وعاداتها وسلوكها اختلافاً شامساً ، هناك مجتمعات مدنية تقدمت فيها الحضارات أما كان نوعها ، وتسود فيها الحياة المدنية والممران والتجمعات السكنية ، وهناك مجتمعات أخرى أقل حضارة ، وأقل تقدماً من تلك التي أشرنا إليها ، أما أنها مجتمعات تغلب عليها الزراعة أو أنها مجتمعات تغلب عليها الحياة الرعوية .

ومما لا شك فيه أن نوع الحياة والأعمال اليومية تؤثر في حياة المجتمعات بصورة كبيرة ، وتحدث تغييرات جذرية في بعض الأحيان .

والمجتمع الذي أريد أن أتحدث عنه في هذا الفصل المتعلق بالمصيبة والقبلية ، هو ذلك المجتمع الذي يعيش في منطقة القرن الإفريقي والذي يسكنه الصوماليون .

انه مجتمع اسلامي ، أي أن سكان هذه المنطقة من المسلمين ، وهو مجتمع رعوي على الصوموم رغم وجود مناطق أهلة بالسكان وخاصة المدن الكبيرة ، والمناطق الزراعية الهامة ، إلا أن أغلبية المناطق في البلاد صالحة للرعي فقط .

وسأحاول أن أتحدث في هذا الفصل من خلال الفقرات

التالية :

١ - العوامل المساعدة في ايجاد المصيبة .

- ٢ - العصبية عامل شقاء في المجتمع .
- ٣ - موقف الاسلام من العصبية .
- ٤ - مواقف تستحق الثناء .

الفقرة الأولى : العوامل المساعدة في ايجاد العصبية :

العصبية أو القلبية مرض خطير من أمراض الجاهلية البغيضة ، وهي مرض ينتشر في العالم كله بصورة أو بأخرى ، ولكنها موجودة ولها أسبابها ودوافعها في أي مجتمع ، فهي موجودة في بعض المجتمعات في صورة بدائية ، أي أنها تظهر بين قبيلة وأخرى حتى تحدث الكوارث ، وفي بعض المجتمعات تطورت القلبية وتنوعت أساليبها حتى ظهرت أسماء جديدة للقلبية مثل القومية والوطنية ، وتأخذ أحيانا شكل أحلاف من القبائل أو من الدول ، وربما تمتد أحيانا أخرى على اللون فهذا أبيض وهذا أسود ، حتى نسمع أن حربا كهرة تنشأ في العصر الحديث ، وفي الدول التي تسمى نفسها بالدول المتقدمة والمتحضرة ، مما يدل على أن العصبية منتشرة في العالم كله .

ولكنها ترمي إلى شيء واحد وهو التمييز والتفرقة بين البشر ولا اختلاف في جوهرها ومضمونها ، لأنها بؤرة الفساد ورأس الظلم ، وإنما الاختلاف يأتي من النواحي الشكلية فقط ، والتي لا تغير من حقيقة الأمر شيئا .

والقلبية التي في هذا الفصل هي تخص أحد المجتمعات الاسلامية ، وهناك عوامل كثيرة تعاونت في ايجاد القلبية في المجتمع الصومالي ، ومن أهمها :

١ - الجهل المتفشي في هذا المجتمع ، وقلة انتشار العلوم الاسلامية بشكل واسع ، لأن الجهل عامل من عوامل الهدم والتخريب فحياة الانسان ، وهو لا يساعد الانسان على الهداية والاستقامة والحياة الكريمة في أى حال من الأحوال .

فالمعلم وحده هو الذى يستطيع أن يرشد الناس الى الطريق السليم ، ويعلم الناس مسالك الخير والنجاة ، ويقرب الأفراد الى الفطرة السليمة والأخلاق العالية ، ولذلك نرى أن الأمم التى ترقى الى الدرجات العلى ، سواء من الناحية الأخلاقية ، أم الرقمية ، فأنها اعتمدت على العلوم ، أما العلوم الدينية ، وأما العلوم التى تهتم بتطوير الحياة المادية ، أو جمعت بين العلمين ، ولم نسمع أن أمة جاهلة سادت الأمم ، والجهل مضر بالأمم ضرراً كبيراً .

فالمجتمع الصومالي كان مجتمعاً ينتشر فيه الجهل بشكل كبير ، وخاصة لدى هؤلاء الذين كانوا يعيشون في البادية ، وكثير من أهل الحضر ، لأن الأسلوب المعتمد في التعليم كان مقتصرًا على جهد العلماء وحدهم ، ولم يكن أسلوب المدارس والجامعات طريقة منتشرة بين السكان بشكل مناسب ، أما البادية بصفة خاصة فكانت الأمية هي السائدة في بعض الأجزاء منها ، حيث كانت خالية من التعليم الاسلامي ، حتى حفظ القرآن الكريم الذى اشتهر في البلاد ، ومن الممكن جداً ألا يوجد فقيه واحد في مجموعات كبيرة من القبائل ، وهذه الحالة كانت سائدة في بعض المناطق الساحلية ، وان كان وضعها قد تحسن بعد ذلك ، وحتى تلك

المناطق التي انتشرت فيها العلوم الاسلامية وحفظ القرآن الكريم .
 فان الناس لم يتسكروا بالأخلاق الاسلامية ، وكانّ هذه الأحكام
 التي تعلموها لم تؤثر في كثير من معاملاتهم اليومية ، ولم تبدل
 حياتهم الاجتماعية ، لأن وجود أقلية تفقّحت في الاسلام
 لم يؤثر في الأغلبية الجاهلية التي لا تعرف من الاسلام إلا أموراً
 قليلة ظناً تطبق ، وخاصة جانب المعاملات بين القبائل ، وهو
 جانب أثر في بقية الجوانب ، والذي يساعد القليلة وشاكلهم
 المتعددة ومخاطرها الكثيرة .

٢ - البداوة التي يتصف بها معظم القبائل الصومالية ، لأن تلك
 البداوة تحمل في طبيعتها أموراً لا يمكن أن تنزل من نفسية البدوي
 بسهولة ، وأول سمات البداوة : الاعتزاز بالقبيلة ، وهي سمة
 بارزة في حياتها ، ويشعر البدويّ رباطاً قوياً نحو قبيلته ، وأفراد
 عشيرته ، ويفتخر بأنسابه ، ويمجد كثيراً أسلافه ، والذي يلي ذلك
 هو تلك الطبيعة الفليضة ، والجفوة الظاهرة من جميع تصرفاته
 وأعماله ، والتي تسبب أحياناً هياجاً قوياً أو اندلاع الحرب بين
 قبيلتين بسبب لا يعقل ، لأن طبيعة البدو سريعة التأثر وخاصة
 فيما يتعلق بشرفه وكرامته ، أو كرامة قبيلته التي هي مركز اعتزازه
 على الدوام ، وهذه الطبيعة البدوية وتلك الحياة الرعوية المرتبطة
 بمواسم الأمطار والمياه والأعشاب من الأسباب الرئيسية التي تشهر
 الحزازات بين البدو هناك ، وخاصة تلك المناطق التي لا توجد فيها
 المياه الكافية ، مما يسبب شاحنات حادة بين أصحاب المواشي
 من القبيلة الواحدة ، أو من قبيلتين أو مجموعة قبائل متفرقة .

٣ - ومن الأسباب التي تؤدي الى المخاطر القبلية عدم وجود سلطة مركزية تتولى شئون المجتمع ، وترعى مصالحه ، وتصلح فيما بينهم ، وهذه الظاهرة ليست خاصة في الوقت الحالي ، وانما كانت مشكلة قديمة لأن أغلب القبائل كانت تعتمد على المواشي وتنتقل من مكان الى مكان سمياً وراء الأقطار وطلبها للأعشاب للماشية ، ولذلك لم يقوم هذا الشعب بحكم مركزي ، لأن السلطات الاسلامية التي تعاقبت على الحكم في شئون المنطقة لم يمتد نفوذها الى المناطق النائية ، بل كان حكمها مقتصر على المناطق الساحلية والمدن الرئيسية ، وهذه الطريقة تمود المجتمع البدوي على نمط معين من الحياة المتمثلة في الحرية التي توصلهم الى فوضى عارمة تؤدي في النهاية الى اصطدامات عنيفة ، والتي تضارب في المصالح ، لأن كل فرد يريد تنفيذ رغباته الشخصية ، وكل قبيلة تريد أن تسيطر على المناطق الخصبة ومياه الآبار ، وخاصة في المناطق الصحراوية ، والتي اليوم يماني هذا المجتمع من الفوضى المارمة لأنه لا توجد حتى في الوقت الحاضر حكومة مركزية تفكر في مصالح هذا المجتمع ، لأنه انقسم الى مجموعات ، كل مجموعة تعيش تحت حكم مستقل عن غيره ، مما ساعد زيادة المشاكل في هذا المجتمع ، وساعد على اشتعال الفتن القبلية ، لأن كل فرد يستطيع الفرار بنفسه بعد ارتكاب أي جريمة الى الدولة المجاورة التي لا تهتم الا في نطاق حدودها .

الفقرة الثانية : العصبية عامل شقاء في المجتمع :

رغم أن المجتمع الصومالي مجتمع يدين بالاسلام ، ولا يوجد فيه أطياف غير مسلمة ، بل كلهم ينتمون الى الدين الاسلامي ، مع ذلك فإن السلبات فيه كثيرة ، ورغم أن التقاليد الاسلامية منتشرة في المجتمع ، ورغم أن الأخلاق الاسلامية موجودة في المجتمع بدرجات متفاوتة ، إلا أن العصبية لم تختف ولم تندثر ، بل انها من كبرى المشاكل والحائبات التي تشوب وجه الاسلام ، وتحول المجتمع من سعادة ورخاء واطمئنان ، الى شقاوة مؤس وقلق ، ومع أن الناس يعرفون تماما ان ما يرتكبونه من أعمال شنيعة يخالف الشريعة الاسلامية مخالفة صريحة ، وكل مخالفة يرتكبونها لتستوجب العقوبة من الله سبحانه وتعالى ، وربما تؤدي الى هلاك في الدنيا وعذاب في الآخرة ، مع ذلك فانهم لا يتوانون عن القتل والغصب والشار وغير ذلك اذا ظهر ما يرونه أنه عامل يستحق أن يثوروا لأجله ، ورب هذا الشيء الذي يقتلون لأجله ويرتكبون في سبيله الذنوب العظام ، ويحشون في دروب المهالك ويموت لأجله آلاف من الرجال ، لا يستحق الالتفات اليه أو التذكر لصغر حجمه شكلا ومضمونا ، واذا نظر أي واحد في تاريخ العرب القدامى قبل الاسلام ، أو القبائل الجاهلية في المجتمعات المتخلفة ، ونظر الى القبائل الصومالية وطرق معيشتها وعاداتها وخاصة ما يتعلق بالتأثيرات القلبية ، وما يترتب عليها من آثار بعيدة المدى ، سيدرك تشابها كبيرا رغم الفارق في المعتقدات والعبادات ، وفي بعض السلوكيات النابعة عن المعتقدات الدينية .

فالمجتمع الصومالي مجتمع قبلي حيث أن القبيلة تؤثر فيه تأثيرا سلبيا ومضرا قد يما وحديثا ، فالوصف الطبيعي لحياة الأمة الصومالية

أنها أمة تتأثر بالمفاهيم القلبية تأثرا يكاد يكون تاما ، ولم تتغير هذه المفاهيم حتى عصرنا هذا ، بل هي ثابتة ومستقرة على المصنوم ، فالقلبية كانت وراء أغلب الحائب والفتن التي تراكمت أمواجهها عبر القرون والأزمان ، وأبرز هذه الحائب الحروب القاسية التي لم يغسل من مشاكلها جيل من الأجيال ، فالحرب هي العلامة البارزة في المجتمع وهي مصدر آلامه وأحزانه المتصلة الحلقات .

وما أن البيئة معظمها رعوية وتعيش بلا قيود ولا ضوابط فان الحروب تنشأ بين القبائل بصورة عفوية ، أما كيف هذه ؟ وما مضارها ؟ وما تأثيرها في تكوين المجتمع وحياتهم ؟

أحاول أن أكتب وصف الممارك والحروب وتأثيراتها السيئة وآثارها المميدة في الأجيال المتعاقبة ، وكيف وقفت أمام مسيرة الدعوة ، أحاول أن أكتب وصفها بشيء من الواقعية البحتة ، رغم شمولي بالمرارة والأسى تجاهها .

تندلع الحروب بين القبائل في البادية ، وربما بين أفراد القبيلة الواحدة ، وربما بين أولاد الأعمام ، وأيا كان الفريقان المتحاربين فالطريقة تتشابه كثيرا ان لم تكن واحدة ، وفي الغالب تبدأ الحروب بعد حدث صغير بين شخصين مثل الضربة الخفيفة ، أو اللطم ، أو الشتائم أو ما شابه ذلك مما لا يستحق الاهتمام الكبير ، ثم تتسع حتى تشمل بين قبيلتين أو بين مجموعتين من القبائل المتحالفة ، وتأخذ الحروب فسي بدايتها أشكالا من التحديات ، وأنواعا من التهديدات الخطيرة ، فكل فريق يعي " قومه تمبشة كاملة ، ويستعمل كل ما يهيجهم ويشجعهم

على اقبال الحروب والتفاني في القتال ، ويحرض بعضهم بعضا ،
وأخطر شيء في هذا المجال هو الشمس الحاسي ، وأناشيد الحروب
والأمثال السائدة في المجتمع المتعلقة بالشجاعة والاقدام على
ساحة المعركة ، مما يوصل الأفراد الى مرحلة عالية من الحواس التوهج
والتي يفقد بعدها كل أنواع الخوف ، والبهينة البدوية تتقن الشمس
الحاسي أكثر من غيرها ، وهكذا يستمد الفريقان ، وينتهي الطرفان
للحروب الفاصلة ، والدمار المقبل عليهم ، والأسلوب الغالب في هذه
المعارك هو الملايكة والتحدى ، أما أسلوب الهاجنة فهو نادر الوقوع
وخاصة في الأيام الأولى ، وهكذا تبدأ المعارك وكأنهم بهذا البيست
لا يسألون أخاهم حين يندبهم . في النائبات على ما قال برهانا
وتستمر مدة طويلة في غالب الأوقات ، ولن تنته هذه الحروب إلا بمجرد
أن تفسى أغلب الرجال البارزين في الفريقين ، ويموت الذين يشملون
الفتن ، ويقل المال ، ويهجز الفريقان عن مواصلة الحروب ، وبعد
هذا فقط تبدأ الحروب بين القبائل المتقاتلة ، ويمود الوحي للجميع
لأنهم عاجزون فقط ، ولكن الحمية العظمى أن الكل ينتظر فرصة
للانتقام والثأر للجولة القادمة ، والتي تأتي بعد كبرهولا الأبطال
الذين قتل آباؤهم وأقاربهم في الحروب الماضية ، لأنهم تربوا
ونشأوا في جو الحقد والكراهية ، ووجدوا أنفسهم في بيئة مشحونة
وملوءة بالمسداوات وروح الانتقام ، وان أمهات هؤلاء الأبطال
يقصن عليهم أنباء الحروب ، وكيف وقعت ؟ وكم قتل في كل حرب . .
وفي النهاية كيف قتل أبوه وعمه ، وتعرفه قاتل أبيه .

هذه القصص مستمرة في حياة الأطفال وهم ألوف في المجتمع

والأمهات يحرضن أولادهن دائما وأبدا على الانتقام والثأر ، ويصرون
 الثأر في نفوس هؤلاء الأبرياء حتى يكبر الطفل ويهدفه الأكبر أن ينسأر
 لوالده أو لأخيه أو لقريبه حتى يرضي أمه ويستقر قلبها ، وتنسى
 تلك الآلام الشديدة التي صاحبته في حياتها بعد فقد رب البيت
 وحمد المماناة من تربية البنات واعاشتهم ، ومن الجانب الآخر تلقى مئات
 من القصائد الشعرية والأناشيد المتعلقة بالحروب العاصية ، ويحاول
 كل فريق أن يدعي الانتصارات تلو الانتصارات ، ويتحدث الباقون
 من المقاتلين عن تفاصيل الحروب ، ويذكر كل واحد مقتوله ويفتخر بتهكم ،
 وهذه القصائد والأحاديث التي تنتشر في المجتمع بعد كل حرب من حروب
 القبائل تفرس في نفوس الأطفال والشباب روح الشاربفة مسترة ، وتشارك
 في اشتعال الحروب بين فترة وأخرى .

وهناك عامل آخر في انكاس الحروب وتعميم الشقاء في المجتمع
 وهوة الخلاف بين القبائل ، هذا العامل هو طريقة حدوث الحروب
 وتأثيرها السيء في الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

هذا العامل هو كون الحرب لا تتميز بين مقاتل وفير مقاتل ، ولا تتميز
 بين الكبار والصغار في أوقات كثيرة ، وتصل الحالة في بعض المرات
 الى قتل الأولاد الصغار دون البلوغ ، وهذا الأمر خاص بالذكر من
 الأطفال ، والذي يشير عواطف القبيلة ويشدها الى القتال والدفاع
 المستميت هو الفرار من الميوب التي تلحقها ، وخاصة بعد انتهائها
 الحروب التي هي الشغل الشاغل في أحاديث الناس جيلا بعد جيل
 بل قرنا بعد قرن .

ويجرد فترة الهدوء التي سبق الحديث عنها ، ولو غ جيل جديد
 سن الرجولة ، وحمد فناً عولاً الذين احترقوا في الحروب الماضية
 وذاقوا مرارتها ، وعرفوا مدى الخسارة التي لحقت بالجميع ، بعد ذلك
 تبدأ الجولة الجديدة ، وتأخذ فترة طويلة ومنغمس القسوة التي ذكرتها
 وهكذا تنتهي الحروب لتبدأ من جديد وتختفي آثارها لتمود ثانية
 وثالثة وما شاء الله سبحانه وتعالى أن تمود ، ومن جانب قتل الرجال
 صفارا وكبارا ، هناك غضب ونهب وسلب للأموال ، حيث ان القبيلة التي
 تقاتل تهذل أكبر مجهود ممكن للاستيلاء على أموال القبيلة التي
 تحاربها ، وتجسد لهذا الغرض الخبيث جيوشا ، وتشتري لأجلها
 الخيول التي تستخدم للمسارات الخاطفة الهادفة لنهب الابل والبقر ،
 وتؤدي هذه الفارات الى افقار قبائل بأجمعها بعد قتل الرجال ،
 وهنا تحدث الفواجع حيث يترك الأطفال والنساء و صفار الابل والبقر
 عرضة للمجاعة القاتلة ، ونهبها للوحوش الكاسرة ، وهذه الظاهرة
 تحمل في طبيعتها بؤسا لا يتصوره الآ من عاش فيها ورآها رأى المـ
 وخالط أهلها وتحدث معهم ، لأنها تسبب هلاك قبيلة أو جزء كبير
 منها في بعض الأحيان ، وهناك أحداث عديدة ومتشابهة وفي أماكن
 مختلفة أدت في النهاية الى مجاعات مدمرة ، مؤس اجتماعي رهيب .

وما يزيد الطين بلية تقييد الحروب لحريات الناس في التنقل
 بين المناطق ومن المدن ، حيث كل قبيلة تحدد لنفسها حدودا
 من الأرض مما لا يسمح للقبائل الأخرى بالاقتراب منها سواء للرعي
 أم للتجارة أم للأغراض الأخرى ، مما ضاعف من صمومة الحياة وحولها الى
 جحيم لا يطاق ، هذل وجه الحياة ، وأفقد رونقها وهجتها ، حيث

الذعر والخوف الدائم ، وعدم الاستقرار هو سيد الموقف ، والاضطراب الناتج عن هذه الحروب لا يقتصر على المقاتلين فقط ، بل يمتد تأثيره الى فروع العلاقات الاجتماعية المتشعبة ، وتشتق بهذا البنية الاجتماعية ، وتتفكك أو اصرعها ، ولأجل هذه الحروب تقطع الأرحام ويقتل الرجل خاله أو ابن أخته أو زوج أخته ، مما يؤكد أن الهبوط الأخلاقي في القيم الانسانية قد يتجاوز كل الحدود المعقولة ، والتفكير السليم ، لأنه لا يحقل أن يقتل الرجل خاله لأجل كونه من قبيلة أخرى ، والمجتمع الصومالي مليء بحمل هذه القصص والأحداث التي تشير الى قتل الأرحام والأقرباء بسبب هذه المفاهيم الشاذة في حس الانسانية ، وهناك قصة متداولة في بعض المناطق تبرهن على مساواة القلب وعظم الجريمة السني يرتكبها بعض المجرمين الذين لم تذوق قلوبهم لذة الايمان ، ولم يعرفوا الفضيلة في حياتهم .

وخلاصة هذه القصة : أنه كانت حرب بين قبيلتين فاشتدت الحرب فحلف أحد رؤساء إحدى القبيلتين بأنه يقتل كل من يراه اليوم ممن يعيشون في منطقة القبيلة الأخرى أو شرب من مياهها ، وكان يقود جموعاً من قبيلته حتى وصلوا الى المنطقة التي حلف بها ، ففض الجيش على شاب فأتوه الى ذلك القائد ، ففوجئ بأن الشاب ابن أخته ، فلما رأى الشاب خاله فرح وصاح ، وتوقف الجميع عن تنفيذ العملية ، فنظر القائد الى أفراد جيشه فوجه اليهم كلاماً شديداً ، ووجه الى ابن أخته كلاماً قاتلاً : يا ابن أختي اني حلفت اليوم ألا أنقذ أحداً وقع في يدي ، فأمرهم بقتله ، فقتل الشاب بأمر من خاله . هذه قصة واقعية يعرف كل شخص بطلها ، وفي مكانها وزمانها ، فهي واحدة من الأحداث المؤلمة التي تحزننا كثيراً

وان دلت على شيء فانما تدل على أن الجاهلية البغيضة باقية في قلوب بعض من ينتسبون إلى الإسلام وأهله .

والأمر الذي نختم به هذه الفقرة ، هو أن هذه الأعصاال الاجرامية عند ما تظهر في المجتمع تختفي القيم والأخلاق الإسلامية ويخيل اليك أن هذه الأمة أمة جاهلية لم يدخل الإسلام في قلوبها ، وهذه الظاهرة تشتت كثيرا من العلماء ، حيث تجد أن بعض العلماء في أصون الناس يشتركون في صناعة الإجرام وأشغال الفتنة بين القبائل بسدال القيام بالمصالحة والوساطات الخيرية ، فهؤلاء يعرضون على الفتن ويحللون ما حرم الله ، ويهجون القتل والنصب باسم الإسلام ، بل يشارون القتال أحيانا مما يحطى قلبه اندفاعا جديدة إلى الظلم والفساد ، وتستدل العامة بأقوالهم وأفعالهم ، مما دنس سمعة العلماء العاطلين في حقل الدعوة والتدريس ، وبسبب هؤلاء الذين تحكمهم شهواتهم ويتمون أهواءهم ضل كثير من الناس عن الصراط المستقيم ، وحكم هؤلاء الضالين في الشريعة الإسلامية معروف لدى أهل العلم .

وهناك أمثلة تتعلق بهؤلاء وتدلل على أنهم ليسوا على جادة الحق حتى تحولت هذه الأمثال بعد ذلك إلى أمثال يستدل الخبيثاء ضد العلماء قاطبة ، ومن هذه الأمثال - وردت باللفظة الصومالية وأترجمها - :
 أ - " الفقيه لا يخالف رأى قومه ولو يؤدي ذلك إلى دخول النار " .
 وهذا يوافق الشعر العربي القائل :

وهل أنا إلا من غزوة ان غوت . غويت وان ترشد غزوة أرشد

ب - " الفقيد لا يفقد القول الذي يحلل به كل شيء " .

أى أنه يحلل كل ما حرمه الله ، ويسند ذلك إلى العلم والكتب المعتمدة .

ورغم أن هذه الطائفة المنحرفة لا تمثل العلماء ، إلا أنها أثرت تأثيرا خبيثا في بعض المناطق ، لأنهم يحطون لقب العلم والعلماء ، وكأنهم يحطون الحديث (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) بالمعنى الجامعي الذي يأمرك أن تقف الى جانبه مهما كان الأحر.

وهذه النبذة تكفي أن تبرهن أن القلبية مرض خطير جدا ، وأنها مشكلة لم يجد لها المجتمع حلا حتى الآن ، وان مرضها متوارث جيلا بعد جيل ، وتدارس المجتمع ، ويذكر الأب ابنه بواسطة الشعر أو الحديث الشعبي الذي تنتقل أخباره بين الجمهور بسهولة ويسر .

هذه هي القلبية في المجتمع البدوي الذي لم تتغير حياته الاجتماعية .

أما المصيبة في المدن ، وكيف تطورت ؟ وعمل ارتفع وعي الناس في المدينة ؟ .

فمما لا شك فيه أن الحياة المدنية وظروفها وطريقة معيشة الناس في المجتمعات المدنية ، كل ذلك يلعب دورا بارزا في تفسير كثير من أنماط الحياة ، ويهذب السلوك الفردي وأخلاقه ، ويكون مفاهيم جديدة تفرغ على الفرد تفسير طريقة تعامله مع الآخرين ، وبالتالي فان الأنظمة والقوانين التي تحكم بين الأفراد تحدد كثيرا من الأمور ، وتقيد كثيرا من الأفعال التي يمارسها البدو بصورة عفوية وبدون قيود أو مراقبة .

لذلك فان المجتمع المدني في الصومال أحسن من المجتمع البدوي لأن كثيرا من الأفعال والأعمال التي كانت موجودة في المجتمع البدوي انعدمت في المدن والقرى وخاصة الاقتتال المستمر بين القبائل والشار

والانتقام ، لأن بعض العوامل السيئة المسببة في هذا الأمر
غير موجودة في المدن ، ومع ذلك فإن المجتمع المدني صاحب بهمض الأمراض
القبلية ، وتظهر أعراض تلك الأمراض إذا أتاحت لها الفرصة ، وخاصة
في الانتخابات ، ففي هذا المجال نذكر بهمض الأمثلة :

فبعد استقلال جمهورية الصومال عام ١٩٦٠ م اتهمت الدولة نظام
الانتخابات الحرة المبني على التنافس والسابقة ، فتكونت أحزاب لهذا
الغرض حتى بلغ عددها فوق السبعين . وعندما تكون في البلاد أكثر
من سبعين حزبا سياسيا ، ولكل حزب فروع في المقاطعات ، تحولت
البلاد الى كتلة من الفوضى ، فقد يبلغ عدد المرشحين آفا ، مع
أن المطلوب لا يتجاوز مائة وعشرين شخصا ، وكل هؤلاء المرشحين يعتمدون
على أفراد قبائلهم فقط .

ومن غرائب هذا الأمر أن إحدى القبائل اختارت نائبا نصرانيا
من قبيلتهم واسمه " مايكل مريم " رغم أنه الوحيد في القبيلة ، أي أن
" مايكل مريم " هو النصراني الوحيد في القبيلة ، بل لا يوجد نصراني آخر
غيره في المجتمع الصومالي فيما هو ظاهر ، أما الخفايا فلا يعلمها إلا الله
سبحانه وتعالى .

وهذه الظاهرة ترسم لنا صورة واقعية عن المجتمع ، ومدى الجهل
الذي يتصفون به ، وكيف أن المجتمع عار عن القيم الدينية عند ظهور المصيبة
لأن هذه القبيلة تختار هذا النصراني ، لأنه من القبيلة ، ولا يقيمون وزنا
للقيم الدينية رغم تسكهم بالشعارات التعمدية مثل الصلاة والصوم والزكاة
والحج ، إلا أنهم إذا لم يجدوا شخصا كقوا لهذا الغرض من القبيلة

غير النصراني فانهم يفضلون كل من سواه من القبائل الأخرى .

والجدير باللاحظة أن القليسة ظهرت في المدن بشكل المحسوبيات في الدوائر الحكومية ، وفي اختبار المناصب ذاتها وتشغيل المواطنين ، ويلاحظ كيف تظهر القيادات الخاصة والتي لا تحسن شيئاً في قمة الوظائف الإدارية والوزارات ، وفي كل جانب من جوانب أعمال الحكومة مما يتنافى مع الأخلاق الإسلامية والقيم الرفيعة ومبادئ المدالة الاجتماعية التي تقتضي الانصاف والرحمة والشفقة على الأمة ، وهذه ظواهر شهيرة في المجتمع يدركها الجميع بوجودها وبشمر كل فرد برارتها ، ويدوق ويلاتها جميع طبقات الأمة بمختلف وظائفها حيث يتحدث الناس عن كيفية الخروج ويحثون علاجاً لها ، ولا علاج لهذه المشاكل المستعصية إلا أن يرجع الناس إلى الإسلام وتطبيق أحكامه وأخلاقه النزيهة ، ذلك الإسلام الذي جاءه رحمة للمالين ، قال تعالى في هذا الشأن ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْمَالِسِينَ))^(١) ، والذي أوضح طريق الكرامة ، وحدد مقاييس الشرف والكرامة ، قال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ طَبِيعٌ خَبِيرٌ))^(٢) .

الفقرة الثالثة : موقف الإسلام من العصبية :

أما موقف الإسلام من العصبية فهو موقف واضح وجلي كل الجلاء ، فالإسلام عندما جاء إلى البشرية الفارقة في أحوال الشرك والضلال الفارقة

(١) سورة الأنبياء - آية : ١٠٧ .

(٢) سورة الحجرات - آية : ١٣ .

في أحوال كل صنف من أصناف الجاهلية البغيضة ، جاءت أحكامه وتوجيهاته لتخليص البشرية من أمراض الجاهلية المستحكمة ، والعصية كانت شعبة من شعب الجاهلية ، وربما كانت من أخطر الشعب الجاهلية بما لها من دمار وخراب في بناء المجتمعات البشرية التي يؤمننا هذا ، فالإسلام عالج الموضوع بصفة جذرية ، ولم يهادن العصية منذ اللحظة الأولى ، وجعل أساس الروابط بين المسلمين ، نابعة من الإسلام ، وجعل ولا المؤمنين فيما بينهم وأقر لهم أن المؤمنين أمة واحدة دون ما سواها من الأمم ، وأن العبرة في شئون المؤمنين هي التزامهم بهذا الدين الحنيف وتعاونهم فيما بينهم كما قال الله عز وجل ((وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدَّقْتُم مِّنَ السَّجْدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (١) .

ولما جاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى يثرب مهاجراً ، كان أول عمل تنظيمي في شئون المجتمع وعلاقات الناس فيما بينهم ، كتابته بين المهاجرين والأنصار ، وموادعة اليهود ، وهذا الكتاب حدد أموراً مهمة في حياة المجتمع ، ووضع مفاهيم لم يعرفها المجتمع العربي قبيل ذلك وغير أسس العلاقات الجنية على القبلية والعصية ، التي أسس عادلته تعطي ولا الفرد كله الإسلام ، وحتى تتضح هذه الأسس الجديدة ننقل بعض فقرات كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يقول ابن اسحاق في السيرة النبوية : " وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم

(١) سورة المائدة - آية : ٢ .

وأموالهم واشترط لهم واشترط عليهم ، وأذكر ما ورد باختصار : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم — من المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم — انهم أمقواحدة من دون الناس — حتى قال — وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء^١ أو عقل ، وأن المؤمنين الحقيقين على من بهى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين — وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدانهم — وأن المؤمنين بعضهم موالى لبعض دون الناس ، وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وانكم مها اختلقتم فيه من شيء^٢ فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم) (١) .

هذا هو النظام الشامل الذي وضعه الإسلام وحدد معالمه لكي يمشى المجتمع الإسلامي والفرد المسلم على السواء ، وهو النظام الذي هدم صروح الجاهلية ، وقوض أركانها من الأساس ، وبهذه الطريقة الواضحة في شأن العلاقات بين المؤمنين ، وفي شأن العلاقات بين المؤمنين والكافرين من جانب تبين أن المسلمين مها اختلقت ألوانهم وقبائلهم ومها تباعدت

(١) السورة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٥٠١ - ٥٠٣ ط الثانية

أوطانهم ولادهم أمة واحدة في جميع شعوبها ، وهذا المنطلق يجب على المسلمين أن يكونوا بيدا واحدة على أعدائهم وأن يكونوا بيدا واحدة في تعاونهم فيما بينهم ، لأن الأخوة الإسلامية تقتضي ذلك .

وأن ما ينشأ من خلافات داخل المسلمين ، فإنها خلافات بين الأخوة المتحابين ، فيجب اللجوء إلى الحكم الإسلامي ، قال تعالى ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخُوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (١) .

وان الأخوة التي هي المقياس الحقيقي الذي يتعامل المسلمون على ضوءها تستلزم الموالاة المطلقة والمواساة والنصح فيما بينهم ، ومحاربة الفساد والمنكرات ، وترغيب الأمور كما وردت الآية الكريمة ، قال تعالى ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (٢) .

أما التفاخر بالأنساب والاعتزاز بالآباء والأجداد ، فقد ألفى الإسلام هذه المفاهيم ووقف الناس على معنى واضح لا تشبهه شائبة ، وهو أن الأفضلية بين الناس جميعا لا تقوم على الأنساب ، بل هي قائمة على تقوى الله عز وجل ، والالتزام بالضيق الإلهي ، وأن الأفضلية لا تتمسرف بالأمور المادية مثل الغنى وكثرة النسل وشهرة الجاه ، وانما هي كما قال الله عز وجل ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

(١) سورة الحجرات - آية : ١٠ .

(٢) سورة التوبة - آية : ٧١ .

شُمُوهَا وَقَبَائِلُ لَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ (١) .

ثم وضع للناس أن هذه الأنساب لا تنفعهم في شيء ولا تنقذهم
من عذاب الله وعقابه يوم القيامة ، كما قال تعالى ((فَإِذَا نُفِخَ فِي سِيَ
الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)) (٢) .

ومع هذا الوضوح الذي ورد في القرآن الكريم ، أكدت السنة
النبيهة الشريفة هذا المعنى ، وحذرت المؤمنين من اتیان المصيبة البغيضة
ووصفت المتمصبين بأنهم لمسوا من المؤمنين الحقيقيين ، ولقد تبرأ منهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (ليس منا من دعا إلى عصبية
وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) (٣) .

هذا هو موقف الاسلام من العصبية وهي تشمل القبلية والقومية
وكل عمل لا يرضاه الاسلام من أنواع التمصب ، ولقد فسّر رسول الله صلى الله
عليه وسلم معنى العصبية في هذا الحديث :

(عن واطة بن الأسقع قال : قلت يا رسول الله : ما العصبية ؟ قال : أن
تحمين قومك على الظلم) (٤) . ان هذا الوصف ينطبق تماما على ما نشاهد
اليوم في كثير من المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، ومن بينها الصومال

(١) سورة الحجرات - آية : ١٣ .

(٢) سورة المؤمنون - آية : ١٠١ .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه أبو داود .

التي تحدثت عن حالتها الاجتماعية ، وكيف ان المصيبة هي سيدة الموقف حتى طفت على كل المعاني الجميلة والقيم الرفيعة ، واذا كان هذا موقف الاسلام من المصيبة ، وهو واضح جدا ، فماذا يكون موقف المجتمع من الاسلام ؟ .

انه موقف غريب يجب أن يفكر فيه كل مسلم غيور ، وكل مفكر يدرك أبعاد الخطورة الناجمة عن التصرفات الخافية لحقيقة الاسلام ، وكما له .

وهذا الموقف قد جر المجتمع الى انهيار كبير وهبوط حاد في جوانب الحياة ، وقد يوصل الأمة الى نقطة قد يصعب الحل بعدها ويندم الجميع حيث لا ينفع الندم ، ولا تنفع الحسرة بعد نزول الصائب التي تمنع الصالح والطالح ، كما يصف ذلك القرآن ((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً . . .)) (١) .

وقبل أن تتم هذه المصيبة يجب على الأمة أن تعود الى رشدها وصوابها وتترك التعصب الذي يجرها الى خسارة في الدنيا والآخرة كما قال الله جل وعلا في كتابه العزيز منذرا ومحذرا لهؤلاء الذين يتهاونون على دينهم من وهلات العقاب ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (٢) .

لقد أصاب هذه الأمة أنواع من الفتن المحزنة ، وجلبت الكوارث على نفسها ، وما المصيبة والفتنة والعذاب الأليم اذا لم يكن موت هؤلاء الافاضل المصيبة ودعوة الأمة الى العصبية وبذل الأنفس والأموال

(١) سورة الأنفال - آية : ٢٥ .

(٢) سورة النور - آية : ٦٣ .

لهذا الغرض الخبيث الذي يؤدي في النهاية الى عذاب شديد ؟ كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا اختلف السلطان بعينهممسا
القاتل والمقتول في النار) .

الفقرة الرابعة : مواقف تستحق الثناء :

ان ما ذكرته عن المصيبة التي اصبحت جزءا لا يتجزأ عن الحياة
الاجتماعية ، والتي سيطرت على بقية النظام الاجتماعي هو الموقف الغسالب
في حياة الأمة ، الا أنه من الضروري أن أذكر ولو بإشارة أن هناك مواقف
محمودة تظهر في المجتمع ، وتعيد بعض الأمل في نفوس الناس ، وهذه المواقف
التاريخية عن بعض أهل المسلم الذين وعبوا أرواحهم وحياتهم
لاصلاح ذلك الفساد المستشري في المجتمع ، وتلخص مواقفهم النبيلة
فيما يأتي :

أ - نشر العلم والثقافة الدينية بين الناس ، وتأسيس مجالس لهذا
الغرض ، يتولى العلماء دراسة العلوم الدينية ، ويكثرون من خلال
التدريس الوعظ والارشاد محاولين تلميع قلوب الناس للحق حتى
يبتعد الناس عن الشر الذي هم فيه .

ويخص بعض الشايخ جولات بين القبائل للوعظ والارشاد
وهذا الأسلوب يتقله البدو بسرعة ، وساطفة جياشة مما يساعد
على اخمد الفتن بين الناس ، وهي ظاهرة منتشرة في كثير من
المناطق حتى اكتسب هؤلاء العلماء سمعة طيبة واحتراما كبيرا
بين الأهالي .

ب - وهناك طريقة ثانية يستخدمها العلماء ، وهي تكوين مجموعات من كبار العلماء في أوقات الأزمات التي تحدث بين القبائل وتساقر الى القبائل المتحاربة ، وتنزل عندهم للصلح بين هؤلاء المتحاربين ، وتستمر سيرة الصلح مدة طويلة ، وربما تنجح بسرعة متناهية ، ولقد نجح العلماء في وساطات كثيرة بايقاف الحروب الدامية ، والشاحنات .

والصوماليون يعرفون موقف العلماء المشرف ، وخاصة هؤلاء الذين عرف عدلهم وبعدهم عن سائدة القبلية ، ووقوفهم الى جانب الحق ، ومن أكثر الناس شهرة في هذا المجال فضيلة الشيخ عبد الرحمن الزلمعي ، الذي يهود اليه الفضل الأكبر في نشر العلوم الاسلامية ، وحفظ القرآن الكريم في مناطق واسعة من البلاد الصومالية ، ولقد خصص جزءاً كبيراً من مجهوداته للصلح بين الناس ، وكان موفقاً بصورة كبيرة ، وقام بعدة طلابه بدور بارز في اخماد الفتنة والحروب - وستأتي ترجمة لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الزلمعي في الباب الثاني ان شاء الله تعالى . -

وخلاصة القول : ان القبلية منتشرة ، وغيّرت وجه الأمة ، حتى اختلفت المعالم الخيرية والقيم ، وحولت الأمة الى قطع غير متجانسة ، لا يلتزم لها شئ ، ولا يندمل لها جرح ، وأنها وصمة عار في جبين الأمة ، وهي عقبة كبيرة تقف حجر عثرة في سبيل انتشار الاسلام وتعميم علومه رغم أنها ليست المقبة الوحيدة أمام هذا الدين ، بل هناك عقبات أخرى .

الصلح الثالث

((أفرا الأنظمة الوطنية في مسيرة الدعوة))

أثر الأنظمة الوطنية في مسيرة الدعوة

=====

في الفترة التي سبقت الاستقلال وجملاء الاستعمار ، كانت هناك ظواهر مشجعة ومفرحة للغاية ، ومن هذه الظواهر : وحدة الأمة الصومالية وتكاتفها وتعاونها في حرب الاستعمار وطرده من البلاد ، وكان هذا الشموعا في جميع مناطق الصومال ، مما خلق جوا مناسباً ولائماً لنشر الدعوة والأخوة بين الناس ، حتى تكونت وحدة قوية لم يعرف الصوماليون من قبل حتى كادت القلبية تختفي ، وطلت الشاحنات والشاغل الاجتماعية ، وقد لعب العلماء دورا بارزا في نشر الاخاء بين الناس وتوحيد الصفوف وتمهئة المجتمع للجهاد .

هذه الظواهر التي برزت في تلك الفترة والتي وحدت النشء وفهرست فيهم روح المحبة والاخاء كانت من نتائج الجهاد ضد المستعمرين ، ومن فضائله الكثيرة ، وكانت الآمال عريضة في مستقبل الأمة التي طال انتظارها وشوقها للحرية والاستقلال ، وكان الناس يتوقعون من الحكومة التي تخلف الاستعمار أن تنفذ شريعة الله في البلاد ، وأن تتخذ القرآن الكريم منهجا للحياة ، وأن تلغي تلك القوانين الجائرة التي جاءت من الأنظمة الاستعمارية البغيضة ليعم العدل الاسلامي في البلاد .

هذه هي الأمنية الكبيرة ، والأمل المرتقب ، هل تحقق الأمل

المرتقب ؟ .

لقد أطن الاستعمار رحيله عن جزأين من المناطق الخمسة التي قسمت بها الصومال سنة ١٩٦٠ م ، واتحد الجزآن وكونا ما عرف بعد ذلك

بجمهورية الصومال في نفس العام ، وهذه الخطوة تحقق جزءاً من
الآمال الواسعة التي كان الصوماليون يحلمون بها منذ مدة طويلة ،
وكانت فرحة عظيمة في نفوس الناس ، وبعد الاستقلال بشهور قليلة
بدأ المجتمع وخاصة العلماء ومن ورائهم غالبية المجتمع يطالبون بتنفيذ
حكم الله ، وحمل القرآن الكريم الدستور الرسمي للبلاد ، ونفذ
القوانين الوضعية التي صاغها الاستعمار للصومال ، ولم ترفض الحكومة
الصومالية هذه الفكرة طناً ، ولم تنفذها ، بل وعدت وعوداً كثيرة
وصرحت بأنها ستنظر الموضوع بعين الجسد ، ولكن موقف الحكومة كان
تسماً بالتردد والمراوغة حتى تبدأ أعصاب الناس ، وتوهم بأنها في
طريق الحكم الاسلامي ، وأنها تدرس الموضوع بكل اهتمام وعناية .

ولقد مرت سنوات عديدة ولم تنفذ الحكومات المتعاقبة شيئاً من
هذا ، بل استمر الحال كما كان ، وحزب من الوعود الهراقة التي
لم يخل منها مسئول صومالي ، وخاصة الرؤساء والوزراء والمسئولون
الكبار ، لأن هؤلاء المسئولين يدركون أن قسماً كبيراً من شعبيتهم
يتوقف على مدى حمايتهم للاسلام ، ومدى خدمتهم لهذا الدين ، حتى
أظن أحد المرشحين وهو عبد الرشيد علي أنه اذا انتخبه الشعب لمنصب
الرئاسة - وهو أعلى سلطة في البلاد - فإنه سيطبق الشريعة الاسلامية
ويُلغى القوانين الوضعية ، ويوحد البلاد ، وبعد اجراء الانتخابات
بين المتنافسين عام ١٩٦٧ م أصبح عبد الرشيد شرمارك هو الفائز
بمنصب الرئاسة ، وعين رئيساً للجمهورية ، واذا نظرنا الى حقيقة
الأسباب الكامنة وراء فوز عبد الرشيد بهذا المنصب ، فانا نجد أن أقوى
الأسباب في ذلك هو اعلانه بأنه سيطبق الشريعة الاسلامية ، ولقد تأثر

العلماء بذلك تأثرا بالغا ، واشتركوا في الانتخابات ، ووقفوا بجانب
 عبد الرشيد حتى تمكن من الفوز بمجهود الملما ، وتأيدهم المسلمي
 طوال فترة الترشيح حتى نهاية الانتخابات .

ولقد امتدت هذه الفترة مدة تسع سنوات ، ولم تنقطع جهـود
 العلماء في مطالبة وضع الشريعة الاسلامية موضعها اللائق ، وكانت
 هذه الجهود تأخذ أحيانا بأشكال من الحاديات والمظاهرات التي
 يقودها العلماء لأجل ذلك الفرض ، والتي أدت في بعض الأحيان
 الى اعتقال بعض الشيوخ والفكرين البارزين ، ومن هؤلاء الذين
 قادوا المسيرات لأجل الاسلام ، ولأجل جعل اللغة العربية لغة
 الدولة الشريف محمود عبد الرحمن رئيس الرابطة الاسلامية في
 الصومال آنذاك ، وكان من المجاهدين ضد الإيطاليين ، ومن أشهر
 الشخصيات في الدعوة الى الله ، وخاصة كان حماسه لأجل اللغة
 العربية منقطع النظر ، لأنه كان يرى أن اللغة جزء لا يتجزأ عن
 الاسلام ، وأنها لغة رسمية للشعب الصومالي ، وسأذكر طرقا من
 كفاحه وسيرته في الباب الثاني باذن الله تعالى .

ورغم هذه المطالبات ، وتلك المظاهرات والمسيرات ، فإن
 الحكومات المتعاقبة لم تفعل الواجب ، ولم تعمر لهذه المطالب أذنا
 صافية ، بل ظل الحال في مكانه ، والشئ الذي لم يخدم الأمل في
 النفوس هو أن الشعب كان يرجو دائما وأبدا أن يتخذ البرلمان
 الصومالي موقفا لصالح الشريعة ، بالاضافة الى أن الوعود المتلاحقة
 والتغييرات الحكومية المستمرة ، والتي تأتي بعد خمس سنوات مرة
 أعطت الشعب أملا كبيرا في هذه المسألة ، وأقنمته بضرورة الانتظار حتى
 يتحقق الموعود وتنحل العقدة .

وهناك في الفترة التي سبقت الثورة من عام ١٩٦٠ م حتى عام ١٩٦٩ م احتدم صراع خفي ، ولكنه قوى بين الملما* وبعض المثقفين بالثقافة الغربية بشأن اللغة الرسمية في البلاد ، حيث أن هؤلاء* المثقفين بالثقافة الأجنبية يرون ضرورة الحروف اللاتينية ويقترحون أن تكون اللغة الصومالية هي اللغة الرسمية وأن تكون الحروف اللاتينية هي الحروف المختارة لكاتب هذه اللغة لأنهم مفتونون بشكل ما هو غربي ، وهؤلاء* لا يجدون دعما قويا من الأمم المتحدة التي حاولت آنذاك أن تبعد العربية عن الصومال ، وقرار الحروف اللاتينية في الصومال * وقد سبق أن أجرت لجنة الوصاية التابعة للأمم المتحدة استفتاء* في الصومال قبل الاستقلال عن اللغة التي يختارها الشعب ، فأجمع رأى الأعيان وممثلي الأمة على أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، ولا يزال مفعول هذا الاستفتاء قائما ، وعلى الرغم من مضي سنوات عليه فلم يتم تنفيذه حتى الآن ، فاللغة العربية لا تستعمل إلا بصفة جزئية في الدوائر الحكومية ، وغالبا ما تكتب إلى ^{جانب} اللغة الإيطالية ويحاول بعض المفتونين بالثقافة الغربية من تعلموا في المدارس الإيطالية أن يكتبوا اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية* . (١)

والأمم المتحدة لم تترك الصوماليين وشأنهم في اختيار اللغة المناسبة لبلادهم ، ولم تكف باجرا* الاستفتاء المذكور ، بل وضمت حروفا

(١) محمد بن ناصر المبودى : في إفريقيا الخضراء ص ٣٥٠ - ٣٥١ ط الثانية .

لا تهيئة للغة الصومالية ، وألفت في تلك الحروف كتباً تتضمن أثمان الصوماليين وحكمهم وبعض القصص الشعبية ، وأدخلت هذه الكتب بحكميات هائلة فسي مختلف مناطق الصومال ، وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك محاولات متكررة من قبل الدول الاستعمارية لاقرار هذه الحروف ، وكانت مناقشات البرلمان الصومالي حول موضوع اللغة مثارا للجدل العنيف ، لأن بعض النواب تحسوا لهذه الحروف بما يماز من القوى الأجنبية مثل الأمم المتحدة وغيرها ، ولكن الشعب الصومالي رفض رفضاً قاطعاً ، وقاد العلماء سيرات قوية يصرحون فيها عن رفضهم وينادون بضرورة اقرار العربية كلفة رسمية في البلاد ، وكان للعلماء موقفهم وكانت كلمتهم مسموعة لدى أوساط الشعب مما أجبر هؤلاء على تأخير مشروعهم وانتظار فرص أخرى خوفاً من نعمة الشعب بقيادة العلماء الذين يطالبون باللغة العربية كما يطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية ، لأنها جزء منها ، وهي لغة القرآن والسنة وتراث الإسلام ، وهناك رأي عام صومالي وهو رأي عام مسلم ، ولا يعني باللغة العربية بديلاً ، وللشايخ ورجال الدين من خطباء المساجد ، وعلماء القبائل تأثير كبير على العامة بحسب له كل من قدم إلى الحكم في الصومال ألف حساب ، وإذا أراد بعض الحكام اقرار شيء مخالف قاعدة ظاهرة من قواعد الإسلام فإن أولئك الشيوخ والعلماء والخطباء لهم بالمرصاد ، فما أن يحركوا الشعب حتى يتراجع الحاكم وينتهي كل شيء ، هذا مع العلم بأن الحكام الصوماليين حتى المستقون منهم ثقافة عربية أكثر الحكام في البلاد الإسلامية في أفريقيا تمسكاً بالإسلام ، والتزاماً بالسعي لما فيه رفعة

شأنه . (١)

هكذا كان الوضع ممتدلا ، وكان المجتمع محتفظا بهيئته الأصلية ، ولم يحدث كثير من التفسيرات الجذرية بعد الاستعمار الذي أفسد ، بسبب كانت الدعوة تنشط في المجتمع وتستمر في سيرتها وحيويتها رغم خيبة الآمال التي صاحبت الاستقلال ، والتي فقد الناس آمانيهم في تطبيق الشريعة الإسلامية وقرار اللغة العربية بصفة رسمية ، لأن النشاطات الدينية مثل الكتائب وحلقات المساجد بمختلف الفنون ، والوعظ والارشاد والمحاضرات الدينية ، والمدارس العملية ، وغير ذلك من أنواع الأنشطة احتفظت بطابعها التقليدي ، ولم تفرض الحكومات خلال التسع السنوات الأولى من الاستقلال أي نوع من أنواع القيود والمضايقات التي تحد من نشاطاتها بل استمرت على ما كانت عليه منذ القدم ، وهذه الفترة كانت متقاربة بل يعتبر فترة واحدة لأن الحكم السائد في تلك الفترة كان حكما برلمانيا ، وليس لرئيس الجمهورية نفوذ خاص ، وإنما البرلمان هو الذي يبت في المواضيع الآ في حالات نادرة ، ولذلك كانت فترة ذهبية للدعوة الإسلامية ، وإن حرية الدعوة كانت متوفرة بشكل واسع ، ولكن الدعاة لم يستغلوا تلك الفرصة السانحة التي لم يصرف الصومال لها مثيلا ، والسبب الأكبر يعود إلى قلة المثقفين ثقافة عالمية والتي تمكنهم من سيطرة الأوضاع والاستفادة من الفرص بالطريقة المثلى ، وبالعكس استفاد بعض المنحرفين الشيوعيين ، وخلقوا كوادرفي المجتمع لم يتنبه المجتمع إلى خطورتها إلا بعد فوات الأوان ، وانتهت هذه الصدمة بحسناتها وسيئاتها ، وأسدل الستار على فترة متازة نادرة الحصول

(١) محمد بن ناصر الصبوي : في إفريقيا الخضراء ص ٣٥١ .

في عصر التناقضات والدكتاتوريات وفي عصر الاستبداد .

وجاءت المرحلة الثانية بمجيء الثورة صبيحة ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٩ م ، وهي مرحلة مذهلة بما حطت من عظام الأحداث وعجائب الأمور ، وتمتد فترة تفسيرات هائلة في هيكل المجتمع بصورة عامة حيث لم يخل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية من هذه التفسيرات مع تفاوت بين جانب وآخر .

فالثورة جاءت بواسطة انقلاب عسكري بعد أحداث أدت الى اغتيال رئيس الجمهورية عبد الرشيد علي بصفة مفاجئة لم يعرف الشعب الصومالي تفاصيله حتى الآن ، وبعد هذا الحادث بخمسة أيام فقط سيطر العسكريون على الحكم مباشرة وأعلنوا فوراً أنهم جاءوا الى الحكم لانقاذ البلاد من الفوضى ، وأنهم متمسكون بجمادى الشريعة الاسلامية ، وأنهم سيحاربون كل أنواع الفساد ، وكرروا هذه الجمادى مستفيدين من الشعور المؤسف الذي خلقه عدم تطبيق الشريعة من جانب ، والفوضى السائدة في المجتمع التي لم يستطع البرلمان والحكم من إيجاد الحلول المناسبة لها من جانب آخر ، وهذه التصريحات الملنية بين فترة وأخرى اكتسبوا الرضى من أغلبية الشعب ، ووجدوا تأييداً قوياً من الطبقات الفقيرة التي لم تجد العناية الكافية من الحكومات السابقة ، وبعد سنة واحدة أعلن العسكريون أن الاشتراكية هي النظام الأساسي لاقتصاد البلاد ، وكان هذا الاعلان في أول احتفال بعيد الثورة عام ١٩٧٠ م . وكانت هذه بداية سيئة للشعب الصومالي ، وبعد هذا الاعلان كان اتجه الثورة واضحاً كل الوضوح ، وهو اتجاه الى الاتحاد السوفيتي والدول الشرقية الشيوعية التابعة له .

والتفسيرات السياسية كانت هي الأولى من جطة التفسيرات الجذرية التي حدثت في البلاد ، فالثورة أظنت " أنها اشتراكية ، وأن اشتراكيتهما ليست اشتراكية صومالية وافريقية ، وغير ذلك ، بل ان اشتراكية الثورة هي اشتراكية طمعية بحتة ، وأن جميع الذين يدعون اشتراكيات أجرى جنباء " (١)

هذه جطة من خطبة طويلة خطبها الرئيس الصومالي محمد سيياد بري في السنة الثانية من انقلابه الذي تولى على اثره قيادة البلاد ، وهذه الخطبة استمر كتابتها في الجريدة أكثر من عشرين يوما ، وكان العنوان البارز في تلك السلسلات من خطاب الرئيس (لرفع الراية الماركسية اللينينية) ومد تلك الخطبة أصبح الاتجاه مكشوفاً ، والهدف واضحا ، وترتبت أمور كثيرة بتفسير الاتجاه ، وأعقب حوادث متتابعة في المجتمع ، وبرزت تفسيرات لم تكن في الحسبان في يوم من الأيام شطت نواحي الحياة وغيرت تفكير الناس وأساليب حياتهم ، وألقت جوا من الرعب .

فالتعليم كان من أكثر الجوانب تأثرا في الاتجاه الجديد ، لأن الثورة بدأت خطواتها الأولى بوضع نظام جديد للتعليم ، ومنهج يتفق مع ما تريده الثورة ، وهو تنفيذ الأنظمة الاشتراكية جطة وتفصيلا ، وفي السنة الثانية شنت الدولة حملة واضحة ضد المعاهد الدينية والمدارس الشرعية باختلاف أنواعها ومراحلها ، حيث أمت جميع تلك المرافق التعليمية وحولتها الى مدارس حكومية من جميع الجوانب ، ومن بين هذه المعاهد والمدارس التابعة للحكومة المصرية في ميتين منفصلتين احداها هي البعثة التعليمية المصرية التابعة لوزارة التربية والتعليم للجمهورية المصرية المتحدة كما كان

(١) نجمة الكهر الجريدة الرسمية للدولة .

الاسم آنذاك - جمهورية مصر العربية حاليا - ، والثانية هي البعثثة الأزهرية التابعة للأزهر الشريف ، وكانت عذو المرافق التعليمية شملة تبسدد الظلمات في أرجاء الصومال ، لأنها كانت تتنافس مع المدارس الحكومية منافسة قوية من حيث الكم والكيف ، وكانت شهرتها واسعة جدا بين الصوماليين لكونها مشتطة على الابتدائية والاعدادية والثانوية ومعهد المعلمين فسي مقدشو ، ولكون فروعها منتشرة في المدن والقرى ، وابتماث العشرات من التخرجين من هذه المدارس والمعاهد الى مصر لكمال تعليمهم الجامعي هناك ، وكأى بلد استقل حديثا في العالم الثالث اعنت الصومال بالنهضة التعليمية والثقافية ، ولما كانت الثقافة المصرية الاسلامية هي ثقافة مسلمي الصومال " فقد وقعت الصومال فور اعلان استقلالها اتفاقية ثقافية مع مصر رائدة النهضة الثقافية في العالم العربي والاسلامي في ذلك الوقت ، وبموجب هذه الاتفاقية أنشأت مصر ما يزيد على ٣٥ مدرسة عربية يعمل بها ٦٥٥ معلما مصريا ، هذا بالاضافة الى بعثة الأزهر ، والمدرسين المصريين في المدارس الحكومية ، كما فتحت مصر أبواب معاهدها وجامعاتها للبعثوثين الصوماليين ، وان مصر كانت تنفق على مدارسها في الصومال طيوناً ونصف الطيون من الجنيهات سنويا (١) .

اذا أدركنا هذه الأرقام المذهلة ، والمساعداات السخية والسياتي قدتها مصر الى الصومال ، انها مجانية وبدون مقابل ، بحق للمرأة أن يسأل

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٢٩ بتاريخ ٧/١١/١٣٩٢ هـ .

نفسه : ما هي الصلحة الاقتصادية أو الاجتماعية وراء تلك الخطب

الخرقاء ، وما هي الفائدة في هدم تلك المرافق الهامة ؟

الجواب : انها كانت تمهدا لما حدث من كتابة الحروف اللاتينية والقضاء

على العربية والاسلام في الصومال ، وهذا فقد الصومال نهما من بناءهم

التعليم الاسلامي الذي استقى منه آلاف من الشباب ، وهشرات من الكبار

في بناء تعليمهم .

وكان من بينها معهد التضامن الاسلامي في مقديشو التابع للجامعة

الاسلامية بالمدينة المنورة ، والذي التحق جزء من طلابه بالجامعة الاسلامية

قبل تأميمه وهدم ذلك ، ومن جراء تلك الخطوة الارتجالية التي أظنت الثورة

رجع أغلب المدرسين والشرفيين على هذه المعاهد الدينية الى بلدانهم

وفقد الصومال مئات من المدرسين الذين جاءوا اليها لغرض تعليم الشباب

الصومالي معتمدين على دولهم وبعثاتهم التي تنفق هذه المعاهد وتمططي

رواتب الموظفين وتلتزم بجميع النفقات مهما كانت كبيرة ، وكانت هذه المساعدات

تأتي من الدول العربية وخاصة مصر والمراق والسعودية .

وكانت الخطوة التالية وقف جميع البعثات التعليمية الى الدول

العربية ، مما أن الصومال بلد متخلف تعليميا ، ولم تكن الحكومة الصومالية

قادرة على تحمل مشاكل التعليم وحدها لكثير من الدول الافريقية ، فانها

كانت تعتمد على الضخ الخارجية في كثير من الأحوال وخاصة التمسك

الجامعي والتخصصات الادارية والدراسات العليا ، وكانت الضخ الدراسية

تأتي من الدول العربية في أغلب الأحيان ، ومن الدول الغربية في بعض

الحالات ، أما دول أوروبا الشرقية فلم يكن لها ذكر في المجال التعليمي قبل الثورة .

وعندما جاءت الثورة وقررت منهجا جديدا في التعليم والتهيئة أوقفت تلك المنح التعليمية الآتية من الدول العربية ، ولم يفرق هذا القرار بين الدول العربية على الاطلاق ، بل كان قرارا شاملا اصدارا وتنفيذا ، وفجأة فقد الشباب الصومالي مئات من المنح الدراسية والتي هو في أمس الحاجة اليها ، وتحطمت آمال آلاف من الطلاب الذين كانت أمنياتهم الكبيرة اكمال الدراسة الجامعية في الجامعات العربية في مختلف البلدان .

وطى سهيل المثال كانت البعثة الأزهرية تمنح لطلاب معهد الأزهر في الصومال كل سنة ثلاثين منحة دراسية في مصر ، وهو أمر في غاية الأهمية لمستقبل البلاد ومستقبل هؤلاء الطلاب ، بل انه تشجيع قوي واحيا أمل في نفوس بقية الطلاب بمختلف المراحل ، وهو أمر ضروري لوجود المنافسات العلمية وخاصة عندما يكون الاختيار لأوائل الطلاب في نتائج الامتحانات وهناك منح أخرى كانت يصر تعطيلها لحكومة الصومال لارسال الأشخاص الذين تحتاجهم الحكومة لأجل تخصصات نادرة في الصومال .

والجامعة الاسلامية كانت تأخذ كل سنة عشرة من طلاب معهد التضامن الاسلامي للمرحلة الجامعة بالمدينة المنورة .

أما الجامعات السودانية والسورية والمراقية فكانت أيضا تشترك في عطية بناء التعليم وارسال منح دراسية لها ، كل هذه المنح أوقفت من الحكومة الصومالية بحجة أن الصومال بلد ثوري اشتراكي يجب أن يعتمد عن المجتمعات

الرجمية - في نظرها - التي لا ترى الاشتراكية منها للحياة ، وخاصة ما يسمونها الرجمية الاسلامية ، وصحة أن الثورة جاءت لاثبات الشخصية الصومالية لوجودها عن طريق احداث نهج للتعليم حتى لا نعتد على الدول الأخرى ، وعند ما أطلق الباب أمام الراضين في الالتحاق بالجامعات في البلاد المصرية وبعض البلاد الاسلامية الأخرى مثل باكستان ، وأوقفوا أيضا بعض المنح التي تأتي من الدول الغربية خوفا من أن يتأثر الطلاب بالنظام الرأسمالي .

محمد هذا كله فتح باب جديد في وجه التلميم ، هذا الباب هو العالم الشيوعي بدون استثناء ولو من دولة واحدة ، وبدأت الأفواج تتجه الى موسكو ويكون وهافان ، والى بقية الدول الشيوعية ، وهذه الأفواج لم تكن قاصرة على طبقة معينة من الشعب ، بل شاملة لجميع الطبقات ، فالطلبة والمسكرويون ورجال الحكم والطيشيات الشعبية وغير ذلك اتجهوا الى القلة الجديدة التي صورها النظام بأنها جنة الله في أرضه ، حتى ارتفع العدد الى مستويات غرهممة بلغت عام ١٩٧٥ م فوق عشرة آلاف تمتعت الى الاتحاد السوفياتي وحده كما ذكرت وكالات الأنباء في تلك السنة ، وكانت هذه العملية الخطيرة تعد من أخطر المخططات الشيوعية في الصومال لأن هؤلاء الآلاف مرضون للفتنة الشيوعية والفساد الخلقى المنظم ، ولذلك فلما تجد طالبا أو جنديا أو غيرهما مكث هناك فترة ولم يتغير ، فان لم يمتنع الشيوعية ويتحول الى واحد من دعائها فان أخلاقه تفسد في غالب الأحيان لكثرة المفاسد والفتن التي يعيشون فيها هناك ، وعند ما عاد هؤلاء الى

البلاد فانهم أصبحوا من أكبر العقبات أمام الاسلام ، ومن أكثر العناصر خطرا على المسلمين لما حطوا من شاعر معادية وحماس جارف رغم أن هذه الصفة لا تنطبق على الجميع ، فاني التقيت بنفر من هؤلاء فوجدتهم من أحسن الشباب وأكثرهم عداوة للشيوعية ، ولكنهم طلة نادرة في تلك الفترة ، والعامل الذي ساعد على افتتانهم أن أغلبية هؤلاء شبه أميين لأن الثورة كانت تفضل العناصر الجاهلة عن غيرها ، لأن الوعي المدرك لا يقبل كل شيء ، وكانت من أكبر المشاكل التي واجهت الدعاة في تلك الفترة ، كيف يفهمون هذه العناصر الجاهلة حقيقة الشيوعية والاسلام ؟ لأنهم لا يعرفون شيئا عن الشيوعية ، بل انهم اطلعوا على المزارع الجماعية ، والمشاريع الانائية الأخرى في الاتحاد السوفيتي ، وقيل لهم ان هذه المشاريع من ثمرات الاشتراكية ، وكانت الأرض قريبا خالية من المزارع والصران ، وهمودون بهذه الأفكار تحسبون ، وينشرونها بين أقرانهم ، ثم انهم لم يكونوا متعلمين قرأوا الاسلام ولا اطلعوا على الثقافات العالمية ، ولذلك أصبح من العسير أن تقنعهم بالأدلة العلمية ، ولكن الظروف التي أوجدتها الاشتراكية بعد ذلك أقنعت غالبيتهم على أخطائهم ، ولم يكن الروس ملجأ للإرشاد والتهديب فحسب ، بل كان أيضا سببا لكثير من العناصر القوية في الجيش حتى يتخلص النظام من الشخصيات البارزة ، ويعددهم عن المجتمع ، وأبرز قضية في هذا كانت عام ١٩٧٢ م حين خطط النظام لمطية نفي واسعة النطاق بين ضباط الجيش وعاشوا سنوات في سيبيريا حتى رفض الروس وجودهم لأنهم اتجهوا الى الاسلام وأطنوا رفضهم للاشتراكية .

وفي تلك الفترة التي أوقفت الحكومة فيها جميع البعثات الخارجية
إلا إلى الدول الشيوعية ، وسدت جميع الطرق المرورية إلى خروج الشباب
إلى الدول غير الشيوعية ، عمدت إلى خطة تهدف إلى منع الشباب من
التطلع إلى أية جهة أخرى لا ترغب فيها الحكومة ، وهذا المنطلق فرض على
الشباب قيود مشددة تحول بينهم وبين الحصول على مؤهلات وثائق تساعدهم
في الخروج :

أولا : لا حق لهؤلاء الطلاب في استلام شهاداتهم إلا بان ن خاص من
الحكومة ، مما يعني أن الذين يحصلون على الشهادات هم من
العناصر المؤيدة للنظام الماركسي ، أما غيرهم فلا يجدونها أبدا .
ثانيا : بعد انتهاء الدراسة الثانوية لابد أن يقضي الطالب فترة سنتين
في التدريب والخدمة الوطنية .

ثالثا : لا يعطى الجواز شابا مهما كان إلا بوجود تزكية بأنه من شباب الثورة
وليس الحصول عليها سهل المنال لأن الجميع كانوا تحت المراقبة ،
هذه الظروف الصعبة التي عانى منها الطلاب في تلك الحقبة
من تاريخ الصومال أوجدت مجموعات من الشباب المغامرين الذين
اغتاروا الهجرة والمغامرات الخطيرة ، ولقد تكبد كثير من الشباب
من مشقة المغامرات التي أدى الكثير منها إلى الموت أو السجن
في الدول الأخرى ، لأنهم يخرجون من الصومال بدون جوازات
ويدخلون الدول المجاورة بدون جوازات أو أية وثائق تشبهت
جنسياتهم مما سبب لهم صعوبات لا تعد لها .

والنتيجة المترتبة على هذه الأعمال أنها قلمت الطريق من حصول
 مؤهلات عالية من الجامعات العالمية ، وخاصة الجامعات الاسلامية والمعاهد
 الدينية التي تخرج أجيالا واعية وفاهمة للمعاني الاسلامية ، وشجعت التيار
 المنحرف حتى تكاثرت في المجتمع واستولى على مقاليد الأمور .

وتابعت الحكومة في برنامجها التربوي التعليمي ، وكانت أكثر
 الخطوات جرأة وأشدها مرارة اقرار الحروف اللاتينية التي جعلوها حروفا
 رسمية للغة الصومالية ، والفاء اللغه العربية التي كانت اللغه الرسمية
 للصومال منذ دخول الاسلام في بلاد الصومال ، وقبل أن أخوض الحديث عن
 الفاء اللغه العربية في الصومال أقول : ان اللغه العربية لغة صومالية
 لأن الصومال لم تعرف طول تاريخها سوى اللغه العربية التي جاءت مع
 الاسلام ، واذا زرنا اليوم متاحف الصومال فاننا نجد أن اللغه العربية كانت
 لغة الكتابة والمراسلة والتعامل التجاري وجميع العقود ، وهي منتشرة في
 أرجاء الصومال منذ فترة طويلة في البدو وفي الحضر ، وبفض النظر عن وجود
 مجموعات من الشعب الصومالي لا يحسنون التكلم باللغه العربية ، إلا أن ذلك
 لا ينفي كونها لغة رسمية للصومال ، ان القرن الافريقي الذي تسكنه القبائل
 الصومالية مرتبط بالأمة العربية بروابط دينية ولغوية وعرقية ، وكانت اللغه
 العربية هي التي تستعمل في المعاملات المالية والاجتماعية ، وهي لغة
 التعليم بجميع فروع وفنونه ، ولم يطرأ أي تفسير في هذا الاتجاه حتى
 جاء الاستثمار الأوروبي الحديث فبذل مجهودات جبارة في تغيير الاتجاه ،
 وحاول فرض لفته على الشعب وظهرت اللغه الراقية التي لا غناء عنها

في المعاملة والتعليم وغير ذلك كما فعل مع كثير من الشعوب الإسلامية حتى
يقطع الرابطة بين الشعوب الإسلامية وبين لغة القرآن ، ولكن الشعب رفض
رفضاً قاطعاً ، وأعلن أنه لا يرضى بديلاً باللغة المصرية ، وأنقل موجزاً عن
نص عريضة قدمها العلماء والأعيان إلى الأمم المتحدة في منتصف هذا القرن ،
وكانت البلاد آنذاك تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة ، وقد موّلت هذه العريضة
خصيصاً إلى الإدارة الوصية والمجلس الاستشاري في شهر نوفمبر ١٩٥٠ م ،
وعذا نص العريضة : " نحن طامع الصومال ورؤساء قبائلها وشيوخها
وأعيانها ورؤساء الأحزاب السياسية بها ، نرفع إلى السلطة القائمة بإدارة هذه
البلاد وهي إيطاليا ، ما أجمعنا على إقراره نهائياً بخصوص اللغة الشعبية
الرسمية في البلاد .

إننا نختار اللغة العربية لغة شعبية رسمية لهذه البلاد للأسباب الآتية :

- ١ - أن اللغة العربية لغة الدين ولغة القرآن الكريم .
- ٢ - أن اللغة العربية لغة المحاكم الشرعية في جميع نواحي القطر
وما زالت حتى اليوم .
- ٣ - أن اللغة العربية لغة التجارة والمكاتبات منذ انتشار الإسلام فسي
هذه البلاد حتى اليوم .
- ٤ - أن اللغة العربية لغة يتكلم بها أغلبية السكان .
- ٥ - أن اللغة العربية قد اختارها الشعب بالاجماع لتكون لغة البلاد
الشعبية الرسمية ، وهي مجرى طبيعي لا مناص منه .

وطيه فان هذه اللغة لغة أرمائية^(١) لميون مسلم في أنحاء المصالم
يدنون بالديانة الاسلامية ، وقياسا على هذا لا يجوز أن نخالف اخواننا في
لغتهم ودينهم ، زد على هذا أن المدارس في أنحاء البلاد الصومالية
لم تكن تعتمد في غرس الديانة ونشر الثقافة والعلوم الا على هذه اللغة
- حتى قالوا - وطهيمي أننا أمة اسلامية لا يمكننا أن نختار غيرها لأنها
لغة دين أولا ، ومنهنا الذي نكرع من معينه الصافي أطيب ما في الفنون
الاسلامية من نفع وخير ، وتجعلنا على الدوام مجتمعين تحت راية الاسلام
القوم ، ومن حاد عن هذا أجمعنا على أنه أراد أن يعمل ضد النظام
الاسلامي في البلاد الصومالية^(٢) .

هذه الوثيقة توضح لنا جميعا مكانة اللغة العربية في قلوب المسلمين
الصوماليين ، وأنهم يحترمون بها اعتزازهم بالاسلام الذين أخرجهم من
الظلام الى النور ، وهكذا رحل الاستعمار ولم يحقق مأربه في نسخ اللغة
العربية من القلوب ، ولكن الدول المستعمرة وبواسطة الأمم المتحدة لم تترك
الموضوع ، بل بذلت مزيدا من المحاولات بعد الاستقلال ، وكان آخر
ما عملت أن كتبت اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية فمرضتها على الشعب
فقول ذلك بالرفض الشديد ، ثم عرضت على المسئولين بعد الاستقلال فرفضوا

(١) ينطبق هذا المدد على الاحصائيات التي أجريت في بداية هذا
القرن ، أما عدد المسلمين اليوم فهو طيار نسمة تقريبا .

(٢) الشيخ عبد الرحمن النجار : الاسلام في الصومال ص ٩٩ - ١٠٠ ،
ط عام ١٣٦٣ هـ .

ذلك أيضا ، ولم يزل هذا الاستعمار بواسطة اليونسكو ، والسوق الأوروبية المشتركة ، يقدم هذه اللاتينية كلما تتغير القيادة الصومالية مع اغراء في تقديم الممونات السخية اذا نفذوا هذا المشروع ، والمقابل كانوا يظهرون صعوبة أن تكون الصومالية مكتوبة بالعربية لعدم توفر الآلات الكاتبة ، وما يشبهها من الوسائل الحديثة ، وبالتالي كانوا يمرقون كل مشروع يساعد في اتجاه هذا الشعب الى الوجهة الصحيحة نحو لغته الأصلية التي يمتدق أنها جزء لا يتجزأ عن دينه وعقيدته (١) .

وانتهت تسع سنوات بعد الاستقلال مع تلك المحاولات المتكررة التي لم تتمكن من تنفيذ المخطط الخبيث ، فجاءت الثورة بقيادة جنرال محمد سياد بري ، بعد سنتين فقط من تولي السلطة أعلن الفاء اللغة العربية وأعلن أن اللغة الصومالية المكتوبة بالحروف اللاتينية هي اللغة الرسمية للبلاد ، وكان هذا حدثا هاما في تاريخ الصومال ، ونجحت المخططات التي أعدتها أعداء الاسلام وأعداء اللغة العربية والتي رفضها الشعب بمحمد سياد بري بعد أن سلب الشعب قوته بواسطة الحكم العسكري السندي فرض على الشعب كل أنواع الاهانة وضرب رغبة الجمهور عرض الحائط ، وبهذا القرار خسر الشعب الصومالي معركة طويلة في ابقاء العربية بوضعها الطبيعي ووضعها الموضع المناسب ، والأسف كل الأسف يأتي بأن المنفذ للمخطط هو شخص صومالي كان يدعي الاسلام ، وشاء الله ذلك وكأنها خطوة تحاكي ما فعله أتاتورك بالحرف العربي في تركيا قبل بضعة عقود من الزمان ، وهي

(١) مجلة المجتمع الكويتية ، الممدد ٥٢٨ في الثلاثاء ٨ رجب ١٤٠١ هـ

خطوة تدل على أن الشعب الصومالي بلغ مرحلة ضعف خطيرة في حياته
حيث عجز عن الدفاع عن لفته وحمايتها من عبث العابثين وكيد الكائدين الذين
يترهصون بها الدوائر منذ عشرات السنين ،

أما نتائج ذلك فهي كثيرة ، وأحاول ذكر أهمها :

بعد اعلان الرئيس لهذا القرار بدأت عطيات واسعة النطاق تستهدف
تفسير البنية الأساسية في الثقافة والتعليم ومختلف وسائل الاعلام ، وكان كل
شيء يتم بلا تخطيط في تنفيذه ، والارتجالية البحتة هو الأسلوب الذي
تبنته الثورة في التفسيرات الأساسية من الناحية الواقعية .

فالتعليم أخذ قسما كبيرا من هذا البرنامج لأنه الفتح الحقيقي

لادخال الاشتراكية الى بقية الجوانب في الحياة الاجتماعية ، وفي صبيحة

يوم ٢١ أكتوبر عام ١٩٧٢ م الذي أصدر فيه الرئيس الصومالي قراره الخطير ،

قال في بيانه القصير : " ولا اعتبارات عديدة ، ولظروف خاصة ستستغنى

الحروف اللاتينية في الكتابة . . كما سيجرى العمل بها في جميع القطاعات

بقرارات خاصة " (١) واتخذ بعد ذلك قرارات تتعلق بالتعليم حيث كسبون

عدة لجان لوضع مناهج للتعليم ، وفي نفس العام طبقت المناهج الجديدة

على المرحلة الابتدائية والتي كانت الدراسة فيها باللغة العربية في جميع

أنحاء البلاد وفرض اللاتينية فرضا ، ووجد الطلاب أنفسهم أمام حروف لا يعرفونها

ولغة جديدة لم يتعودوا عليها في حياتهم الدراسية ، فالمصطلحات في

الحساب والرياضيات والمعلوم جديدة عليهم ، لأن اللغة الصومالية لم تكن

(١) مجلة البلاغ الكويتية : العدد ١٨٦ في الأحد ٢٦ ذو القعدة

مكتوبة ، بل كانت بمجرد التفاهم بين الناس في التخاطب ، وأسماء الأشياء ،
 في علم الجغرافيا والتاريخ تغيّرت وكانهم لم يتعلموا شيئا في تاريخهم ،
 وصحّت العربية من المرحلة الابتدائية في طول البلاد وعرضها ، وحسّلت
 اللاتينية محلها في هذه السنة الدراسية ، أما المراحل الاعدادية والثانوية
 والجامعة ، فان الضجج الجديد قرر فيها اللغة الصومالية المكتوبة بالحروف
 اللاتينية ، كمادة لغوية بالاضافة الى مادة السياسة المقررة في تلك المراحل
 جميعا ، ما يعني أن جزءا كبيرا من الحصص أصبح مخصصا لهذه المسواد
 المذكورة ، لأن العادة المتعلّقة باللغة الصومالية تتضمن الفروع اللغوية مثل
 الشعر والنحو والأمثال وغيرها ، ومادة السياسة كانت أهم مادة في المدارس
 لأنها تسهب في دراسة النظام الاشتراكي وتفوقه على ما في الأنظمة بالاضافة
 الى اعطاء الطلاب دروسا مفصلة عن الثورة الصومالية ومنجزاتها والقيادات
 البارزة لهذه الثورة ما يدل على أن اللاتينية طبقت في البلاد في ظرف
 سنة واحدة .

وفجأة ظهرت مشكلة كبيرة وقفت أمام اللاتينية ، وهي كثرة الكلمات
 والجميل العربية في اللغة الصومالية ، وصعوبة ايجاد لغة صومالية لا علاقة
 لها باللغات الأخرى ، وحتى يتضح لنا الأمر أكثر فأكثر ، نضرب بعض الأمثلة
 في ذلك : فالعربية كانت لغة الدراسة في الصومال ولغة التجارة ولغة
 العقود كما ذكرنا ، ولذلك فهي منتشرة في أقاليم الصومال ومناطقها انتشارا
 واسعا ، ولذلك هناك تداخل كبير بين الصومالية والعربية لأن العربية
 انتشرت في اللغة الصومالية بشكل واسع حتى أصبحت آلاف من الكلمات العربية
 داخل اللغة الصومالية يعرفها الجميع لأنهم وجدوها من نعومة أظفارهم
 نقلا عن لسان أسهاتهم .

وأبائهم ، وإنما الذى يدرك أصل هذه الكلمات هم أولئك النفر الذين
تصحقوا في الدراسات العربية وأصولها .

وعندما برزت هذه العقبة أمام الثورة وأنصار اللاتينية فكروا في الأمر
بواسطة لجان شكلت لهذا الغرض ، ووجدوا حلا مناسباً لمعضلتهم تلك
وهذا الحل أصبح تنقية الكلمات العربية جميعها من اللغة الصومالية حتى
تكون الصومالية بعيدة عن العربية وحتى لا تتأثر بالفاهيم الإسلامية التي
جاءت عبر البحار ومن بيئات أجنبية ، هذلت هذه اللجان المنتشرة في أنحاء
البلاد مجهودات كبيرة لحسر هذه الكلمات الغربية وهي تصل نسبة عالية
جدا يختلف المفكرون فيها ، وأوصل بعض المفكرين إلى النصف وبعضهم إلى
الثلث ، كما جاء في أحد التقارير " وتكونت عقب ذلك لجان على مستوى
الجمهورية تقصر مهتها على تصفية الألفاظ العربية من اللغة الصومالية
واحلال محلها بكلمات لا يعرفها الناس إلا بعد التعلم بها ، ومن المعلوم
أن نسبة الألفاظ والكلمات العربية في اللغة الصومالية تصل إلى ٥٠ ٪ تقريبا
وانفقت آلاف الشلنات في سبيل التصفية المذكورة ضمن مشروع صولة اللغسة
والتعليم " (١) . وهذه اللجان حاولت وضع كلمات جديدة محل الكلمات
العربية حتى تكونت لغة جديدة في البلاد لا يعرفها الناس الذين ولدوا
في البلاد ونشأوا فيه ولم يخالطوا أما أخرى ، وتعلموا اللغة منذ الصغر
لأن فيها آلاف من الكلمات المتكررة من قبل هذه اللجان ، وسادت الحيرة
والدهشة واستغرب الناس في قضية التنقيح ولم يفهم الصوماليون وخاصة
الذين لم يدركوا مقاصد الثورة وأهدافها ، واستمرت عملية التنقيح وكلفت

(١) المجتمع الكويتية ٨ رجب ١٤٠١ هـ العدد ٥٢٨ .

أموالا طائلة كانت الأمة في أمس الحاجة يومها لكثرة المشاكل المتنوعة .

ولا بد أن يتساءل المرء : لماذا كل هذه المجهودات والتكفلات التي تهدف الى ابعاد العربية عن الصومال ، ثم الجالفة في التنقيح والتنقيح ؟ . في أول وهلة وقبل مضي وقت طويل أظهرت الثورة رفضها لجميع القيم الاسلامية ، وأعلنت الاشتراكية العلمية كمنهج رسمي للحكومة ، وكان أول الهجوم من قبل رجال الثورة على العلماء والشايخ والقيم الدينية بصفة عامة ، ثم جاء الهجوم على الاسلام مباشرة ، وكان الرئيس يصف الدين بأنه يظلم النساء وأمثال هذه الأقاويل ، وكراهية العربية نابعة عن كراهية الاسلام الذي يقف أمام الجباة ويقهرهم في جميع المصور ، ولما كان رجال الثورة مقتنعين بأن الاسلام ضد الاشتراكية العلمية ، وأن العلماء لا يرضون الاشتراكية بل لابد لحدوث المواجهة بين الاشتراكيين وبين العلماء ان عاجلا أو آجلا ، شنوا حملات عنيفة على العلماء وسموهم علماء السوء ، وبالتالي ألفوا اللغة العربية وبالغوا في حرها حتى أنفقوا في هذا السبيل أموالا كثيرة يحتاجون اليها ، وهذا يبرهن على أن الحرب المعلنة ضد العربية ليست إلا حربها على الاسلام لأنها هي الصلة التي تربط الصومال بالاسلام وتراثه الفني ، ولا بد من قطع الصلة والرابطة اذا أريد هدم الاسلام في الصومال ، لأن الجيل الناشئ على اللاتينية سنفصل عن الحضارة الاسلامية وتراثها ويرتبط بحضارات أخرى لا صلة لها بالاسلام ، وهذا هو المقصود من تلك الحملات العدوانية على العربية ، والآ كيف يفسر تفسير آلاف من الكلمات المفهومة لدى جميع الطبقات في البدو والحضر لدى المتعلمين والجاهلين ، وانشاء آلاف أخرى لا يعرفها أحد إلا المفكرون الجدد والمبدعون لها . ؟

بل الجميع في جهل منها اللهم إلا خبراء الاختراع الذين أنشأوها

ولا بد أن يؤم الناس معرفتها لفظا ومعنى كما يتعلم المرء ويجهد في كل عمل جديد عليه ، وكما يعطى استعدادا كبيرا في كل فن جديد عليه ، ولا داعي لخوض هذه الحروب الطاحنة واعداد تلك الجيوش من اللجان وتجهيز المصروفات المالية الهائلة لأجل ابتكار أو اختراع كلمات غريبة أو مصطلحات جديدة تحل محل المصطلحات والكلمات المألوفة ، التي لا تتشى مع الأنظمة الاشتراكية كما يدعي أنصار هذه الفكرة وروادها .

لا داعي لهذا الا اذا كان القصد من وراء ذلك ما أشرته من هدم الاسلام الذى يمتنقه المسلمون في الصومال ، ولا شك أن هدم الاسلام يتطلب مؤامرات ومكائد مستمرة ، وبذل مجهودات وأعمال كهذا من قبل أعدائه ، والله يرمى ويحفظ هذا الدين كما قال عز وجل ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (١) ، وكل شيء استمر على حاله وتتابعت الخطط والبرامج لا كمال هذا المشروع الذى قلب الموازين بصورة مزعجة .

وفي تلك الفترة نفسها كانت الاذاعة الصومالية في مقديشو تخصص ساعات طويلة لهت اللاتينية على الهواء تعلم الناس هذه الحروف وكيفية النطق بها ، بالإضافة الى آلاف من المدارس تواصل نشاطها في تدريب الناس على اللاتينية وخاصة الموظفين الحكوميين ، وأجرت امتحانات سرية شملت جميع الموظفين في الورش والصانع ومكاتب الحكومة ورسب خلق كثير في تلك الامتحانات وفقدوا أعمالهم بسببها ، وما أن هؤلاء الراسبين في امتحانات اللاتينية كانوا من أصحاب الخبرات والتجارب في الأشغال اليدوية والحرف الصناعية فقد تعطلت كثير من الأعمال الهامة لسوء الادارة وجهالة الأيدي العاملة التي

قفزت الى المناصب الحساسة .

فمنذ عام ١٩٧٢ م حتى عام ١٩٧٥ م كانت البلاد في فوضى عارسة ، وهذه الفوضى من نتيجة صولة البلاد والتي تعني تطبيق اللاتينية على البلاد واجبار الناس جميعا على تعلمها ، ولم تقتصر هذه الحطة على المدن والقرى بل اعتدت الى أهل البادية الرحل ، وحتى تتمكن الحكومة من تنفيذ هذا البرنامج الضخم باسم مكافحة الأمية والجهالة أصدرت قرارا بتعطيل المدارس في جميع المراحل في سنة ١٩٧٣ / ١٩٧٤ م الدراسية ، وبالتالي أمرت جميع المدرسين والطلاب أن يتوجهوا الى البادية لتعليم البدو الحرف اللاتينية .

ولقد صرح سكرتير الدولة للتربية والتعليم جالي محمد علي ورسمه أن تلاميذ المدارس الابتدائية والوسطى الصوماليين سيدرسون جميع المسواد باللغة الصومالية ، وأن اللغة العربية ستسبر جنبها الى جنب مع اللغة الصومالية ابتداءً من السنة الدراسية القادمة ، وقال : ان الطلبة الذين يتعلمون حاليا في المدارس الثانوية والجامعة سيسترون في دراستهم باللغات التي يدرسون بها موادهم التعليمية حتى يتم تخرجهم . (١)

وصرح السكرتير أيضا بأن المعلمين الصوماليين قاموا بتأليف كتب مدرسية باللغة الصومالية أثناء غياب الطلاب في حطة تطوير البادية لصوملة المناهج والتعليم وأن المعلمين الصوماليين سيقومون بالتدريس في هذه المدارس (١) ، تلك كانت فترة صعبة على الصومال ، وبدل هذا التصريح على أن اتجاه الحكومة الصومالية كان واضحا في تصميم اللاتينية في أنحاء الصومال حتى أدى ذلك الى تعطيل المدارس سنة كاملة وهو الأمر الذي أرهق البلاد

(١) صوتالعرب : العدد الثامن ، السنة الثانية ١٥ أغسطس ١٩٧٥ م

في جوانب عديدة ، وساهم كثيرا في نشر الفساد بين الشباب ، لأن الجنسين الذكور والأنثى اشتركا في حطة تطوير البادية ، وحدثت أمور مذهلة أترفع عن ذكرها الآن .

وبالتالي فان تصريح سكرتير التعليم يوضح لنا مدى الارتباك لسدى أجهزة الحكومة ، فانه يقول ان اللغة العربية ستسير جنبا الى جنب مع اللغة الصومالية ابتداء من السنة الدراسية القادمة بعد تطهير امتحان أكثر من ثلاث سنوات ، وتلك المبارات كانت تقال في حينها لتخفيف الضغط على الحكومة واظهار حسن النية للدول العربية والشعب الصومالي ، ونجد هذا الارتباك في ثنايا الفقرة الثالثة من خطاب سكرتير التعليم عندما قال : " ان الطلبة في الثانوية والجامعة سيستمرون في دراستهم باللغات التي يدرسون موادهم بها حتى يتم تخريجهم " ، ولأن هذه المراحل لم تطبق اللاتينية بصورة كاملة في وقتها ، بل كانت هناك لغات أخرى مثل العربية ، وبدل أن يقول السكرتير ان اللغة العربية في تلك المراحل ستستمر بصورة رسمية قيدها بتخريج الفصول الحالية ثم يتم تطبيق اللاتينية عليها كما حصل فعلا بعد ذلك .

وبلاحظ الآثار السلبية الناجمة عن هذه السياسة التعليمية والتدمير الذي عم الناس في الأقاليم والمدن ما ورد في تصريح سكرتير التعليم عندما حذر السكرتير الشعب الصومالي من الحفنة القليلة ذات الأفكار الاستعمارية التي ترهد فشل الأهداف التعليمية ، وناشد الشعب الصومالي الذي يعيش في الأقاليم والنواحي أن يتعاونوا مع المعلمين في تنفيذ برنامج التعليم الاجباري كما ناشد سكان القرى أن يبنوا لأنفسهم الفصول التي سيدرس أبنائهم فيها وأن ينتظروا من الحكومة أن تعدهم بالمدرسين

والمعلمين فقط^(١) ، لم تكن الحفنة ذات الأفكار الاستعمارية هي التي كانت تقف ضد صولة التعليم بهذه الطريقة ، بل الشعب الصومالي كان ضد هذا البرنامج ، وكانت الحكومة تشعر بهذا تماما ، ولكنها لم تكن تهتم بآراء الأمة ، وإنما تنفذ سياسة تقدمية لصالح المجتمعات الاشتراكية وتحارب عادات ستوردة من الدول الأجنبية البعيدة عن الصومال ، والمقصود من هذا هو الاسلام .

ولقد استطاعت الحكومة تنفيذ هذا البرنامج رغم التكاليف الباهظة ، لأن مراحل التعليم من الابتدائية الى الثانوية ، بل الى بعض المعاهد العليا لا تخرج اليوم طالبا يستطيع أن يتكلم باللغة العربية أو يحسن كتابتها وقرائنها ، وهذا أمر مؤسف جدا ، بل انه يمكن أن يوصف بأن ذلك كارثة على الأمة الصومالية ، وخسارة لا تموض لحقت بالاسلام ، لأن الجيل الذي ربه الثورة جيل بعيد جدا عن المفاهيم الاسلامية ، ومنفصل عن تراثه الاسلامي بانفصاله عن اللغة العربية ، هذا هو الأمر الغالب الذي نتج عن الأحداث السابقة ، وما شذ عن هذه القاعدة فانه جاء بمجهودات فردية لا علاقة لها بمنهج التعليم ، ولأن المخططات وضعت لهدم الاسلام ومحسوس اللغة العربية واهجاد طبقة من الشباب لا علاقة لها بتراثها الاصيل .

وللجانب السياسي أثر بعيد في التفسيرات الاجتماعية التي حدثت في السبعينيات ، وكانت بصماته واضحة كل الوضوح في مواقفه المتعددة تجاه الاسلام ، وحملات الحكومة ضد الدعوة والدعاة بشكل لم يسبق لها مثيل فسي تلك المنطقة من العالم .

(١) صوت العرب ١٥ أغسطس ١٩٧٥ م .

وكانت بداية المشكلة عام ١٩٧٠ م " عندما أعلن رئيس المجلس الأعلى للثورة الجنرال محمد سياد بري في مرسوم الى جميع الدوائر الحكومية وقيادات الجيش اعتناق حكومته للهدأ الاشتراكي مما أثار تكهنات كثيرة عن نوع هذه الاشتراكية والأضرار المتوقعة منها ^(١) ، وسرعان ما أوضح الرئيس مقصده ومفزاها من اشتراكيته ، ففي عام ١٩٧١ م وأثناء الاحتفالات بعيد العمال أعلن الرئيس الصومالي رسميا في خطبته للعمال بأن الاشتراكية التي اعتنقتها الحكومة الصومالية ليست اشتراكية اسلامية أو عربية أو افريقية ، بل هي اشتراكية علمية ^(١) .

ومن هذا الاعلان كانت البلاد تستقبل آفا من الخبراء الروس بمختلف الأصعدة ، حتى فاصت بهم البلاد ، ومنهم من يأتي باسم التعليم ، ومنهم من يأتي باسم خبير عسكري ، وفور ذلك من السميات التي لا حصر لها ، وخلاصة القول أصبح للروس تواجد حقيقي في الصومال ، وخاصة بعد أن منحت الحكومة قواعد عسكرية في بربرة وكسمايو ، وبدأت الثورة بحملات واسعة ضد العناصر الاسلامية وضد ضباط الجيش وكل الشخصيات القوية في البلاد حتى يتسنى للثورة ما تخطط له ، وقيل بدء الأعداء والاعتقالات السرية والاعتقالات الجماعية كانت حملات التوعية المحمومة حيث فتحت مراكز للتوعية في داخل المدن والقرى ، وانطلقت التوجيهات الماركسية من أفواه الخبراء الشيوعيين ، وأعطوا استماع هذه التوجيهات صفة اجبارية ولا يستطيع الناس أن يتخلفوا عنها ، لأن الحصول على بطاقات توزيع المواد الغذائية متوقف على حضور مراكز التوعية ، ومن تخلف عنها فانه محروم ، حتى قال الرئيس فسي

(١) الدعوة السمودية ١١ شوال ١٣٩٦ هـ العدد ٥٦٨ .

هذا : اننا نستطيع أن نقل الممارضين جوعا بدون أن نسجنهم ، وحسبتي يكون الوصف دقيقا ، فاني أنقل جملة من تقرير خاص حول هذا الموضوع بإيجاز : " وفي ١٩٢١ م قام النظام بارساء قواعد الحكم الشيوعي فسي الصومال بانشاء مدرسة خاصة تعرف باسم " حلنه " لتدريس الابدولوجية الماركسية لجميع المدنيين لدى الحكومة ، ويدرس الموظفون في هذه المدرسة بالتداول على دفعات لمدة أربعة أشهر الهدأ الماركسي اللينيني وهي دراسة اجبارية يفصل من الخدمة بالحكومة من لا يحضرها عند اتيان دوره ، ويحاضر فيها الخبراء الروسيون وبعض ضباط الجيش المتخرجين من الأكاديميات الروسية ، وقد حدد يومين في الأسبوع " الأحد والثلاثاء " لتهيئة الموظفين قبل دخولهم هذه المدرسة في داخل الوزارات والهيئات الحكومية ، كما يستمر اعطاء نفس الدروس الشيوعية للمسكرين في ثكناتهم بواسطة الخبراء الروسيون ، وقد بدأ في نفس العام ارسال المناهضين للماركسية والحكم الشيوعي من أفراد الجيش والبوليس الى الاتحاد السوفيتي الى المنفى في سيبيريا ، كما أنشأت الحكومة في كل حي من أحياء المدن الصومالية مراكز كثيرة للتوجيه والارشاد ، وفي مقديشو وحدها أربعة عشر مركزا من هذا النوع لتتولى تدريس الشيوعية للشعب ، وسخ مقومات العقيدة الاسلامية من عقولهم وقلوبهم ، وعند ما رفض الشعب حضور المحاضرات فيها ابتكرت الحكومة طرقا مختلفة لاجبار الشعب على ارتياد هذه المراكز وتعلمهم الهدأ الماركسي ، فعمل سبيل المثال : ان الحكومة لا تمنطي أى عمل لأى شخص بدون توصية من ادارة المركز الذى يوجد في حيه بأن هذا الشخص منتظم في حضوره المحاضرات التعليمية الماركسية ، ومؤيد ، لسياسة الحكومة ، كما تم صرف بطاقات لشراء مواد الطعام

الأولية من دكاكين تابعة لهذه المراكز حيث لا تباع هذه المواد في أى مكان آخر ، ولم يكن في إمكان أى فرد صومالي أن يشتري هذه المأكولات الضرورية إلا إذا كانت بطاقتهم مختومة وصدقة من قبل عمدة المراكز كدليل أنه ماركسي ومنتظم في الحضور ، ومشاركته الفعالة في التوجيه والترهية مستمرة .

وقام في تلك السنة بإنشاء منظمة الشبيبة الشيوعية المعروفة باسم المنتصرين ، وفي سنة ١٩٧٢ م أصدرت الحكومة مرسوماً يهدم جميع المدارس القرآنية متذرعة بأنها تؤذى منظر المدن وأن الحكومة ستقوم ببناء أبنية تليق بتعليم الدين الاسلامي ومكانة القرآن الكريم ، كما أنها ستقوم بتعمير مدرسين لها ، ولم تهر الحكومة بوعودها ، بل عطلت على اصدار مرسوم آخر يشترط على كل من يحمل على فتح مدرسة للقرآن وحفظه أو لتعاليم الدين الاسلامي شروطاً مستحيلة لا عاقبة واعجاز ، وما جاء في التقرير وهو من الأمور التي يعرفها الشعب الصومالي ما يلي : " قامت الحكومة بتأميم جميع الممارس الدينية والمدارس العربية في الصومال وفيرت مهاجها التعليمية كما خفضت الحصص المقررة لتعليم المواد الدينية واللغة العربية الى ساعات لا تذكر مما أدى الى حرمان الشعب من تعليم دينه الحنيف وقطع مصدر تعليم اللغة العربية " .

ولقد كانت مدارس تحفيظ القرآن منتشرة في طول البلاد وعرضها وكان حفظ القرآن شائعاً ، ولكن الخطط التي كانت الحكومة تنفذها عرقلت تعليم القرآن الى حد كبير ، لأن الأهالي كانوا يعتمدون في نشر القرآن وتعليمه على جهودهم الخاصة عبر القرون متحملين تكاليف المعلمين وما يترتب على هذا الأمر ، فكانت طريقة سهلة قليلة التكاليف يستطيع الجميع القيام به

بدون صحف تذكروا ، وعند ما أعلنت الحكومة هدفها التحول في عدم مدارس تحفيظ القرآن أو الكتاتيب المسماة باللغة الصومالية " دكسي " بحجة أن منظرها قبيح ، وأنه لا يتناسب مع الاصلاحات الجارية في المدن الكبرى في البلاد ومنظر الشوارع ، قامت الحكومة بهدم عشرات من هذه البيوت الماركة ولم تبني البيوت الفاخرة التي عهدتها آنذاك ، ولم تنقح التفسيرات التي أعطت الحكومة هذا العمل ، ولذلك فإن الأمة شعرت بالمرارة القوية وأدركت أن هذا العمل ما هو الا حطة واسعة النطاق ضد الاسلام ، لأن تعليم القرآن ركن أساسي نحو الاتجاه في فهم الاسلام ، بل هو أول سلم يسند أطفال المسلمين في العلوم الاسلامية وفهمها ، وبعد أن تقص عدد بيوت القرآن بصورة مذهلة بدأت الحكومة حطة واسعة واجبارية في نفس الوقت لتعليم الأطفال الهادي* الاشتراكية بواسطة الحروف اللاتينية قبل أن يتعلم هؤلاء الأطفال قراءة الحروف العربية ، وكما كانت المفاجأة مذهلة ومفزعنة عندما وجد المعلمون التلاميذ وهم ينقطعون الحروف العربية نطقا لاتينيا وخاصة في بعض الحروف المتشابهة مثل الحرف "ج" لأن نطقه في اللغة الصومالية التي كتب باللاتينية غير نطقه في اللغة العربية وكثير من الكلمات التي شوهت نطق التلاميذ ، ولذلك وجد الناس أن هذه الخطوة كان مقصدها نشر الثقافة اللاتينية وتقليل أهمية القرآن في نفوس الناس .

ومنذ ١٩٧٢ والأعوام التي تلتها كانت التوعية الاشتراكية على أشدها بل ان الحكومة قد خططت خطوات واسعة في مجال التوعية والترهبة ، وكانت السمة البارزة منذ تلك الفترة الهجوم على العلماء والتقاليد البالية المتوارثة وعلى الأديان ووصفها بأنها أي الأديان سلاح خطير يستخدمه أعداء الثورة

وأعداء الاشتراكية العلمية ، ولقد أشار النظام الى خطورة الدين أكثر من مرة حتى يفتح الشباب بأن الأمة تستغني عن الدين ، بل انه سبب المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، ومن أقوال الرئيس في تلك الفترة : " من بين الأسلحة التي استعملت في الجبهات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية الدين ، ولكن السؤال هو : من كان يستعمل هذا السلاح الخطير ؟ بالطبع كان القساوسة أو رجال الكنيسة هم الذين كانت لهم صلات قوية مع سلطات الدولة الرأسمالية وهم الذين كانوا يستعملون هذا السلاح الخطير ، وأن مثل هذا الاستخدام للدين لهديم السيطرة الرأسمالية والاستغلال ويخلد هـما وهو التعصب الديني الذي أنكر ماركس وانجلز وجوده ثم أنكره لينين فيما بعد (١) .

لم تكن هذه الأقوال مجرد أقوال ، بل كانت عملا تطهيقا في البلاد ولم تكن شعارات تقصد للاستهلاك الدولي ، بل كانت سياسة وضمت للتنفيذ لأن الحكومة عمدت في تلك السنوات الى تحويل البلاد مما كانت عليه منذ عشرات السنين الى أوضاع جديدة لا تعرف البلاد لها شكلا ولا مضمونا ، ولم يكن هذا عملا سهلا من الناحية الواقعية ، بل كلف الأمة ثمنا غالبا لأن الحكومة شهدت آفا من البيوت الارشادية والتي يعتبر أضخم مشروع قامت به الثورة فسي تلك الفترة بكثرة تكاليفه الاقتصادية ، لأنها أدت الى ارهاقات وصعوبات لا نهاية لها " ولم تكن الحطة هي مجرد نظريات في نفوس المواطنين أو جعلهم يحفظونها مجرد شعارات يرددونها ، بل كانت حطة نظرية وعملية تم خلالها انجاز حوالي ٤٦٧ مشروعاً تكلفت حوالي عشرة ملايين شلن ، وفطت المساهمات العامة نقداً ، أو بالعمل التطوعي أكثر من نصف هذه التكاليف ،

(١) د . حمدي الظاهري : قصة الصومال ص ١٥٤ ط عام ١٩٧٧ م .

وقد دامت هذه الحملة عشرة أشهر ما بين فبراير وأكتوبر عام ١٩٧٢ م^(١) .

ان هذه المشاريع الضخمة التي كلفت تلك الجبالغ الهائلة كان القصد من ورائها نشر الثقافة الاشتراكية وتجسيدها في قلوب المواطنين حتى يسهل تنفيذ البرامج التي تخطط الحكومة لتنفيذها ، ومن بين هذه المشاريع مجموعة كبيرة من التماثيل التي تصور بطولة أشخاص ماتوا وهمض هذه التماثيل المجسمة مرتفعة فوق أبنية شيدت لأجلها ، ورغم أن اقتصاد البلاد ضعيف جدا ، بل هو منهار ، والحياة فيه صعبة للغاية ، وتأمن الضروريات اليومية للحياة من أكبر المشقات ، لأجل الجفاف الذي أصاب البلاد فسي سنوات الشورة ، والحروب المدمرة التي خاضت البلاد ضد الحبشة والكوارث الطبيعية المتتالية مثل الطوفان وهمض الزلازل في الشمال رغم ذلك كلسه أنفقت الحكومة أموالا طائلة لبناء التماثيل والمراكز الارشادية والقضايا الحزبية ، ويؤكد هذا الاهتمام الكبير للتوعية الماركسية اصرار الحكومة على ما أعلنت من تبني فكرة الاشتراكية وتطبيقها حرفيا في الصومال ، وان أهم عمل قد تمسه الحكومة للشعب كان الاشتراكية وفلسفتها وتعريف روادها ومؤسسيها مثل كارل ماركس وانجلز ولينين ، ولم يخل مركز من هذه المراكز المذكورة صبور هؤلاء الأشخاص وأجاد عم وتاريخهم حتى كاد الناس يحفظونهم كما يحفظ المسلم سورة الفاتحة لتكثرة تكرارها في الصلوات الخمسة .

ومن أهم المخططات التي نفذت في تلك الفترة افتتاح معهد حسني ومهمة هذا المعهد تكوين كوادر متخصصة بالمذهب الماركسي ويخرج أفواجا من هؤلاء المتخصصين الذين تعلموا الماركسية كفلسفة للحياة تخرج المجتمعات

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٥٦ .

من الاستمرار والتخلف وجميع أنواع الاستغلال ، ويمنح هذا المعهد شهادة جامعية بعد سنتين من التحاق الطالب ، ويتولون بعد التخرج واكتمال الدراسة الفلسفية الماركسية ، أهم المراكز القيادية السياسية منها والاجتماعية وخاصة مراكز الحزب الحاكم في البلاد وقيادة التوجيهية والتهيئة الحزبية حتى انتشروا في المحافظات والأقاليم ، وسكوا جميع الأماكن الحساسة فسي الوظائف الحكومية ، وهؤلاء الشباب هم أخطر العناصر التي تقف أمام الدعوة الإسلامية ونشاطاتها لأنهم يمثلون طبقة ماركسية في البلاد مستقلة عن الحكومة في الظروف الحالية التي تمر بها البلاد الى حد ما لأنهم اعتنقوا الشيوعية ولكن الحكومة بمد سوء التفاهم الذي طرأ بينها وبين الروس ولت وجهها في السياسة الخارجية الى الدول الغربية ، ولكنها لا تستطيع التخلص من الشباب الماركسي الذي ربت سنوات عديدة حتى آمنوا بهذه الفكرة وأصبحوا من دعايتها .

ولهذا المعهد مهمة أخرى غير تكوين الكوادر الماركسية وتأهيلها وهذه المهمة أوسع نطاقا من المهمة الأولى ، لأنه يستقبل أفواجا من الموظفين والطلبة والسياسيين في كل ستة أشهر يطلقون خلالها توعية مركزة وتوجيهات في الفلسفة الماركسية وعقائدها في مختلف شؤون الحياة ، ويتلخص هدف تلك التوعية المستمرة التي يقوم عليها معهد حليني ما يلي :

١ - نشر الوعي الماركسي بين أفراد الأمة نشرًا سريعًا ومحاورة الأفكار الأخرى التي يمكن أن تقف أمام التيار الماركسي الجارف أيما كانت هذه الأفكار ، ومعنى هذا غسل الرؤوس من المفاهيم المعاد بـ... للمذهب الماركسي وإرشاد الناس لكي يمتنعوا هذا المذهب الجديد

الذى يقدم المهيم كل علاج في مشاكلهم - كما يقول أرباب الماركسية -

٢ - تهدف هذه الدورات التدريبية في المعهد الى كشف العناصر
المادية التي لا تقبل الماركسية كمقيدة ، أو التي تبدى بمسئ
التحفظات عن صلاحيتها للمجتمع الصومالي المسلم ويجرى المعهد
مناقشات مفتوحة حول القضايا المعاصرة ليكشف كل العناصر السئ
لا تميل الى الماركسية .

٣ - والهدف الأغير هو اقالة بعض الموظفين في فترة تدريبهم والتخلص
منهم واسناد وظائفهم الى غيرهم من الماركسيين .

وبعد نهاية كل دورة يقدم المعهد تقريراً مفصلاً عن كل شخص مر بهذه الدورة
الى جهة عمله ، وهذا التقرير تحدد الجهة المسئولة عن الموظف ما اذا كان
الموظف يستحق أن يستمر في عمله أم لا يستحق ، وتتخذ القرار اللازم على
ضوء ما جاء في تقرير المعهد وإشارته ، ولقد شطت هذه الدورات جميع
الموظفين تقريرا وجميع الخريجين من المراحل الثانوية والجامعات .

ولهذا يعتبر معهد حليني مركزاً خطيراً يهدد مستقبل البلاد من
الناحية الدينية لأنه يخرج أفواجا من الشيوعيين المتطرفين الذين تزعمهم
أصوات الحق ولا يرضون رؤية الاسلام في بلد الاسلام ، بل ينادون علينا
بضرورة تطهيق الاشتراكية العلمية بصورة حقيقية كما يطبق في الاتحاد
السوفييتي والدول الشيوعية الأخرى .

والفكرة السائدة في المجتمع حالياً أن لهؤلاء تنظيمياً شيوعياً قويا يضم
أفراداً من داخل الحكومة بل هم في قمة الحكومة وفي المراكز الحساسة ،
ويستخدمون نفوذ الحكومة بصورة كبيرة لأن الحكومة اشتراكية في داخلها وكل

الشعارات والتنظيمات ما زالت قائمة حتى الآن رغم ميلها الى السدول
الرأسمالية في السياسة ، وهي ازدواجية صعبة ،

ورغم سياسة الحكومة في الملاقات الخارجية واتجاهها الى السدول
المرهية ، الا أنها ما زالت ماركسية ، ولم يظهر منها حتى الآن ما يسدل
على أنها تخلت عن الماركسية ، وما زال هذا المصهد يؤدي نفس السدول
حتى الآن .

ولم يكن نشاط بسط الأفكار الاشتراكية مقتصرًا على هذه الأشكال ،
بل كانت هناك حملات مكثفة لفرس الوعي الاشتراكي بين الشباب ، ومن أهمها
وأكثرها نشاطًا مركز "ميل جالي" الصيفي الذي يشترك في نشاطه أغلب
الطلاب في أوقات الاجازة ، ويشمل الذكور والاناث بصورة سوية في جميع
الأعمال والأنشطة مما سبب فوضى عارمة في أخلاق الشباب ، لأن التربيمة
الجديدة التي يتلقونها من المدرسين والمسؤولين تتمدد الى تقليل أهمية
الأمر الدينية بصفة عامة ، بل كانت هذه المراكز تملن رفضها القاطع وانكارها
الشديد لما يسى بالمادات والتقاليد القديمة والتي لا تتشى مع الاشتراكية
الملمية وقوانينها ، ويحثون الطلاب دائما وأبدا لأن يتخلقوا عن الأخلاق
الاشتراكية ، وكان الفساد الخلقي وانعدام الحماء في صفوف الشباب وظهور
التمرد على القيم الدينية هو الأمر السائد في أجواء تلك المراكز المنتشرة فسي
الأقاليم ، وهناك أيضا مراكز دائمة تضم آلافا من الأولاد الصغار يتلقون
التربيمة الشيوعية بدون انقطاع ، ويختار لهم المدرسون الحطرفون في الفلسفة
الماركسية ، وهؤلاء أسوأ الناس حظا في هذا المجال لأنهم لا يتلقون آيية
تربيمة دينية ، ولذلك أصبح كثير من هؤلاء بعد ذلك أعداء أعداء يقفون ضد

الأخلاق و ضد الدين لأنهم لم يعرفوا شيئاً من قواعد الاسلام ، بل نشأوا وترهوا في جو مليء بالفسق والفجور والسخرية على الأديان ، وكل ما له صلة بالأخلاق الفاضلة والتقاليد النبيلة .

ولقد اشتدت الحفلات لتحويل البلاد الى أمة شيوعية في أواسط السبعينيات حتى شطت جميع الجوانب في الحياة الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية مما حول البلاد الى جحيم لا يطاق ، وكانت الألسن تلهج بمدح كارل ماركس ولينين ، وحتى صفار القياديين من الشيوعيين فسي العالم ، وكانت الحفلات تقام لذكرى الشيوعيين مثل لينين وغيره في المناسبات المختلفة وتجري المسابقات لترجمتهم الشخصية لنيل الجوائز المفزية ، وحتى يتضح الأمر ويصرف ما مدى وصول التيار الشيوعي في الصومال في ظل الثورة الحاكمة أنقل هذا النص الغريب في مضمونه الذي نشر في الجرائد الحكومية وهذا هو النص : " أقيم ليلة أمس حفل استقبال بفيلابيد ولا حياء الذكرى المباشرة بمد المائة لمؤسس الدولة الاشتراكية ف ، أ ، لينين ، وكان هذا الحفل اختتاماً لبرنامج ذكرى هذا الانسان العظيم ! التي كانت جارية في الآونة الأخيرة .

ان احياء ذكرى لينين في الصومال بدأ مع قيام ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩م وأنها ذكرى دائمة بالنسبة للجماهير المعريضة من العمال الصوماليين ، وقد ألقى رئيس الدائرة العامة للتعبيئة للحزب الرفيق عد القادر حاج محمد خطاباً في حفل ذكرى لينين حيث تكلم عن حياة لينين وكفاحه والدور العظيم الذي أداه في تأسيس ههنا الدولة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ، وذكر الرفيق عد القادر أن هدف لينين لم يكن بناء الدولة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي فقط ، بل كان يناضل لكي تعم الهادي الاشتراكية جميع أنحاء العالم الستى

هي العبادىء الوحيدة للوصول الى مجتمع بني على المساواة والمساواة
 والوحدة والتقدم والرخاء - وفي موضع آخر وتحت صورة لينين التي كتبت هذه
 العبارة " ذكرى انسان عظيم " - قالت المقالة : من منا يستطيع أن ينكر
 أن لينين كان قائد الثورة وعقري البشرية الذي وعب حياته كلها للقضية
 كلها (١).

اننا اذا نظرنا الى هذا المقال وتلك الحفلة التي اقيمت لأجل لينين
 وكفاحه واحياء أجداده في نفوس المسلمين في الصومال ، ندرك عدة أمور
 عامة : ١ - ان احياء ذكرى لينين وهو الرجل الذي أنكر وجود الله
 سبحانه وتعالى وأنكر الأديان السماوية وجميع القيم الانسانية ،
 وأباد المسلمين في آسيا في كل من بخارى وطشقند وتركستان وغيرهم
 ان احياء ذكراه في الصومال يحرك في نفوسنا تلك الآسى والفواجع
 ويعيد الذكريات المؤسفة الى ذاكرتنا ، بل ويبدل هذا الحدث
 الذي يتكرر بتكرر الأعوام في الصومال أن الاتجاه الذي تسير فيه
 الصومال منذ الثورة عام ١٩٦٩ م اتجاه خطير لا تؤمن عواقبه ، بل هو
 محفوف بالمخاطر والمشاكل التي ظهر بعضها في الوقت الحالي .

٢ - نأخذ من هذا الحدث أن نفوذ الماركسية في الصومال قوى حتى الآن
 وأن الاتجاه الحقيقي حتى هذا الوقت اتجاه ماركسي في داخل البلاد
 رغم تضيير بعض الأمور في السياسة الخارجية ، والآ كيف يفسر مثل
 هذه الاحتفالات المتكررة ، وخاصة ان هذا الرفيق الذي ألقى
 الخطبة هو الشخصية الثانية بعد الرئيس ، ويؤخذ من كلامه أنه هو

الاتجاه الحقيقي للنظام ، وهذا هو الواقع ، وحتى بعد خروج الروس من الصومال لم يتغير مركزه كمرشد كبير للشباب .

٣ - أما الكلمة " التي هي الجهاد " الوحيدة للوصول الى مجتمع مهني على المساواة والعدالة " . . الى آخرها - هذه الجملة تمتص المنهج الذي تستقي منه الناشئة وتأخذ منه الأفكار وتستلهم منه كل الجهادي والاتجاهات ، لأن الرجل مسئول عن التهيئة الحزبية وهي الهيئة المسئولة عن تربية الشباب وتوجيههم الى المنهج الاشتراكي ، ولذلك يصورون للشباب أن الاشتراكية هي الطريقة الوحيدة لتحقيق جميع المقاصد الجميلة مثل العدالة والمساواة والتقدم وغير ذلك .

٤ - ان الكلمة " ذكرى انسان عظيم " الواردة في الخطاب لتعبر عن مدى الحب والتقدير الذي يكنه هؤلاء المسئولون للقيادات الشيوعية ، وانما كان لينين عظيما في نفوس شبابنا وقلوبهم فان معنى ذلك أن شبابنا فاقدوا المحبة والتقدير لأبطال المسلمين ، بل أغلب هؤلاء لم يسمعوا بطولات الصحابة والتابعين والقيادات الاسلامية التي برزت في الوجود عبر مختلف المصور وفي شتى الظروف والأزمات ، بل لا يعرفون كثيرا من المجاهدين الصوماليين وما قاموا به من بطولات . ولو عرفوا تواريخ أبطال الاسلام ومواقفهم وعد التهم لم يكن لينين عظيما في نفوسهم ولم تقع في قلوبهم ذكراه ، لأن الطحد الذي ينكر وجود خالقه وخالق السموات والأرض الذي أبدع الوجود وأوجده من العدم لا يستحق أن يوصف بأنه انسان عظيم ، وان دلّ هذا على

شتسي* فانما يدل على أن الأمة الاسلامية وصلت مرحلة انحطاط وانهييار حتى ضاعت المفاهيم الاسلامية ، بل المفاهيم الانسانية ، لأنه اذا كان هذا الرجل نفع الروس وعمل لهم انجازات عظيمة فان مبادئه الاشتراكية التي طبقها هناك دمرت الصومال وأوصلت مرحلة بصمب حل مشاكلها ، بل ان العقلاء في الصومال يرون أنها وصلت نقطة حرجة للغاية حيث تفككت الأمة وانحلت أخلاقها ، واندثرت المفاهيم الاسلامية وعمت الفوضى في جميع النواحي ولم يسلم من مصائب الاشتراكية جانب واحد من جوانب الحياة ، ولنا الحق بعد ذلك أن نقول كيف يكون لينين عظيما في نفوسنا ؟ ولا نستغرب ما سمعناه فان الأوضاع ذهبت أبعد من ذلك بكثير ، حيث ان وسائل الاعلام من جرائد واذاعة استخدمت ليهت تلك السموم الهادفة الى ابعاد البلاد عن الاسلام وتاريخه المجيد وعاداته الاسلامية وكل ما يربطه بالعالم الاسلامي وحضارته المتباعدة وقبهِ المثلئ ، وهذه النشاطات المركزة : " كانت تقوم على قدم وساق في محاولة لاقصاء الفكر الاسلامي عن أذهان الناشئة الجديدة ، وكمثال لهذا الاتجاه النشط ، فان راديو مقديشو كان يذيع في تلك الفترة وفي برنامج الأطفال حوارا يقدمه أخوة لهم في سن الثامنة الى العاشرة يدور على النحو التالي : س : من أبوك ؟ ج : سياد برى . س : ومن أبوك الثاني ؟ ج : لينين العظيم . س : ومن جسدك ؟ ج : ماركس " (١) .

وأمثال هذه الكلمات وغيرها ولكنها تركيز لا يراز القدسية الاشتراكية وطهارتها كما يقولون ، وعظمة القادة الاشتراكيين سوا القدماء مثل لينينيين

(١) مجلة رابطة العالم الاسلامي : العدد الثالث ربيع الأول ١٣٩٥ هـ .

أو الجدد مثل الرئيس الصومالي ، لأن هؤلاء الصغار يكفرون وينشئون في جو تحيطه الدلائل الاشتراكية ، ويردون باستمرار تلك الأناشيد التي تجسد وتفرد في الشجيرة لقيادة الثورة وتصور أنهم فوق المواطنين وأنهم لا يخطئون في تصرفاتهم وأفعالهم ، وهذا أمر خطير جدا يسيء التربية والتوجيه للشباب ، فبدل أن يتربوا في المناقشات الحرة وتوجيه النقد للقيادة ، فإنهم يتربون في جو الهيبة والخوف والمغالاة في المدح وتقديس الأشخاص وبالتالي جادتهم بطريقة أو بأخرى .

ولم يقتصر دور الدعاية الاشتراكية بهذه الحدود التي سبقت ، بل تخطت إلى أبعد من تلك الحدود ، لقد كانت الدعاية تهاجم علنا وصفة سترة على القيم الدينية إلى جانب ما ذكرت ، فالهجوم كان يتركز على العلماء في بداية الأمر لأنهم هم القادة الحقيقيون في المجتمع ، والحكومة الثورية كانت تدرك هذا تماما ، ولذلك تعمدت في الفترة الأولى من حكمها إلى أساليب مختلفين : الأول محاولة كسب بعض العلماء ليقفوا مع الحكومة فسي خططها المستقلية بواسطة توظيف بعضهم ورفع سمعتهم بين أوساط الشعب ووصفهم دائما بأنهم هم العلماء وأن من سواهم ليسوا بشيء . فعلا نجحت الحكومة في كسب بعض العلماء الذين اشتروا بآيات الله ثمنا طيلا وأصبحوا العمدة في يد الحكومة يفتون لها ما تريد من أمور ، يحللون ويحرمون حسب ما تطلب منهم الحكومة ، والقصد من وراء هذه المخططات هو اقناع الأمة بأن الاشتراكية العلمية والسلام سواها ، ولا فرق بينهما أبدا ، وكانت الحكومة في حاجة إلى هذا المفهوم في السنوات الأولى من حكمها حتى تسبطن على الأوضاع سيطرة تامة .

والثاني ؛ شن هجوم عنيف ضد الملما ، وكان هذا من أنفس السف
الحملات التي شنت الثورة على طائفة معينة من المجتمع ، وكانت تصفهم
بالمحالة والرجعية والجاوسية ، واستفلال الناس ، وأشهر اسم سمي
الملما به كان " وداو حى " ومعناه عالم السوء ولم تخل خطبة من خطب
الرئيس من هجوم الملما وادانتهم ، وكان عندما يصفهم يشبههم بالقس في
أورها كما قال في احدى المرات : " ومن بين الأسلحة التي استعملت في
المجاهدات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية الدين ، ومن كان يستعمل هذا
السلاح الخطير ؟ بالطبع كان القساوسة أو رجال الكنيسة المسيحيين هم الذين
كانت لهم صلات قوية مع سلطات الدولة الرأسمالية ، وان مثل هذا الاستخدام
للدين ليدوم السيطرة الرأسمالية والاستفلال ويخلدهما ، وهو التمصب
الديني الذى أنكر ماركس وانجلز وجوده ثم أنكر لينين فيما بعد " (١) .

عندما يورد الرئيس هذا الكلام فاننا نفهم جيدا أنه لا يقصد الا لمواجهة
الاسلام وطغاه ، لأن الصومال ليست بلدا رأسماليا ولا يوجد استفلالهم
بالفهوم الرأسمالي ، وليس للملما أية سلطة مباشرة في الحكم ، ولذلك يورد
الرئيس هذا الكلام ليقنع الناس بأن طما الصومال مثل القساوسة في السوء
والاستفلال ، وأن الدين أيا كان سلاح خطير ضد الثورات فيجب حربه ،
وكان هذا تمهيدا لما حدث بعد ذلك من اعتقالات جماعية في صفوف العلماء
الذين لم يظهروا تأييدهم ولا هم للنظام الاشتراكي ، وتبع ذلك تقييد
الحريات الدينية وخاصة المتعلقة بنشاطات المساجد التي اشتهرت بهسا
الصومال منذ القدم ، ومن هذه التقييدات تكبير لجان

(١) دكتور حمدى الظاهري : قصة الصومال ص ١٥٤ ط ١٩٧٧ م .

تشرف على شئون المساجد ومنع الوهظ والارشاد في المساجد الآ لمن لسه
 رخصة خاصة وضمن مواضع محددة سلفا ، وايقاف دروس المساجد بصفة عامة ،
 واسناد خطب المساجد لأفراد ليسوا مؤهلين لهذا المنصب ، وكانت هناك
 وما زالت حتى زماننا هذا مراقبة دقيقة في شئون المساجد وأحوال المدرسين
 فيها وهم نفر قليل جدا ، لأنهم نموا من التدريس ، وبهذه الخطوات
 القتالية تمطلت المساجد وتقلص نشاطها تدريجيا ، وأعقت بمد ذلك فترة
 طيبة بالارهاب وكبت الحريات حتى أصبح تفسير القرآن والأحاديث النبوية على
 الوجه الصحيح من أكبر الأمور صعبة لدى العلماء لما يتعرضون له من ضغوط
 قوية من قبل النظام الاشتراكي ، ولقد تعرض كثير من العلماء للسجن بسبب
 حديث فسروه أو آية شرحوها وقضوا مدة سنوات في السجون ، ويذكر الناس
 في الصومال ذلك الشيخ الذي ذكر الحديث النبوي وخاصة العبارة الواردة
 فيه والتي هي (ناقصات عقل ودين) وعندما سمع رجال الحكومة لفظ الحديث
 غضبوا وقالوا انه يحقر النساء ، وسجن الشيخ وقضى فيه أكثر من سنة .

ومثل هذه الحوادث الشاذة كانت تقع باستمرار حتى تجمد نشاط
 الدعوة في الصومال بصورة لم يسبق لها مثيل ، لأن كل شيء توقف ، لم تمتد
 المساجد تمارس نشاطها ولا العلماء يؤدون دورهم البارز في نشر الوعي
 الديني ، وفي أثناء تلك الفترة القاسية ، وفي ذلك الجو القاتم الذي سلاه
 الرعب ، ودب الخوف في نفوس الأمة ، وفي غيبة الحريات والنقد البناء ، وفي
 وسط اتجاه كره يؤدي الى الهدم والتخريب ومحاكمة العقيدة الاسلاميه ،
 في ذلك الجو ظهرت قضية المرأة في الصومال ، وحقوق المرأة ، وتحريم
 المرأة ، وما شابه ذلك من شعارات براقية ليمسح الناس لأول مرة في تاريخهم
 كقضية رئيسية من قضاياهم الاجتماعية في بلدهم ، وكانت حربها شديدة

وحملاتها متتالية ومتنوعة ، وقامت الفئنة في المجتمع ، وتأججت نار الأحقاد والضغائن في البيوت ، لأن المعركة تحولت الى داخل الأسرة بين الزوج والزوجة ، وبين البنات وأبيها ، وما شاكل ذلك ، وأعلنت الحكومة آنذاك أن أى واحد يحاول منع البنات والنساء أن يشتركن في الأعمال الوطنية سيتمرضن لعقوبات قاسية ، ووجد الناس فجأة أنهم في محنة لا مثل لها حتى خاف الوالد من ابنته ، وخاف الزوج من زوجته ، وحدثت حوادث مذهلة ومثيرة بهذه الأسباب ، واستمرت هذه الحملات الشعواء حتى عام ١٩٧٥ م .

فبعد ست سنوات اتصفت بالنشاط والحيوية والعمل الدؤوب لتحقيق المفهوم الاشتراكي في المجتمع الصومالي بلغ الكفاح ذروة نشاطه وفعاليته ، وبدأت مرحلة جديدة أعلنت الحكومة هزمها الأكيد في تنفيذ البرامج الاشتراكية بدون خوف من المجتمع .

ولقد اختارت الحكومة أن تكون بداية المعركة في حقوق المرأة ، وأن يكون التوقيت عام ١٩٧٥ م الذي أعلنت الأمم المتحدة أنه عام المرأة وصيانة حقوقها والاهتمام بشؤونها ، وهذه المناسبة أعلن الرئيس عجوه على القرآن والقيم الاسلامية ، وعلى العلماء الذين يحاولون الدفاع عن هذه القيم ، وهدد بالويل والثبور لكل من يحاول أن يقف ضد القوانين الجديدة التي تنظم شؤون الأسرة وتميد النظر في القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية ، وحتى تتضح الرؤية تطلما أنقل أجزاء من خطبة الرئيس التي ألقاها أمام حشد كبير من المواطنين الذين تجمعوا في ميدان فسيح في مقديشو فسي يوم ١٣ / ١ / ١٩٧٥ م ، وأنظها كما وردت في الجريدة الرسمية مع الإيجاز حتى لا يطول بنا الكلام في هذا المقام ، قال الرئيس : " ان العالم اليوم عرف قيمة المرأة وأقر بوجودها وأثبت دورها الفعال في الحياة الانسانية

واعترف لها بحقوقها كاملة وجعل لها يوما سي بيوم المرأة العالمي ، وعطيه
فاننا بدورنا علينا أن نبرز دورها وأن نمتد لها بحقوقها ، وفي هذه
المناسبة التي نحتفل بها اليوم تكريما للمرأة واعترافا بحقها ، أحب أن أبلغكم
ما يسلي :

أولا : اتخذ المجلس الأعلى للشورة مؤخرا قرارا يجعل المرأة الصومالية
متساوية في الحقوق مع الرجل بما في ذلك الموارث ، فالبنات
متساوية مع الولد في الميراث .

ثانيا : كان فيما مضى اذا مات رجل وترك بنته الوحيدة كانت المصيبة
تأخذ ميراثها عن والدها ، ولكننا نقول انه بعد اليوم اذا حدث
مثل ذلك فان جميع ما يتركه التوفى ستأخذه البنت دون سواها .

ثالثا : كان فيما مضى نسمع من أقوال تقول الربح والظن والخس والسدس
فاننا نقول ان ذلك لا وجود له بعد اليوم ، الولد والبنات
متساويان في الارث وفي الحقوق الاجتماعية الأخرى ، وتكون هذه
القاعدة هي القاعدة الأساسية في المعاملة الزوجية ، أي أن
الزوجة متساوية مع زوجها في الحقوق الزوجية وواجباتها .

رابعا : هارساء هذا المبدأ نكون أول من تمكن هارساء حق من حقوق
المرأة ، وعطيه أرجولاً ولكم المتخلفين ومرضى العقول أن
يتهمونا وأن يساؤوا حقوق الآدميين رجالا ونساء . (١)

ان هذه المبارات التي سبق ذكرها تحمل في طياتها أمورا خطيرة ، وهي
تعتبر عن بداية تاريخ جديد للصومال وتشير بالتالي الى مسلسل أحداث

(١) نجمة أكتوبر : العدد الصادر في ١٤/١/١٩٧٥ م .

رديهة أصبحت تلوح في الأفق ، لأن انكار أحكام القرآن بهذه الصورة
البشعة والصراحة انكار لمجمل الاسلام ، ورفض قاطع لتعاليمه .

وبالتالي فانه اشعار قوى بما تريده الحكومة من اخراج الناس عن
الاسلام ، وتلقينهم بالعبادى الهدامة التي لا تنسجم والقيم الاسلاميه
ثم ان قول الرئيس هذا يدل على التصميم الذى أخذته الحكومة على عاتقها
لمحاربة الاسلام ومسحه من الصومال سحاً نهائياً ، وبدل ذلك قول^{طى}ه
- بعد أن عدد النصف والربع والخمس والسدس وغير ذلك من أنصبة
الموارث - : " اننا نقول ان ذلك لا وجود له بعد اليوم " ، ومن أقرب
الخرائب أن هذا الكلام موجه الى أمة سلمة عريقة في اسلامها ، عميقة
في تدينها ، لا وجود لأى دين آخر في مجتمعا ، ولو كانت هناك
أقليات أخرى ترفض قوانين الاسلام ، لقلل ان هذا الكلام له وجهة نظر
مهما كانت ضعيفة ، ثم انه من الغريب أن المرأة الصومالية لم تشمر يوماً
من الأيام أن حقوقها مهضومة ، وخاصة في المجتمع المدني ، وما يؤكد
هذا القول أن الراتب الذى يتقاضاه الموظفون لا يختلف ولا اعتبار له
في الذكر أو الأنثى ، بل سوى بين الرجل والمرأة ، ولا يوجد أى فسوق ،
ولذلك لم يصبح مطالبة تحرير المرأة في الصومال أمراً مفهوماً ، بل أصبح
قضية تتاجر فيها الشيوعية لاشمال نار الفتنة بين الرجل والمرأة ،
ولقد تحقق هذا للشيوعيين ، كما سأذكره بعد الآن ان شاء الله
تمالى .

والشيء الذى يستحق الاهتمام ، لماذا أصبحت الثورة الصومالية
أول من أعلن بارساء الحقوق للمرأة دون من سواها ؟ وما الفائدة من وراء
هذا الصل الذى تفتخر به الصومال ؟ ! !

الكل يدرك أن الصومال بلد متخلف اقتصاديا وعلميا ، وكان الأحرى أن يندل كل ما في وسعه لتقدم البلاد ومكافحة الجوع والفقير والجهالة ، تلك الأمور التي تهدد وعلاماتها على وجوه الصوماليين رغم خصوبة التربة ووفرة المياه الموسمية والنهرية ؛

وأما اعلان الصومال بهذه الحرب الخاسرة ضد عدو مجهول ، فانها لن تفيد للصوماليين شيئا رجالا ونساء ، بل تمزقهم شرمزق كما حدث فعلا بمد هذه الخطوات البهيمية .

ومما جاء في تلك الخطبة وهو تعبير عن الخوف الذي سيطر على الحكام لادراكهم خطورة الخطوة ، وخشيتهم من قيام الشعب ضدهم * سوف تكون هناك همسات خفيفة ، وأسئلة كثيرة ، لذلك أحب أن أشير الى أنها ستأتي من أولئك الذين سبق لي تسستهم بعلماء السوء ، كما تكون هناك همسات من أولئك الذين لا يعرفون قيمة حقوق الانسانية ولا يرضون بالمساواة ، وهمسات أخرى من الرجعية الصومالية خدم الاستعمار سوف يقولون ان ذلك ليس من الدين ، وأن ذلك لا يرضاه الاسلام ، سأرد عليهم من الآن ، وأرجو منكم ومن الذين يشمرون بالمسئولية والشرف الانساني أن تردوا على هؤلاء * بهذه الأجوبة : حينما نزل القرآن كانت هناك عقبات كثيرة في جميع الصور ، فحاول الاسلام التخلص من تلك المشاكل لأنه كان ثوريا ، وكان يؤمن بالمساواة والعدالة ، فقام بانها بعض تلك المشاكل بطريق القوة المسلحة ، وعالج البعض في ذلك الحين بطرق معينة محدد لها حدودا لتخلص منها تدريجيا سائرا للتطور ، واذا سألتناهم (أي علماء السوء) ما هي الأسباب التي اضطر من أجلها الاسلام الى مسألة الثلث والسدس لا يعرفون ، والجواب على ذلك سهل ، وهو أن

المجتمع الذى كان قبل الاسلام كان مجتمعا جاهليا ، وكان يؤسـن بـوان
البنات ، لذلك عالجها الاسلام معالجة تتفق في حينها مع ادراك المجتمع
وشموه العام ، فثبت للبهت بعض الحقوق ، وفاضل الرجل عليها ، وجملة
مهينا في أخذ الجزء الأكبر من الارث ، والفهوم من هذا هو أن الاسلام
يتبع طريقة مهينة لانها تلك المشاكل ، وكما تعلمون أو تجدون في القرآن
خصمون في المائة من آياته منسوخة أو متناقضة بآيات أخرى نزلت حينها
تقدمت مفاهيم الناس وارتفع مستواهم الادراكي والسياسي ، وفهومهم لحق
الاديين .

اذن ما سبب نسخ آية بآية أخرى ؟ اذا لم تكن مهنية على هذا
الهدأ ، سايرة للتطور ؟ وأرجو من ستمي الآن ، ومن أولئك الذين
سوف يستموني من موجات الاذاعة أن يرشدوا أولئك الذين لا يفهمون
أو يجهلون ذلك ، والى أولئك الذين لم يفهموا معاني القرآن ، والى
أولئك الذين يسيئون الى الاسلام بفهم الخاطي ، وسوف أكون شاكرا
اذا تمكنتم ونحن في هذه المسيرة ، مسيرة التمييز بين الخبيث والطيب ،
بين الرجعي والوطني ، بين المخلص والخائن ، وأرجو أن تميزوا بين
هؤلاء وأولئك (١) .

هذه هي خلاصة الخطبة التاريخية التي أعلن الرئيس القوانيين
الجديدة التي تحدد طريقة الارث وطريقة الزواج والطلاق وجميع المعاملات
في المعاملة من ولاية ونفقة وتعدد الزوجات وغير ذلك ، من الأمور التي
حددها الشرع الاسلامي وأباح ما أباح ، وأعطى كل ذي حق حقه ، وهذه
الخطبة تعتبر أخطر حدث في تاريخ الصومال حسبما أذكر ، لأن ذلك المسئول
هاجم القرآن الكريم هجوما سافرا لا غار عليه ، ووضع القرآن موضع القوانيين

البشرية القابلة للتفسير والتبدل ، وكأنه خاضع للإرادة البشرية
 وشهواتها وميولاتها التي لا تحددها حدود ، ولا تخضع لقوانين ثابتة ،
 ووصف القرآن بأنه متناقض فيما بينه ، وأن خمسين في المائة من آياته
 منسوخة أو متناقضة بآيات أخرى .

وفي نفس الوقت يدعي أن أفكاره هذه توافق الإسلام ، وكل من يقول
 غير ذلك فقد فهم الإسلام فهما خاطئا ، والغريب في الأمر أن الرئيس السدي
 وجه نقده اللانع للقرآن ، ويريد أن يصحح القرآن ويفسره ويحذف الآيات
 والسور كما يدعي - وحولا يستطيع ذلك - لقوله تعالى ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
 الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (١) .

هذا الرئيس لا يعرف شيئا من اللغة العربية ، ولم يتعلم القرآن
 أيام صباه كمادة الصوماليين ، ولو كان عربيا يفهم اللغة العربية أو ألفاظ
 القرآن الكريم لكان الرد مناسبا ، وكنا نقرأ عليه هذه الآية الكريمة ، قال
 الله تعالى ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
 لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا)) (٢) .

ولكنه لا يستطيع أن يتدبر القرآن ، لأنه لا يدرك معاني اللفظة
 العربية ومقاصدها ، بل انه لا يستطيع أن يقرأ ألفاظها ، ولهذا جاء
 طمعه نتيجة بواعث نفسية وأحقاد دنيئة لا نعرف لها سببا حقيقيا ، ولم يأت
 هذا الطمأن نتيجة فهم فهمه شخصا بواسطة المنحرفين ، بل الأمر
 الظاهر من تصرفاته بشكل عام عداوى السافر للقيم الدينية .

(١) سورة الحج - آية : ٩ .

(٢) سورة النساء - آية : ٨٢ .

حتى في خطبه منذ استيلائه على الحكم لم يورد فيها لفظاً
 " بسم الله " بل كان يكره لمن يقولها في بداية خطبته ويقاطع الكلام فسور
 سماه قاتلاً : ان هذه تقال في الساجد ، ولا نريد أن نضيع الأوقات ،
 أما فلسفته حول تطور المجتمعات ، وأن أحكام القرآن تتغير مع تطور المفاهيم
 وتقدم المجتمعات هي فلسفة شيوعية بحتة ، لأن الماركسية تعتقد أن الأديان
 السماوية من إنتاج البشر ، لأنها لا تعتقد بوجود الله سبحانه وتعالى ،
 وأن كل دين ظهر في فترة معينة ، ويتغير بتغير العصور بموايل التطور
 اللازمة للحياة ، وأن التغيرات الاقتصادية في المجتمعات تنتج عنها
 تغيرات في الأفكار والسلوك ، وكما تتغير المجتمعات وتتقدم أساليب
 الحياة فيها لا بد من حدوث تغيرات في الاتجاه الفكري ، كما يقول الشيوعيون
 " هل يحتاج المرء الى ثاقب النظر ليدرك أن أفكار الناس وتصوراتهم
 ومدركاتهم تتغير مع كل تغيير يطرأ على ظروف حياتهم وولاتهم الاجتماعية
 وكيانهم الاجتماعي ، واذا كان تاريخ الأفكار يبرهن على شيء فمفلس أن
 الانتاج الفكري يتغير مع تغير الانتاج المادي ، وان الأفكار السائدة
 في كل عصر كانت دائما أفكار الطبقة السائدة " (١)

ان الصومال لم تكن تحتاج الى دين جديد تعتنقه ، لأنها تمتنق
 الاسلام ، ولم تكن في حاجة الى فلسفة ماركسية لأن التوجهات الرهانية
 تكفيها ، ولكنها كانت في حاجة الى من يقدم لها اصلاحات شاملة فسي
 الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وان آفا من المواطنين كانوا
 يموتون جوعاً على اثر جفاف ضرب البلاد ، وبدل أن تشتغل الحكومة والجهاز

(١) بيان الحزب الشيوعي ص ١٢٨ ط الأولى دار الطلبة - بيروت .

الادارى بحل المعضلات وانقاذ الالاف الذين يتعرضون للموت بسبب الجوع
تحصر جهودها باقناع الشعب بفلسفة الخاديسنة ، بعيدة عن الاسلام
وتعلن للجميع بطلان الاسلام بصورة مكشوفة ، وتحاول مرة بعد اخرى ، السى
ان القرآن الكريم فضل المرأة على الرجل وظلم حقوق المرأة ، فالقرآن محفوظ
لا يحترمه نقص ولا زيادة .

وليس هذا الشخص اول من طعن القرآن وغمره ، فالمرتدون يظهرون
في العالم الاسلامي بظروف مختلفة ، ولكنهم يفشلون في تدمير هذا الدين
لانه اقوى من الطفافة مهما أوتوا من قوة ، وسقطوا ويسقطون ، وتنتهي
آثارهم بعد أيام ، ولكن القرآن سيبقى الى يوم الدين ، ولكنها فتنة
يتعرض لها المؤمنون في كل زمان ، وجهود يمارسها الطفافة في كل زمان ،
وهم كما يقول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها . فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وقبل ذكر نتيجة تلك الخطوة لابد أن أذكر بعض البنود التي وردت في
قانون الأحوال الشخصية الجديد حتى يتضح الموقف جليا لندرك جميعا
حجم المشكلة وخطورتها .

ولقد أصدرت وزارة العدل والشئون الدينية نشرة مفصلة حول
الأحوال الشخصية بأمر من رئيس الجمهورية ، وأذكر بعض البنود الواردة
في نشرة الحكومة بتوقيع الرئيس ووزير العدل والشئون الدينية .

المادة رقم ٤ : تعريف الزواج :

الزواج عقد بين رجل وامرأة متساويين في الحقوق والواجبات .

المادة رقم ١٣ :

لا يجوز للرجل الزواج بامرأة ثانية بدون تصريح كتابي بذلك من محكمة الناحية المختصة ، ولا تصدر المحكمة مثل هذا التصريح ما لم تتحقق من توفير احدى الشروط الآتية :

- ١ - ثبوت عقم الزوجة باقرار لجنة الأطباء المتخصصين شريطة عدم علم الزوج بهذا المقم قبل الزواج .
- ٢ - وجود شهادة طبية/ ^{بأن} الزوجة مريضة بحرض لا يمكن البرء منه .
- ٣ - صدور الحكم بالسجن على الزوجة لمدة تزيد على سنتين .
- ٤ - تضييق الزوجة بلا سبب مقبول عن بيت الزوجية لمدة تزيد على سنة .
- ٥ - الظروف القاهرة التي تليها البيئة .

المادة رقم ٢٨ : الساهمة في نفقات الزواج :

يساهم كل من الزوج والزوجة في نفقات الزواج ومتطلبات الزوجية حسب الامكانيات المالية لكل منهما .

المادة رقم ٣١ : الالتزام بالنفقة وكيفية أدائها :

يساهم كل من الزوج والزوجة في تكاليف الحياة الزوجية بالنسبة لدخل كل منهما ، وفي حالة عدم قدرة أحدهما على الساهمة يلتزم الآخر بتحمل أعباء وتكاليف الحياة الزوجية اذا قرأى من الزوج والزوجة في التزامه بالنفقة يجب عليه أو عليها دفع حصته منها ما لم يكن عاجزا تماما عن ذلك ، اذا استحال على أحد الزوجين الحصول على النفقة من الآخر للأسباب فخر معذورة يحدد القاضي

هذه النفقة لتكون دينا في ذمة من لم يوف بها ، ويحول للاخسر
الحق في الاستدانة بما لا يزيد عن المبلغ المحدد .

المادة رقم ١٥٨ : الارث بالفرض :

ساواة المرأة بالرجل في الميراث عملا بالمعادى العامة الواردة
في البهان الأول والثاني للشورة ، فان المرأة والرجل متساويان
في الارث (١) .

هذه بعض البنود التي اخترناها كشاهد ، وحقبة البنود التي لم نذكرها
هنا تمتبر مفسرة للمادة ١٥٨ ، وفي خطبة الرئيس الذي نص بالمساواة
الكاملة بين الرجل والمرأة ، ويدخل في هذا الباب الطلاق حيث تستطيع
المرأة أن تطلق زوجها متى تشاء ، وكذلك ولاية النكاح .

ومعد هذه القرارات المخزية التي ست شعور المسلمون ، وجرحت
قلوبهم أصبح الناس في حيرة من أمرهم وساد في العاصمة وجميع المدن
الصومالية جو من الكآبة والحزن ، ولم يستطع الناس تصديق ما حدث بسهولة
ويسر ، بل أصبح الكثير فاقدى الوعي لهول ما نزل على البلاد وأهلها ،
وهاج الناس واشتدت غيرتهم على الاسلام ، ومعد يوم من هذه القرارات
كان الشعب كله ينظم المظاهرات الصاخبة ، التي اندلعت من أحياء العاصمة
وهي تهتف وتردد : الله أكبر الله أكبر ، وبدأت المساجد تلقي خطبها
الحماسة للدفاع عن هذا الدين ، ونهذ الالحاد بأشكاله جميعا ، واندلعت

(١) قانون الأحوال الشخصية الصادر من وزارة العدل والشئون الدينية

الحرب في الشوارع بين الشعب وبين القوات الثورية ، واعتقلت الثورة آلاف من العلماء والطلاب والموظفين ، وداخمت قوات الأمن المساجد لتتمنع الخطب ، ونزل الجيش الى الشوارع واعتقل آلاف من الرجال والنساء ، وهدم خمسة أيام من تلك المظاهرات أقدمت الحكومة على اعدام عشرة من العلماء ، وحكم على عشرات أخرى بالسجن لمدة طويلة يصل بعضها الى ثلاثين سنة ، وتحقق للإلحاد حلما كان يراوده منذ مدة طويلة ، وحصلت الكارثة على البلاد ، وأنجزت الثورة ما وعدت من تهديدات ، وبدأت مرحلة جديدة كان لها ما بعدها .

أما موقف العلماء من هذه المآسي فسأتحدث عنه في الفصول القادمة بانن الله تعالى .

هكذا تحت المجزة الرهيبة بهذه السرعة المذهلة ، وكأنها قضية تافهة لا تستحق التفكير والتمعن في أمرها ، وكأنهم يقولون : هذه حفنة من العلماء وقفوا أمام الثورة والماركسية يجب أن ينتهوا بسرعة حتى يكونوا عبرة لبقية الشعب .

هكذا تخيل رجال الثورة في بادئ الأمر ، وهكذا نفذوا العملية في أقل من أسبوع بعد ١٠ بالقرارات ، واعتقالا ، وحكسا ، وتنفيذا .

ولكن حجم المشكلة لم يكن كما تصورهما رجال الثورة ، وإنما أصبحت مجزة العلماء أصعب مشكلة مرت في فترة حكمهم في داخل الصومال وخارجها كما سيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى .

وأما هل ظهرت آثار جديدة في المجتمع ؟ فمما لا شك فيه
أن الأمور بعد المجزرة تغيرت كثيرا ، لأن أجهزة الحكم والقوات الشعبية
والمخابرات ، وفهر ذلك من التنظيمات الماركسية ضاعفت حملاتها ضد
الدعاة والمساجد ، وبدأت اعتقالات واسعة وعشوائية ، محاكمات سرية
ضد هؤلاء الممتثلين ، حتى تحولت البلاد الى سجن كبير لا يطاق ، ولقد
شطت هذه المطاردة حتى النساء وأودعن في السجون ، وقضى بعضهم
عدة سنوات في السجون ، وتلك الأيام كانت أيام ابتلاء ومحن للمسلمين فسي
الصومال .

ولم تقتصر المحنة على هذه النواحي المذكورة ، بل كانت هناك
جوانب لم تكن أقل ضررا مما ذكرت ، فحياة المجتمع الاقتصادية وصلت في
تلك الأيام الى درجة خطيرة ، لأن التنظيمات الماركسية استولت على مصادر
الدخل وكونت محطات لتوزيع الأظعمة ، وحتى لا يجد المرء وقتا ليفكر
فسيها حدث أو يناقش أحكمت قبضتها على الأظعمة بدرجة لا يتصورها
الذي احترق في نارها ، فلا بد من الحصول على البطاقات ، ولا بد من
حضور مراكز التوعية الماركسية ، وبعد هذا وذلك لا بد أن تلتزم بكمان
ممين لا تستطيع أن تأخذ المواد الغذائية من غيره ، حتى اذا انتهى
ما فيه قبل أن تأخذ ، ثم ان الأسرة لا تأخذ من هذا الدكان الا الكمية
المقررة لليوم الواحد من جميع الأصناف مثل الأرز واللحم والزيت والسكر
والفحم وجميع المواد اللازمة للوجبات ، طالما بأن الكمية الممروضة في
الدكان قليلة وغير كافية للحي أحيانا ، ولذلك يأتي الزبائن الى هذا المحل
بعد صلاة الصبح مباشرة ليجدوا مكانا متقدما في الصف ، وربما يستمر المرء
في هذا المكان حتى صلاة الظهر ، وحدث كثيرا أن انتهى كل شيء قبل

أن يأخذ الجميع ما قدر لهم ، ويعود المرء الى أولاده بدون شيء ،
 يأكونه ، حتى كاد الناس يهلكون من شدة الجوع ، وليس معنى ذلك أن
 هذا الأمر ناتج عن قلة الأطمعة في البلاد ، وإنما كان تخطيطا منظما
 قصد به هكذا لمضايقة الشعب وحرمانهم من كل الحقوق حتى يذلوا
 وينقادوا للمذهب الماركسي ، وحتى لا يفكروا في غير قوت أولادهم وحيث
 الضرورات .

ولقد نتج عن هذه المضايقات فساد كبير حيث ظهرت أول مرة
 أسواق خفية - أسواق سوداء - تباع فيها الأطمعة والحاجيات الضرورية
 بأسعار مذهلة لا يستطيعها الا أصحاب الأموال ، أما الفقراء فانهم ازدادوا
 بؤسا أشد ، وانتشرت الرشوة في المراكز الحكومية حتى أصبحت شبه عينية
 وحتى أصبحت اليوم أكثر الأمراض الاجتماعية فتكا وأصعبها حلا وأخطرهما
 نتيجة لأنها وصلت الى درجة ميثوسة ، وهي من نتيجة الكبت وحرمان الناس
 من حقوقهم الشرعية .

وبلاحظ أن سرقة أموال الدولة وصلت مرحلة عجيبة عجزت الحكومة
 عن إيجاد حل لها ، لأن الموظفين فقدوا الأمل في تأمين حياتهم المعيشية
 بالطرق الشرعية ، فلبجوا الى جلب الرشوة وسرقة أموال الدولة بأية طريقة
 كانت ، وهذه الطريقة التي لجأت اليها الحكومة لتوزيع الأغذية كانت ممن
 كبرى العقبات أمام الاسلام ، لأنها أصبحت عائقا كبيرا أمام تعليم الأولاد
 وغيرهم ، لأن الجميع انشغلوا في بحث الضروريات وحضور المراكز الماركسية .

أما الجانب الخلقي ، وكيف انحلت الأمة فحدث ولا حرج ، لأن نشر
 الرذائل ومعاربة الأخلاق وتشجيع الفساد الخلقي ، هذه الأمور كانت ممن
 أكبر المشاريع لدى الثورة ، فعلى سبيل المثال ان الخمر قبل الثورة

لم تكن ظاهرة ، ولم يجد لها وجود حقيقي أو خطر يضر بالصالح ، لأنها لم تكن ظاهرة للعيان في المجتمع الصومالي ، ولم يكن بيعها مسموحاً ولا تجارتها ، وإذا وجدت ففي طريقة سرية ، ولكنها بعد الثورة ظهرت في الطعام والدكاكين ، وأعطت الحكومة رخصاً لمن يريد تجارتها ، واليوم انتشر دأؤها واستشرى في المجتمع حتى ترى الصغار من الشباب يشترونها ويشربونها لأنها تباع في الأماكن العامة ، وهناك النوادي الليبية وأماكن اللهو التي تساهم في افساد الشباب ونشر الانحلال في أوساط المجتمع ومحاكمة الفضائل مثل الاحتشام وكل المظاهر الإسلامية الأخرى التي تحولت إلى جريمة لا تغتفر ، وإلى سخرية واستهزاء من قبل القائمين بأمور المجتمع ، بل أصبح المسئولون يميون هذه الأمور في خطبهم .

وخلاصة القول : ان الاتجاه الاشتراكي الذي ظهرت خيوطه الأولى عام ١٩٧١ م وما تبع ذلك من تطورات متتالية بدأ باعلان الاشتراكية العلمية وفرض اللاتينية على المجتمع ، والتخبطات الادارية ، وفرض المجتمع على قبول الاشتراكية العلمية وأنظمتها القاسية ومبادئها الهدامة .

بالإضافة إلى نيل الإسلام وطعن القرآن الكريم ، ووضع قوانين تخالف علناً في الأحوال الشخصية ، الركن الوحيد الخاضع للنظام الإسلامي وقتل العلماء الذين وقفوا ضد الباطل ، وتجريح الناس واحتكـار الأرزاق ، وكبت الحريات الدينية وغير الدينية ، كل هذه الأمور وغيرها مما تحدثت عنها ، وما لم أتحدث خوفاً من إطالة الفصل أو التحرج من ذكره لبشاعته وقبحه مما يجب أن يهان عن اللسان أدت إلى النتائج التالية :

أولاً : وبكثرة المضايقات التي مرت بالمجتمع من قبل الدولة وأجهزتها الأمنية سيطر الرعب على قلوب الناس ، وماتت الثقة بين الناس

حتى لا يأمن أحد من أقرب الناس اليه ولو كان ذلك ولده أو زوجته .

ثانيا : ظهور كواد ر شيوعية تعلن الحادها وتناقش مبادئها بدون حجب
أو خوف ، وهذه الكواد ر من انتاج الجهود الكثيفة التي بذلتها
الحكومة لتوطيد المفاهيم الاشتراكية في نفوس الشباب في داخل
البلاد وفي خارجها بواسطة البعثات التعليمية ، وهي عناصر
تؤثر في مستقبل البلاد بشكل أو بآخر .

ثالثا : تفشي الفساد الخلقي حيث تضاعف هذا الفساد مئات المرات عما
كان عليه قبل هذا المهد ما يمكن أن يوصف بأنه تغيير جذري
طرا خلال فترة وجيزة ، وهذه سنة الله في خلقه ، فكل أمة لا تدافع
عن دينها وشرفها لا بد أن تقع في أحوال الرذيلة ، لأنها هي التي
غيرت الخير بتكاسلها وهوانها ، يقول الله تعالى في هذا ((ذَلِكْ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَكُنْ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ لَنُفِخَ بِرُوحِ
مَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (١) .

رابعا : الرشوة والمحسوبية ستان بارزتان من سمات المهد وهما من نتائج
الظلم وقلة المدالة ومنع الحقوق من أصحابها .

خامسا : ضعف الدين وهبوط الروح الاسلامية في الأمة بصفة عامة ، لأن
الجيل الجديد الذي تربى في أحضان الماركسية وشرب من سمومها
هو بعيد عن القيم الاسلامية رغم وجود بعض العلامات المشجعة
الا أنها قليلة بالنسبة لمعظم ذلك الجيل الناشئ .

(١) سورة الأنفال : الآية : ٥٣ .

سادسا : تفكك الأسرة الصومالية بسبب القوانين التي ذكرتها ، حيث نشبت ممارك كثيرة في داخل الهبوت ، مما أدى في حالات كثيرة الى قتل بعض النساء ، لأن القاضي رفض طلاق بعض الأزواج وأمر الزوجة أن تذهب معه حتى ثارت أعصاب بعض الأزواج وقتلوا زوجاتهم ، أما الطلاق بهذه القوانين فلا يعد ولا يحصى ، ولذلك وصلت المائلة الى مرحلة تفكك مؤلمة وتمزق مخيف ، لأن الحكومة عرضت النساء على الرجال بجميع الوسائل حتى ظهر العصيان في كثير من النساء أدت الى ما ذكرته آنفا .

سابعا : ظهرت بوادر خطيرة في الآونة الأخيرة في المجتمع ككل ، وهي تشير الى أن المجتمع الصومالي بلغ مرحلة بأس بالغة الخطورة انعدمت فيها الثقة بين الحكومة والشعب ، وبين المناطق المختلفة نفسها مما أحدث حروبا دامية بين بعض القبائل الصومالية ، لأن الأمة بتلك العوامل السالفة تفككت أوصالها ، وانعدمت الثقة فيما بينها ، وهي الآن مقبلة على حروب قلبية وإقليمية رهيبية لا يعرف أحد أو يتكهن الى أين تنتهي ، وهي نتيجة مباشرة للأحداث التي جرت في الاقليم ، والانتهاكات الخطيرة التي تعرضت لها الشريعة الاسلامية ، وهدم القيم الأخلاقية النابعة من الاسلام والتي هي السياج الواقى للأمم من الانحرافات والدمار ، ومستى فقدت الأمة القيم المثلى والأخلاق المالية وهان عليها أمر دينها وعقيدتها وتمردت وأعرضت عن الله فتحقق أنها في طريق الهلاك والموار لقوله تعالى ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

ضُنُكَا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . . . (١)

كانت الصومال بلدا طيبا بالخيرات ، وأعطى الله الاستقلال عن أيدي الكفرة ، ووجدوا بعد ذلك الأمن والاستقرار والمعيشة الهانئة ، فبعد أن سلكت طريق الالحاد باختيار من قادتها ، وسكوت عن أكثر الشعب بدل الله حالهم السابق بأسوأ حال عرفوه في تاريخهم ، ويذكر حال الصومال بهذه الآية القرآنية الكريمة ، قال تعالى ((وَضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) (٢) .

وعلى كل فان نشاط الدعوة الاسلامية قد قل في هذا العهد وانخفض ، فالمساجد فقدت نشاطها والمدارس الاسلامية أمت جميعها ، والمحاضرات الدينية متنوعة حتى الآن ، والكتب الاسلامية لا تدخل البلاد بسهولة ، واذا دخلت لا تسلم الا بعد مراجعات مزعجة ، وربما تتعرض للمصادرة من قبل وزارة العدل والشئون الدينية في احيان كثيرة .

وموقف الحكومة من الاسلام موقف عداوة سافر ، وتنظر في أمر الدين بعين الريسة والشك ، وتلقى التحذيرات المتكررة تجاه الدين والتدينين ، والنشاط الديني محظور بصفة عامة ، والشيء الوحيد الذي تفيقر في هذا المجال هو التفكك الذي طرأ على الجهاز الاداري والضمف الذي ساد على الهيئات الحكومية ، مما أعطى تنفسا قليلا للدعاة في الفترة الأخيرة .

(١) سورة - آية :
(٢) سورة النحل - آية : ١١٢ .

وأخيرا لا شك في أن النظام الذي صاد البلاد منذ السبعينيات هو أكبر عقبة في طريق الاسلام ، بل انه دمر حصونا كثيرة للدعوة الاسلامية وأراق دماء زكية ، واستشهد الكثير لأجل عقيدتهم ، وأبعد آخرون عن الاسلام ، وأوصل الأمة الى حافة سحيقة من التمزق الأخلاقي الذي لم يسبق له مثل في تاريخ البلاد ، كل هذا قد حصل وما زال يستمر ولا شك في ذلك ، ولكنه ليس جميع العقبات التي تقف أمام مسيرة الدعوة بل هناك عقبات أخرى لها جذور في أعماق المجتمع ، أذكر أهمها بآذن الله تعالى في الصفحات الآتية .

الفصل الرابع
(العبادات والتكاليف الجاهلية)

العادات والتقاليد الجاهلية

لقد تحدثنا في الفصول السابقة عن العقبات التي تقف أمام الاسلام وانتشار فنونه في البلاد الصومالية ، وأما الآن فصل جديد حول ذلك الموضوع .

والفصل الجديد يتناول طائفة من العادات المنتشرة بين الأفراد والقبايل في الصومال والتي تخالف التعاليم الاسلامية وتحمل في طياتها منكرات عديدة ومحرمات تؤدي أحيانا الى خطر كبير في المجتمع ، ولا يمكن أن أتحدث عن جميع العادات المخالفة للاسلام لكثرتها وتشعبها ، ولكنني أحاول أن أذكر بعض العادات الرئيسية والتي أصبحت شاكلها ظاهرة للمعيان ، أولا تقبل الجدل في مخالفتها الواضحة للأحكام الاسلامية ومعدتها عن الصلحة العامة ، بل ان بعضها تحمل أفكارا غريبة تستهجنها العقول السليمة ، وتستنكرها لشدة بشاعتها وسوء منظرها واعوجاج منطقتها .

وهذه العادات عميقة في المجتمع ضاربة جذورها في نفوس كثير من أفراد المجتمع ، وهي عادات جاهلية لا يقرها الاسلام رغم أن بعضها ينسب الى الاسلام ، وأورد ما أراه مناسبا في هذه الرسالة بهالله التوفيق .

الأولى : الحسير : -----

وهو نظام يضمه أفراد القبيلة الواحدة أو القبيلتان فيما بينهما أو مجموعة قبائل مختلفة ليتحاكوا اليه ، وليصدروا عنه ، وليس مستمدا من الشريعة الاسلامية ، ولكنه خلاصة تجارب القبائل وما استحسنوه من أفعال ، وهذا النظام ليس مكتوبا على الاطلاق ، بل هو محفوظ في صدور الأفراد وله رجاله المختصون الذين يعرفون دقائقه وفروعه ، الذين يستدعون عند الحاجة اليه ، وهؤلاء يشبهون رجال القانون والقضاة .

وطى هذا المعنى فان الحير بمثابة قانون وضمي ينظم شئون الأفراد والقبائل لفصل القضايا الطارئة ومعالجتها ، وهذا المعنى فهو قانون غير مكتوب .

فاذا حدثت حادثة بين الأفراد أو القبائل ، واحتيج الى مشاوراة بين الذين تخصصهم القضية هل يذهبون الى الفقيه المتخصص بالشريعة الاسلامية أو الى رجال الحير المتخصصين به ؟ فمنهم من يختار الى حكم ذلك القانون ، وآخرون يختارون الى حكم الشريعة ، ويتفق الطرفان فسي نهاية المطاف باختيار احدى الطريقتين في انها الحكم .

وغالبا ما يكون الاختيار بالقانون المذكور الذي لا علاقة له بالشريعة الاسلامية ، وهذا الوضع المتعارف بين قوم يدينون بالاسلام ولا يتحاكمون اليه ، بل يتحاكمون الى القانون الوضعي بحض ارادتهم واختيارهم وهم معرضون عن دين الله سبحانه وتعالى ، وهذا الوضع كأنهم هم الذين

تخاطبهم الآية الكريمة ، وتصفهم وصفا دقيقا يعرى مزاعمهم ويكشف التناقض
البيّن الذي يعمشون فيه ، قال الله تعالى ((ألم تر الى الذين يزعمون
أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا
الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم
ضلالا بعيدا)) (١) .

والآية التي يمد هذه تتحدث عن المنافقين الذين لا ينقادون لأوامر
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وكل من يحرض عن حكم هذا الدين وهو
يعلم ما يترتب عن ذلك فيكون حكمه حكم المنافقين ، قال الله تعالى
((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا)) (٢) .

هذا هو الحير ، أما مفسده ومخاطره فهي كثيرة .

فمن مفسده : أن كل قبيلة تقرها لها نظام خاص بها وشعونها ،
فمنذ ما تقر القبيلة أو القبيلتان نظاما تتعامل بموجبه ، فان هذا النظام
يوضع لأجل مصالح تلك القبيلة وأفرادها بغض النظر عن سواها من البشر ،
وهذه النظرة تعطي ظللا قاتمة، لأن المصالح البشرية وخاصة مصالح
المجموعات البشرية التي تعيش في محل واحد تتفاعل وتتشابك لا سيما هؤلاء
القوم الذين يشتركون في الدين واللغة والموطن ، فكل قانون يفرق بينهم
فهو يمزق شطيمهم ، ويسبب الدمار والاختلاف في آخر الأمر ، فعلى سبيل

(١) سورة النساء - آية : ٦٠ .

(٢) سورة النساء - آية : ٦١ .

المثال هذا القانون يفرق بين أفراد القبيلة وغيرها في المعاملات والأحكام
 ما جعل الأمة الواحدة في الاعتقاد وفي كل شيء تنقسم الى مجموعات
 صغيرة لا رباط بينها ولا ثقة تشد بعضها الى بعض لا نعدام الميزان
 الحقيقي الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقيمه بالعدل والأمانة
 فإذا اختل ميزان العدالة في أي مجتمع ، فقد تودع منسسه ، لأن
 الظلم سهل محل العدالة .

فالخير بطبيعتها رمز للظلم والطغيان وسند قوى للأقوياء فهو ضد
 الحقوق وتاديتها ، فهو دائما وأبدا يقف بجانب القوى ، فإذا قاتل
 شخصا بطريقة الممد ، فإن الحير عموما يدافع عن القاتل مهما يكن من
 أمر ، فأفراد القبيلة لا بد أن تقف مع الجاني وتحميه بكل ما أوتيت من قوة
 ولا يجيز هذا القانون القصاص أبدا ، بل يجيز الدية مهما كان القاتل
 عمدا أو شبه عمدا أو خطأ ، فإذا القتل حدث بين أفراد القبيلة الواحدة
 فإن الحكم لا يتغير لأن أقرها القاتل يقفون الى جانبه ، وبعض أنظمة هذا
 القانون تجعل الدية دون الحد الشرعي ، فبدل أن كانت دية الرجل المسلم
 مائة ناقة أو ما يشابهها ، فإن نظام القبيلة يجعل الدية بين أفرادها
 نصف ذلك أي خمسين ناقة أو ما يعادلها ، فهذا ظلم صريح يقع على
 ذوي المقول من جانبيين :

١ - ان قتل الممد لا بد أن يقتل فيه القاتل اذا أمكن ذلك الا أن يمفو
 أهل المقول ، فإذا عفوا فإن القصاص يسقط تلقائيا وتتمين الدية
 ولكن المجرم يختفي بين قومه وتُدافع القبيلة عنه بكل ما لديها من قوة .

٢ - بعد هذا لا يجدون الدية التي يستحقونها كاملة بل يعطى ما يقرره هذا النظام من حقوق بدون مراجعة أو نظر الى الحقوق الثابتة فسي الدين ، فهذا أمر لا يتشى مع روح الشريعة وأحكامها العادلة ، ولا يساعد على المعيشة بسلام بل يكون دائما رائد الفتنة بين القبائل لأن الضعيف الذى أصبحت حقوقه مهضومة لا يستقر له حال في غالب الأحيان ، فاذا قدر الله أن يقوى يوما من الأيام فلا بد أن يفكر في الانتقام من الظالمين الذين قتلوا قريبه ورفضوا دفع الدية بطريقة سليمة .

أما القضية الأخرى المتعلقة بالجراحات باختلاف أشكالها وأحجامها ، فإنها أكثر ظلما من دية القتل ، لأنها أكثر حدوثا فيقدرونها حسب ما يرضى الجاني ولا يكلفه أموالا طائلة بغض النظر عن حق صاحب الحق ، فهذا الانسان الذى كسر رأسه أو فقد عينه أو أى عضو من أعضائه لا يجد حقه اذا كان ضعيفا لا يستطيع أن يأخذ حقه بالقوة ، وهكذا تضع الحقوق ويترك ضياعها أثرا سيئا في النفوس ، وجرحا عميقا في قلوب المظلومين ، ويفسرس فيهم المداوات والأحقاق التي تستمر أجيالا متعاقبة مما يؤكد فساد نظام الحبر الجني على الظلم والافساد وهضم الحقوق واشمال الفتنة بين المباد . ومن فساد الواسعة الانتشار في المجتمع أنه هو الذى يذكي نيران القلبية ، والسبب في ذلك أن الناس يختلفون كثيرا في أية جهة يتحاكمون اليها ، هل يتحاكمون الى الشريعة الاسلامية أو يتحاكمون الى نظام الحبر فيشتد الخلاف في الأمر ، لأن هذا النظام ليس واحدا ، بل لكل قبييلة

نظامها ، ولكل بيئة طريقها الخاصة في معالجة الأمور وانها الشاكل .
ولذلك من الصعب أن يتفق الجميع في نظام قبيلة معينة ، والنتيجة
أنهم يختلفون وكان من المفروض أن يلجأوا الى الاسلام الذي يؤمنون به
حسب الظاهر ليتفقوا على حل القضايا الطارئة ، وقالها ما يرفض القوى التحاكم
الى الشريعة الاسلامية لأن الأمر بيده وخاصة اذا رأى أن الشريعة لا تؤيد
جانبه ، ففي كثير من مثل هذه الأحوال يلهب الحماس الشديد بين المتخاصمين
وتندلع الحروب التي تأكل الأخضر واليابس ، والتي تؤدي أحيانا الى افناء
أجيال متعاقبة بأكلها ، ويصعب إيقاف هذه الشاحنات لعدم وجود سلطة
تنظم شعون المناطق البدوية حتى الآن ، فهذا النظام له عظمة في نفوس
المجتمع ويقدرونه تقديرا عظيما ويمدحونه كثيرا ويصورون أن حياتهم لا تمكن
بدونه ، بل يصورون أنه فوق الشريعة ، وأن صلحتهم مع الحير لا مع الاسلام
وبالتالي ينظرون الى أن الشريعة الاسلامية لا يمكن اعتمادها في المعاملات
الجارية والحوادث التي تقع فيما بينهم ، والذين يعتقدون هذا الاعتقاد
السيء هم رجال الحير الجاهلون عن الاسلام ومقاصده ، وبعض طما السوء
الذين يراعون مصالحهم بواسطة ارضاء هؤلاء الجهال من رؤساء القبائل الذين
يضمون قانون الحير للقبائل .

وهذان الصنفان هما اللذان يشجعان الظلم وينفذان الحير على
المجتمع ويفرسان حب الجاهلية في نفوس الأبناء باستمرار حتى تنشأ الناشئة
بالمفاهيم الجاهلية الحنية على القلبية وتقديس عاداتها ونظامها ، وحتى
يمكن تلك المفاهيم الجاهلية يروجون بين الناشئة بعض الأمثال السائدة

في المجتمع ، والتي تدل على أن الأمة لا ترتبط كثيرا بالأحكام الإسلامية ولا تتقيد بأوامره ونواهيه ، بل ترتبط بأهوائها وشهواتها وميولها ، ومن هذه الأمثال السائدة :

- ١ - " الشريعة الإسلامية عدوة للمصالح " أي أنها ضد مصالحهم .
- ٢ - " الأحكام الإسلامية لا تنفذ إلا بالضعفاء " لأن القوى لا يخضع لها .
- ٣ - " الشريعة للأحوال الشخصية فيما بيننا ولكنها ليست للقضاء " فسي المعاملات الأخرى .

وهذه الأمثال وغيرها تقال عند ظهور الخصام والخلاف ، ويستدل بها كأنها من عند الله حتى يتنازل الطرف المتسك بالشريعة ويريد حكمها ، ثم يصورون دائما أن مصالحهم ليست مع الدين في الأحكام الجنائية وغيرها ، بل مع النظام الجاهلي الذي وضموه من عند أنفسهم .

وهذه الأمثال ان دلت على شيء فانما تدل على أن المجتمع الصومالي مجتمع فقد كثيرا من القيم الإسلامية ، وتسود الأحكام الجاهلية في بيئته حتى أصبحت مثل هذه الأمثال أمرا مقبولا لدى الأغلبية الساحقة .

فهذه أمور تطورت حتى أصبحت شكلا غلبت الجاهلية على كثير من الأمور الدينية ، وخاصة تلك الأشكال التي تقف أمام الأحكام الإسلامية ، بل ترفض رفضا قاطعا وتصفها بأوصاف لا تؤمن نتائجها ، ويمكن أن تصدق هذه

الآية الكريمة على أمثال تلك الأشكال من الجاهلية البغيضة التي رفضها

الإسلام منذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى ((فَلَا وَرَيْكَ

لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلِعُوا تَحْلِيمًا (١) .

وأخيرا فان هذا النظام مع ما له من مساوي* تلحق بالأفراد حيث يفقدون حقوقهم التي استحقوها ، فانه يمزق المجتمع ويفرقه تفرقا خطيرا حيث يجعل التعامل بطريقة ساذجة لا تعتمد على منطق الحق ولا المصلحة العامة ، بل ينظر الى أمر التعامل بالمقاييس القبلية البحتة أي الأقرب فالأقرب ، وهذه الطريقة الظالمة تفكك المجتمع ، وانعدمت الثقة بين مجموعاته وساد الظلم بين أوساطه ، ولذلك تدرك تماما أن كل ما سوى الاسلام من أنظمة فهي لا توفى الغرض المطلوب ، بل تحمل في طياتها جانبا كبيرا من التمسف والاضطهاد وهضم حقوق الآخرين مما يتنافى مع الهادي* العامة في الشريعة الاسلامية ، وتعمق المفاهيم والأخلاق الجاهلية التي لا تتناسب في الأمة الاسلامية في أي عصر من العصور ، وفي جميع الظروف مهما ظن الناس ووهموا وبالغوا في خيالهم .

ثانيا : يوجد في الصومال بعض العادات الجاهلية القديمة ومنها عيد النيروز:

ويكون قبل فترة مطول الأمطار في حزيران ، ويختلف عيد النيروز بين منطقة وأخرى ، ويقتصر في بعض المناطق المطلية على البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وليس أمرا شاملا في جميع المناطق ، وفي أغلب المناطق التي له وجود فيها ، فالأهالي يوقدون النار وخاصة في الهودي ، ولا يعرفون لماذا يشملونها بصورة واضحة ، وانما هي عادة نظمتها عن أجدادهم وحفظوها

(١) سورة النساء - آية : ٦٥ .

بدون أن يدركوا مقاصد اشتعال النار في موسم محدد ، وليس هناك شبيء آخر في ذلك العيد ، بل الأمر مقتصر على اشمال النار الا في منطقة واحدة من جنوب البلاد .

فالمطقة التي أصبحت متأثرة بشكل كبير بعيد النيروز ، فهي منطقة أفجوى ، وهي منطقة قريبة لمقديشو ، وهي تبعد عن العاصمة بثلاثين كيلوا مترا ، وتقع على نهر شبيلي وهي منطقة زراعية تقع غرب العاصمة .

ففي شهر حزيران من كل عام يقوم أهل أفجوى بمعرض واسعة ، وعنده المعرض تكون قبل موعد الأمطار في غالب الأحيان ، فينقسم الناس في أفجوى الى مجموعتين كبيرتين ، كل مجموعة تمد نفسها لقتال عنيف ضد المجموعة الأخرى ، ويأتي الناس من مقديشو ومن المدن الأخرى التي تقع حول أفجوى للتفرج على القتال الذي يقع بين الجانبين ، ويبدأ القتال بين الفريقين ، يستعملون الأخشاب والعصي الغليظة ، ويتقاتلون بكل عنف وشراسة ، وبأخذ القتال شكل الكر والفر في اليوم المحدد ، ويسيل الدم الساخن ، ويسقط الجرحى وربما تؤدي الجراح الى الوفاة في بعض الحالات ، وتأخذ الحكومة الجرحى الى المستشفيات للمعالجة ، وتمتد هذه القبائل القاطنة في أفجوى أن الأمطار لا تنزل اليهم اذا لم يتضاربوا ولم يتقاتلوا في كل سنة ، بل يحدث الجذب وبهم القحط لعدم المقاتلة ، ويمتقدون أن كثرة الدماء السائلة أثناء القتال دليل أكيد على الرخاء وكثرة الأمطار ، وكلما سالت دكا أكثر كلما يكثر الرخاء وبهم الخير في تلك السنة ، وهذه المادة السائلة لا توجد في أية منطقة أخرى في الصومال حسبما أعرف ، وعندما حاولت

الحكومات الصومالية لمنع هذه المادة رفض أهل أفجوى رفضا قاطعا واعتسروا ذلك امانة وحرها ضدهم ، وتركوا الحكومة وشأنهم ، وأن الأمر يحتاج إلى عزيمة من قبل الدولة ، ولكنها تنظر إلى الأمر كأنه من الأمور الشعبية ، بل الحكومة وحتى السياسيون الأجانب يتفرجون على هذه المأساة وهذه المادة من أكثر المواد الموجودة في البلاد بشاعة وأكبرها غرابة في منطقتها ويسدو أنها من المواد الجامعية التي كانت قبل الإسلام ، ولم تتغير بمجسي الإسلام ، والله نسأل أن يصلح أحوالهم ويهد بهم إلى أقوم السبيل .

ثالثا : من المفاسد العظيمة في البلاد بناء القبور وتعظيمها :

هذه المفاسد لها عدة جوانب مختلفة ، ولكنها من منبع واحد حيث أن الناس يبنون القبور بعد موت أقرانهم أو موت العلماء الذين اشتبهوا بالتقوى والصالح والورع ، هذا البناء يأخذ أشكالا مختلفة ، فهناك البناء المرتفع المكون من الأحجار والتراب ، وربما يصل إلى متر فوق الأرض ، وهذا هو الشكل الغالب الذي يعم جميع المقابر .

أما الشكل الآخر فبناء القباب والأضرحة فوق القبر ، وهذا النوع يختص بالعلماء الكبار المشهورين بالعلم والتقوى بعد موتهم ، وهذا النوع هو الذي افتتن الناس به كثيرا ، ويفعلون من أجله الأفاعيل من التفاخر بجمال القبب والأضرحة وتعليق السرج عليها وغير ذلك من الأمور المنكرة .

ففي تشييد القبور وبنائها يخالفون أمر الدين ويرتكبون المحرم ، وفي الحديث : عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب :

ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا تدع تماثلا
 إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سوته (١) . فبناءً القبور بهذه الطريقة
 يخالف هذا الأمر النبوي مخالفة صريحة ، فما دام الإسلام رفض وجود قبر
 مشرف أي مرتفع مهما كانت درجة ارتفاعه صغيرة ، فبناءً القباب وتشبيد الأبنية
 العالية والمنايا بها مثل التنظيف والتبيض وإظهار أي اهتمام لها أشد حرمة
 وأغلظ جرما ، فقد ورد الحديث يمنع هذه الأمور (عن جابر رضي الله عنه
 قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه
 وأن يبنى عليه) (٢) .

وهذه العادة التي ابتلى بها كثير من البشر منتشرة في الصومال
 ولكنها أشد في بعض المناطق ، فأكثر المناطق عناية وابتلاءً منطقة الجنوب
 وخاصة حول قبر الشيخ أوييس الذي كان من أشهر العلماء المنتسبين إلى
 الطريقة القادرية ، وكان له أتباع كثيرون في حياته ، ولما مات الشيخ افتتن
 الناس به وحقبوه .

وقبل حلول موعد الزيارة لقبر الشيخ أوييس يطوف في المدن أفواج
 من أشباه العلماء الذين تملو عليهم المعائم ويذكرون الناس بحلول الموعد
 المبارك ويطلبون منهم أموالا لهذه المناسبة ، ويذكرون القصص التي تثبتت
 كرامات الشيخ وفضل الزائر إلى قبره بطريقة تفرى الناس بهذه الزيارة
 وتشوقهم ، فتتوجه أفواج وأفواج من العرصات المحطة بالمسافرين والهشاشع

(١) و(٢) رواهما مسلم .

فتذهب عشرات من السيارات الكبيرة من مختلف المدن والقرى فتجتمع هذه
الجموع حول قبر الشيخ حتى يحل الموعد ، وبعد حلول اليوم المحدد للزيارة
يطوف الناس وتطوف السيارات حول القبر ثلاث مرات ، وتأتي خلائق لا يحلم
عددنا الا الله من مسافات بعيدة تصل الى مئات الكيلومترات من جميع
الجهات ، والمخالفات الشرعية التي تقع في هذا المكان ابتداءً من شد الرجال
اليها واختلاط الرجال بالنساء بصورة لا يرضاها الشرع ، ان هذه المخالفات
والمفاسد التي تنتج عن هذه الزيارة لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى ،
ويحتر هذا الموسم من أكثر المواسم تجمعا في الصومال وأكثرها فسادا وأشدها
تمعا من الناحية الطالية والجسدية ، فانك تصادف في الطريق المتد من
مديشو الى بيولي محل القبر قوافل من السيارات المتعطلة في الطريق
وتظهر علامات التعب والارهاق ، وكم تعطلت من جراء هذه الزيارة من صالح
هامة ، وكم ترتبت من مفسد شرعية لا يجنى من ورائها شيء من زخارف الدنيا
فهي خسارة في الدين والدنيا .

وهذه المناسبة يروج لها بعض المفرضين الذين يستفيدون من أخذ
أموال الناس بالباطل ويروجون أن يكسبوا عاطفة السذج ، هؤلاء النفعيون
يروجون بين العامة والسذج أن من زار قبر الشيخ أو سبغ مرات فكانما حج
الى بيت الله الحرام ، ويسقط عنه الحج ، هذه الأكذوبة منتشرة بين السذج
والجهال في بعض المناطق بتأثير هؤلاء المفرضين الذين لا يهمهم الا جلب
الأموال بطريقة القصد الكاذبة التي يفتعلونها بسوء النية ، وتتطور هذه
الزيارة حتى أصبحت اليوم حديث الناس بكثرة ما يحدث من مفسد خلقية

واجرام لا يملكه الا الله .

وهناك في شمال البلاد قبر الشيخ يوسف الكونين وهو يقع قـرب مدينة هرجيسا عاصمة الاقليم الشمالي ، وهذا الشيخ كان من كبار الدعاة وستأتي ترجمته في الباب الثاني بانن الله تعالى ، وقبره أصبح من المقابر التي جعل الناس لها موسما محددًا لزيارتها والسفر اليها واحضار العاشية اليها والذبح عندها ، ويحضر الي هذا القبر في كل سنة خلق كثير يأتون من جميع الجهات الواقعة في المنطقة الشمالية حتى أصبح هذا الموسم من الأعياد الكبيرة التي ينتظرها الناس بفارق الصبر من كل عام ، ويتزاحمون حول القبر عند حلول موعد الزيارة حتى وصف أحد الشعراء بالزحمة وكثرة الناس الذين يأتون لزيارة القبر قاطلا له:

له موسم لو حضرت به .: تراه كحج وعيد الضحى

أما أشهر القبور في المنطقة الغربية فهو قبر الشيخ عبد الرحمن الزيلعي الذي نشر الاسلام في تلك المنطقة ، وبعد موته بنى أتباعه قبره وزينوه فجعلوا لزيارته يوما معينًا ، وهو اليوم الذي توفي فيه الشيخ رحمه الله تعالى فيأتي الناس الى القبر في ذلك اليوم ويحضرون أصنافا من الطعام والمواشي ويقوم الناس حول القبر أياما يتبركون به ، ويسأل كل واحد حاجته ويأخذون التراب من القبر للتبرك به ، وربما البعض يحتفظ بهذا التراب مدة طويلة ويوزع منه على أحبائه .

وهناك عشرات من القبور المنتشرة في البلاد التي يتبرك الناس بها

ومعظم هذه القبور تسترل في أبو كشمرة ، ومن هذه الأمور :

صلى الله عليه وسلم : ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره سجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة (١) .

وفي رواية أخرى (عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت : فلولا ذاك لهرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا (٢) .

ان هذه الأمور التي حذر منها خاتم الأنبياء قد وقعت في هذه البلاد ، وارتكب الناس جميع هذه الأمور المنهي عنها من بناء القبور وتجسيصها والسفر اليها والصلاة نحوها ، وآتوا على كل ما يعظمون القبور به من تبرك بمن فيها والنداء الى أصحابها طلبا للنعمة أو دفعا للضررة ويعلقون عليها الحبال والسهام وغير ذلك من علامات طلبها للأولاد والأموال والصحة .

والغريب في الأمر أن العلماء لا ينكرون هذه الأمور الا من ندر وقل ولا يؤدون واجبهـم نحو هذه المنكرات ولا ينهون الى حرمتها للموامع أنهم يعرفون حكمها جليا ، بل هناك من يشارك في هذه الأفعال والبسودع ويشجعها ويكون قدوة سيئة للجهال، والنفر العظيم الذي يحاول بين فترة وأخرى انكار هذه البدع يتمرض لهجوم قوى من قبل الجهال وأصحاب الصالح من العلماء ويوصفون بأنهم من الفرق الضالة المضلة .

(١) رواه مسلم ج ٥ ص ١١ .

(٢) " " ج ٥ ص ١٢ .

ولذلك يعتبر هذه البدعة بدعة بناء القبور وتعظيمها وما يترتب على ذلك من كبريات الفاسد التي تهدم جانبها كثيرا من جوانب العقيدة الاسلامية في نفوس الناس ، وبالتالي تهدد اموال المجتمع بصورة مؤلمة لا تخدم مصالح الافراد ولا الجماعة ، لأنهم على أقل شيء يذبحون العواشي بأصنافها المختلفة حول القبور بكميات هائلة تصل الى الالاف سنويا ، تحدث هذه الأمور في وقت يكون المجتمع في أمس الحاجة الى هذه الأموال الضائعة عن طريق التبذير والاسراف، فهي جريمة مزدوجة ومركبة في آن واحد .

وحسب هذه البدعة خزيا وعارا أنها تخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة مكشوفة لا عذر معها ، وتعرض لأصحابها اللعنة والابتعاد عن رحمة الله ، ثم ان الذين يعظمون القبور وينون على قبور صالحهم ساجد يشبهون اليهود والنصارى ، وفي النهاية ان القلوب التي تعودت تعظيم المخلوقات وتبجيلها وصرف أمر ما يختصه الله سبحانه وتعالى اليها لا تستحق أن تكون قلوب أمة مؤمنة ، لأن الأمة المؤمنة لا تعظم المخلوقات تعظيم عبادة ولا تصرف أمرا من أمور العبادة الى المخلوقات ، لأن ذلك من أنواع الشرك المنهي عنه ((**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**)) .

رابعا : توجد عادة سيئة في بعض المناطق بشكل ظاهر :

وهذه العادة هي منع النساء من الميراث وحصره على الرجال فقط ، فالمرأة اذا مات زوجها أو أبوها أو أخوها أو ابنها ، وفي أية صورة لا تأخذ شيئا من حقها من الميراث على الاطلاق ، وانما التركة للرجال صفارا وكبارا ، وتكون هذه المادة أكثر ظهورا وأشد بشاعة اذا بقيت هذه المرأة أو مجموعة

من النساء بدون ذكر من أخ أو أب أو زوج أو ابن ، ففي هذه الحالة تصبح
النساء عرضة للضياح ، وبأخذ أقرباء المتوفى من الذكور جميع المال بدون أن
يعطى شيئا للنساء ، وليس هذا الأمر منكرا يستقبحه الناس من فعله ، بل
أصبح أمرا طبيعيا لا يلام فاعله ، ولا يستحق العقاب ، والملماء مشتركون في
فعل هذه الجرائم المنكرة التي تخلص منها الاسلام بعمد أن أعطى كل ذى حق
حقه ، وأنزل القرآن في شأن العورات وقسمته حتى لا تكون الموهبة في أيدي
البشر وخاضعة لأهوائهم ونزعاتهم الشيطانية .

ولذلك تحزن الأنثى التي لا يكون معها ذكر يحميها ، ومحموم
يدافع عنها ، لأنها تدرك تماما أنها لا تعلم من اعتداءات الرجال الذين
لا يراعون لها حقوقا ولا يتقون الله فيها . وهذه الجريمة منتشرة في الجزر
الفري من الصومال ، ولا تتم جميع البلاد .

أما الحالات المادية فالهنت تكون في بيت أبيها حتى تتزوج ، فإذا
تزوجت فلا حظ لها من مال أبيها أبدا .

وليس هذا هو الظلم الوحيد الذي يقع على النساء ، ولكنه الأكثر قبحا ، لأنه
استحل الناس به ولم يحدوه منكرا في تلك البيئة ، ولا تسمع صوتا يقف ضد
هذا الظلم أو يتأسف لما آل إليه أمر ميراث النساء مع أنه مفروغى ومقدر بنص
القرآن الكريم ، قال الله تعالى ((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا)) (١) .

(١) سورة النساء - آية : ٧ .

حمد أن حدد الحقوق والأنصبة في الميراث بآيتين طويلتين ، عقب

بهذا التوجيه القوي ((تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)) (١)

وهذه المادة الجاهلية تجعل الأمهات اللاتي لم يلدن ذكورا

يشمرن بالخوف والقلق المستمر ، وتكون حياة أسرهن جميعا في ضيق مسن

أمرها ، ولا توجد لديهن أية طمأنينة في حياتهن العائلية ، والسبب في

ذلك أنه بعد موت الزوج الذي لم ينجب ذكورا تتعرض أموال الأسرة للنهب

ويتقاسمها أقرب الذكور الى الزوج ، وهناك عبارة باللفظة الصومالية والتي

معناها " الموروثة " ، وهذه الكلمة هي " طَحَلْ " تطلق على كل عاتلة لم تنجب

ذكورا ، أي أن هذه الأسرة التي لم تنجب ذكورا يعتبرون أنها أسرة ميتة

لأنها بعد موت الزوج ستعرض لتقاسم تركتها دون اشتراك الزوجة والبنات ،

وهذا سبب حزن العاتلة وعدم الشمور بالطمأنينة في حياتها الزوجية مادام

ليس بينهما أبناء ، مع أن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى وبمحض اختياره كما

أخبرنا الله في كتابه المزبور ، قال تعالى ((لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ

مَا يَشَاءُ وَيَهْتَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا شَاءُ وَيَهْتَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا

وإِنَّا شَاءُ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)) (٢)

(١) سورة النساء - آية : ١٣ - ١٤ .

(٢) سورة الشورى - آية : ٤٩ - ٥٠ .

ولهذا ليس من المعقول في شيء أن العاطلة تشقى من أجل أن الله لم يرزقهم الذكور ، ولكن ذلك لا يتمدى كونه من أمور الجاهلية الأولى التي لفظها الا سلام لفظا و حارها معارفة قوية بنصوصه وآياته الواضحات ، وهمل نزلت الآية السابعة من سورة النساء الآ في مثل هذه القضية الثالثة كما يروى لنا المفسرون : " أن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كحة وثلاث بنات له منها ، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته شيئا ولا بناته وكانوا فسي الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك علي بنات وأنا امرأة وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهم مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيا نبي ولا بناته من المال شيئا وهمس في حجرى ولا يطعماني ولا يسقاني ولا يرفعان لهن رأسا فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله ولدهما لا يركب فرسا ولا يحط كسلا ولا ينكي عدوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى أنظروا ما يحدث الله لي فيهن ، فانصرفوا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (١)

((لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ . . .)) .

(١) أسباب النزول للنيسابورى ص ١٠٦ .

خاصا : عدم تعليم البنات في بعض المناطق :

هذه المادة من المواد السيئة المنتشرة في كثير من المناطق ،
 وخلصتها أن الأهالي يمتنون بالقرآن وحفظه ، ويعلمون أنها هم يبدلون
 جهدا كبيرا في هذا الأمر حتى اشتهرت الصومال بحفظ القرآن الكريم ،
 ويبدأ الأولاد في حفظ القرآن الكريم من سن مبكرة ، ولكن الموجود في بعض
 المناطق المشهورة بحفظ القرآن أنها لا تعلم البنات القرآن ولا تهتم
 بشؤونهن في المجال التعليمي بصفة عامة ، وهذه الظاهرة تكثر بين أهالي
 البدو ، ويمكن أن ترى قبائل كبيرة يحفظ ذكورها القرآن الأ نادرا ، ومنهم
 عشرات من العلماء الذين تفقهوا في الدين ، وأتقنوا فنونا كثيرة من الفقه
 والتفسير واللغة العربية ، ومع هذا لا يوجد بينهم امرأة واحدة تحفظ القرآن
 أو شيئا منه أو تعلمت شيئا من الدين الاسلامي ، وإذا وجدت فهي أنسدر
 من الكبريت الأحمر كما يقال ، والنادر لا حكم له .

وعادة اجمال البنات وعدم تعليمها أمر يخالف الاسلام ، لأن الواجب
 على الوالد أن يمدل بين أولاده في كل شيء ، فتعليم الذكور دون الاناث
 ظلم في حق البنات .

ويبدو أن الأمر من رواسب الجاهلية الأولى التي اشتهرت بتحقيق
 النساء وكراهيتهن حتى أدى بهم الأمر الى وأد البنات وعن أحيا ((وَإِذَا
 الْوَأْدَةُ سُئِلَتْ لِمَ أُبْيِي ذَنْبٌ قُلْتِ) (١) .

(١) سورة التكويم - آية : ٩ - ٩ .

كما تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية ومدى حزنها عند ولادة البنات

لأحدهم ، قال الله تعالى ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ سُودًا
وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُنَّ
أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)) (١)

وهذه الصفات موجودة ، وكراهية النساء عند الولادة بالذات أمر

منتشر بين الأهالي ، وهي موروثه عن تلك الجاهلية الذمومة .

ومن نتائجها السيئة أنها تبقي المرأة بعيدة عن نور التعليم الاسلامي

وتخلق في نفسها أحقادا لوالدها الذي فضل الولد عليها في شئون التعليم

وهذا أمر لا يخدم الصلحة الاجتماعية على الإطلاق ولا يساهم في نشو

الأخلاق الاسلامية في البلد .

تلك طائفة من المادات والتقاليد الجاهلية التي شوهت كثيرا

من حقائق الاسلام في نفوس أبناءه ، وحرقت جطة من أحكام الدين ، وغيّرت

مجرى الحياة في معظم جوانب المجتمع وشوّهت التعددية ، حتى اختفت معالم

القيم الاسلامية وجاهد القرآن التي أخرجت الناس من الظلمات الى النور ،

ومن الجهالة الى العلم ، ومن الشقاوة الى السعادة ، ومن العدم كآمة

ذات رسالة الى الوجود الحقيقي الذي تحول المسلمون بعده خير أمة

كما وصفها الله سبحانه وتعالى قائلا ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (٢)

(١) سورة النحل - آية : ٥٨ - ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران - آية : ١١٠ .

هذه العادات تختلف في أشكالها ، وتتنوع مقاصدها وأهدافها ،
ولكن يعمدها عن الاسلام يجعلها ترجع الى منبع واحد ، وهو الجاهلية
التي رفضها الاسلام رفضا قاطعا ، وأتى بما هو خير منها ، وقال الله تعالى
في ذلك ((أَفَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَفْهُونَ ، وَمِنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) (١) .

وخلاصة القول ؛ انها جزء من الأحكام الجاهلية مهما اختلفت
تسمياتها وتباعدت مراميها ، فهي كفروع نبتت من شجرة خمبشة .
والعادات التي تحدثنا عنها في هذا الفصل واحدة من مجموعة
المقبات التي سبق الحديث عنها في الفصول الماضية ، والتي شطها الباب
الأول ، وكل هذه الفصول تناولت كبرى المقبات المعارضة أمام الدعوة
الاسلامية في الوقت الحاضر ، والتي تعتبر مخرقة في سيرة الدعوة بشكل
أساسي ، بل أدت الى توقف نشاط الدعوة وفقد حيويتها في بعض المجالات
الهامة في حياة الدعوة والدعاة .

وترجع المقبات الى مجموعتين اثنتين :

المجموعة الأولى : ترجع الى التأثيرات الخارجية التي تحطها سياسة الدول
ونفوذها مثل ما حدث للدعوة في الصومال خلال القرن الهجـرى
المنصرم ، أى منذ الاحتلال الأوربي وحتى يومنا هذا ، وتتلخص المقبات
التي جاءت نتيجة التأثيرات الخارجية في أنها أحدثت تغيرا شاملا في البنية
الأساسية في الحياة الاجتماعية ، وأدت بعادات أجنبية بعيدة عن الاسلام

وفُتِرت القوانين الاسلاميه ونظم القضاء بشكل كبير ، وأهدلتها بقوانين أوردهميه في معظم الحالات ، ثم التقسيمات التي جزأت بها المسلمين في المنطقه وأضعفتهم حتى لا يقوون على الدفاع عن دينهم ووطنهم ، الى أن وصلت الى الحرب الشرسة التي أعلنتها الأنظمة ضد الدعوة ، وأوقفت نشاطها ، وسدت الأبواب أمامها ، وارتكبت كل جرم واثم ضد الدعاة من سجن وقتل وحرمان من الوظائف الى منع الخطب والوعظ والتدريس في المساجد .

والمعقات التي تقف أمام سير الدعوة كثيرة ، ولكن البعض أكثر تأثرا

من البعض ، فالغالب الحرف العربي واستبداله بالحرف اللاتيني وما نتج عن ذلك من كوارث وفواجع ، وانحلال ، واطلاق الاحاد ، والاستهتار بالقيم الدينية ، وأخيرا انكار بعض القرآن واجبار الناس على الايمان بتلك الخزجلات والضلالات وقتل كل من أظن رفضه وانكاره لهذه الأمور كانت أكثر المعقات صعوبة أمام الدعوة ، لأنها تستند الى قوة منظمة تنفذها وتجبر الناس على قبولها ، ولذلك كان ضررها أشد على الدعوة والدعاة من أية عقبة أخرى مما تحدثنا عنه في الفصول .

والجموعه الثانيه من المعقات نابعه من المجتمع ، وهي من التقاليد القديمه

التي تتوارث عنها الأجيال ، وهي تقف أمام الدعوة بشكل أوبأخر ،

لأنها من القيم الجاهلية التي لا تنسجم مع المفاهيم الاسلاميه ولا تتشبه مع

روحه الحالمية ، بل هي عادات رديئة في تصورنا وأفهامنا ، ساذجة فسي

عقليتها ، دنيئة في مآصدها ، غالبة في أحكامها ، وفي الحقيقة اذا نظرنا

من جانب آخر فان هذه الماديات هي أساس البلاء في الأمة ، وهي التي

حكمت أعداء الله من السيطرة على الرقاب ، لأن الأمة لا تتقيد بدنيها
 وشريعتها ، ولا تتسكك بالقيم والأخلاق ، ولا تنصف فيما بينها ، بل يشيع
 الظلم والفساد ، ويقتل بمضها بعضا ، وتستحل دماء اخوانها بأسباب
 جاهلية ، ان هذه الأمة لا يمكن أن تمش بين الأمم ، وأن تدافع عن
 نفسها ، لأنها فقدت شروط الحياة ، وخالفت أمر الله ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
 اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)) (١) ، وخالفت سنة الله في بقائه الأمم ((إِنْ لَمْ
 يَنْصُرُوا مَا بَقِيَ مِنْكُمْ)) (٢) .

وهذه الأسباب الجاهلية جعلت الأمة ضعيفة لا تقوى على شئ ،
 ومع ذلك فالمعوقات الخارجية تأتي ، لأن الأمة خربت من الداخل ، وفقدت
 عنصر المقاومة .

وخلاصة ما في الأمر : أن هذه المعوقات جعلتها سواء تلك التي
 جاءت مع الغزو الصليبي وحضارة الغرب ، أم التي جاءت بانحرافات عن الاسلام
 بدون تأثيرات خارجية ، كل هذه الأمور أخذت دورا خطيرا في النكسات
 التي أصابت المسلمين في الصومال في الوقت الحاضر ، وتتفاعل العوامل
 المذكورة ، واندماج تأثيراتها ، وصلت الدعوة الى درجة الجمود في جوانب
 كثيرة ، رغم أنها استفادت في جوانب أخرى ، ولكن تتابع المحن وكثرتها
 ومطاردة الدعاة وحبس أنفاسهم وتقييد حرياتهم ، جعل أمر الدعوة ونشر
 تعاليم الاسلام بين الناس حرجا وصعبا لم تعهد الدعوة مثله في تاريخها

(١) سورة آل عمران - آية : ١٠٣ .

(٢) سورة الرعد - آية : ١١ .

المعروف في هذه المنطقة .

وليس معنى هذا أن نشاط الدعوة قد توقف نهائيا في الصومال ،
وأن الآمال قد تدهورت بشكل كامل ، وأن الرجاء قد انعدم ، فكل هذا
ليس واردا ، وإنما الذي حدث تفسيرات جذرية في شؤون الدعوة .
وأما موقف العلماء وورثهم من الأحداث التي تحدثنا عنها
والتي جرت في المنطقة في الوقت الحاضر ، فسيأتي الحديث عن ذلك
في الباب القادم بإذن الله تعالى ، كما سيأتي الحديث عن بعض
الأمر التي تشجع سير الدعوة ، والتي تعتبر عوامل ايجابية في
هذا المجال .

والله التوفيق ...

المساب الفسائي

((ركائز الدعوة الاعلامية في الصومال))

ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

دعوة العلماء وجهادهم .

الفصل الثاني :

رسالة المسجد .

الفصل الثالث :

مدارس تحفيظ القرآن .

الفصل الأول

((دعوة العلماء وجهادهم))

=====

دعوة العلماء وجهادهم

سس

لقد تحدثنا في الفصول الماضية ، وكانت تدور حول موضوع له أهميته
الخطيرة في مستقبل الأمة في جميع الجهات ، لأن كل شيء يهدد حياة
الاسلام ويحارب العقيدة أو يوقف نشاطها ، أو يعرقل سيرتها ، فليس هناك
شيء أخطر منه في بقاء الأمة ، لأن بقاءها متوقف على دينها ، فالأمة التي
تعيش بلا اسلام أو تتهاون بمعتقداتها فهي غير موجودة في حقيقة الأمر .

ففي هذا الباب يكون الحديث بان الله تعالى حول المواسم
الشجعة ذات التأثير الايجابي في حياة الدعوة والدعاة ، وعي تتكون من
عدة عوامل اذا تضافرت فروغها وتماونت شعبها ، والتفت أفضانها تستطيع
بعمون الله تعالى أن تدافع عن الاسلام من هبوب الرياح العاتية والتهارات
المتدفقة من جميع الجهات ، وتستطيع أيضا أن تحيي الآمال في القلوب
وتشع أنوارا جديدة في الضمائر الوجلة ، لأن بقاء هذه الأمة يرهن على
أن الاسلام ما زال يخوض حرها ضد الباطل .

ان دور العلماء في الصومال في نشر الاسلام دور حيوى قد يمسها
وحد يثا ، لأنهم هم القائمون بحفظ هذا الدين ، وعم الذين تحطوا كل
المسئوليات تجاهه في نشره وتعميمه بين الناس ، كما تعهدوا بنشر اللفظة
الصربية نشرًا واسعًا بين الأهالي ، فهذه الجهود التي قام بها العلماء
لم تكن تسند الى سلطة منظمة أو دعم خارجي ، بل كانت جهودا ذاتية
يدفعها الحافز الديني وحب الخير والشعور بالواجب الملحق على عاتقهم .

ونشر التعليم من أكبر المصحات التي تحطها العلماء ، وطريقة النشر هذه تعتمد على الجهود الفردية ، أى أن كل شخص من العلماء الذين تفقهوا في الفنون المختلفة سواء كانت هذه الفنون في الشريعة أم اللغاة يبدأ تدريس مادة من المواد التي اشتهر بها بين أقرانه وفي الوسط الذى يمش فيه ، فينتظم التلاميذ في دروس الشيخ ، والعادة أن الشيخ لا يوقف هذا الكتاب حتى يأتي على آخره ، ويقرا الدرس بطريقتين : اما أن يقرأ الكتاب في الصباح درسا وفي المساء درسا آخر ، أو يمد في المساء الدرس الذى قرأه التلاميذ ^{على} ، والطريقة الأخيرة يسمونها " دورا " وهي أكثر رسوخا بطبيعة الحال ، وهذا هو القصد بحد ذاته .

ومن الحاديات التي أخذت دورا بارزا في نشر التعليم أن العلماء يقومون بجولات وسفريات في المناطق النائية عن المدن التي يسكنها البدو يقومون بهذه الجولات بصحبة عشرات من الطلاب المنتظمين في حلقة الدرس التي يقوم بها أحد المشايخ ، ويقدم أحد عم في منطقة معينة يرشد الناس ويمعظهم ويرغبهم ، ثم ينتقل الى منطقة أخرى ليقوم بنفس المهمة ، وهذه طريقة شهيرة في الصومال ، ولها أثر ممتاز وفعال في نفوس الناس بدرجة أن بوادر الهداية تظهر بين البدو وبين القرويين بمد حلول الشيخ بينهم كضيف ومعلم ومرشد يعلمهم أمور دينهم وأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهؤلاء الشيوخ يؤدون دور التدريس الذى هو المهمة الأساسية لهم بجانب دور الوعظ والارشاد وتربية الناس وتقويم سلوكهم وتوجيه المجتمع توجيهها اسلاميا .

ولهذه الحملات والجولات أثر طيب في ذلك المجتمع ، لأنها تحدث

كثيرا نوعا من التأخي والمحبة ، واختفاء أسباب النفور فيما بينهم .

أما في المدن الكبيرة والقرى ، فالمعلم يتولون تدريس الدين واللغة العربية

بشكل واسع النطاق حتى انتشرت الفنون العربية في البلاد بصورة لا يتصورها

الآ الذين زاروا الصومال وأقاموا فترة من الزمن ، فالنحو مثلا من الفنون

الشائعة بين البدو وفي الحضرة درجة أن الشيوخ الذين لا يتقنونها ، أوليين

عندهم العام قوى على أقل التقدير يعتبرون أنهم غير مؤهلين لتدريس الفقه

في كثير من المناطق ، فالمناطق الصومالية ليست متساوية في الفنون ، فالمنطقة

العربية التي تقع تحت السيطرة الحبشية في الوقت الحالي تشتهر بالفنون

العربية مثل الصرف والنحو والبلاغة وعلم المنطق والمروزي ، ويوجد في المدينة

الواحدة عشرات من الحلقات الدراسية يتولى التدريس فيها مشايخ بليغوا

درجة كبيرة في فهم هذه العلوم ، لأنهم أفنوا جزءا كبيرا من عمرهم في

تعليمها وتعليمها ، وبعد حفظ القرآن الكريم يذهب الأولاد إلى تلك

الحلقات مبتدئين بالمتون القصيرة التي تتلأم مع فهم الطالب المبتدى ، ثم

يرقى صعدا حتى كتاب الألفية لابن مالك ، ويتقنونه حفظا ومعنى ، وتستغرق

دراسة النحو غالبا ما بين سنة إلى سنتين إذا وجد الطالب تمكينا وثباتا

ولم ينشغل عنها بمشاغل أخرى .

فالهارة من هؤلاء الطلاب من كل جيل ينتشرون في الأقاليم ويتولون

تدريس ما تعلموه من مشايخهم من فنون العربية ومن القصص التي تدل على قوة

انتشار النحو في المناطق المذكورة أن أحد المشايخ زوج بنته لأحد الطلاب

ففي ليلة العرس أرادت البنت أن تتأكد هل الزوج يعرف النحو فاحتنته فسي
بعض المسائل ، فمجزز الزوج الجديد عن اعراب ما سأله زوجته ، فلما عرفت
أنه لا يعرف شيئا عن النحو شمعت أنها تزوجت عن غير كفاً فحلفت بعينها أنه
لا يقرها حتى يتقن النحو ، فقبل الشرط فهاجر منها الى مدينة أخرى
حتى أصبح من علماء النحو .

ومد اكمال هذا الشوط يتجه الطلاب الى العلم الفقهي ، والمنطقة
المشهوره بالفقه والفقهاء هي المنطقة الجنوبية ، وهي التي تقع فيها العاصمة
المعروفة باسم " بنادر " ، ويتنقل الطلاب بين أشهر الفقهاء وحلقاتهم
المنتشرة في البلاد حتى يتقنوا عدة كتب من المذهب الشافعي ، وفي غالب
الأمر يعود الطلاب الى أقوامهم وبلدانهم حاملين مختلف العلوم الشرعية ،
وأنواع اللغة العربية ، ويعلمون قومهم ما يحتاجون اليه من الدين الاسلامي
وهم يقومون بالمهمة الكبيرة التي أشارت اليها الآية الكريمة في قوله تعالى
((فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ
إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)) (١) . ولهذا انتشرت المراكز الدينية فسي
طول البلاد وعرضها تتولى التدريس في العلوم وتحفيظ القرآن ، فمن المراكز
الهامة مدينة مقديشوعاصمة الصومال ، فهي مدينة قديمة قدم الاسلام
اشتهرت بعلمائها الأفاضل عبر التاريخ ، الذين نشروا الفقه الشافعي فسي
آفاق الصومال ، وفرسوا الزهد والتقوى في نفوس أتباعهم ، وما زالت بقاياها

(١) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

الخير فيها حتى الآن رغم ما حدث من تبدلات في الأحوال ، ومن تلك المراكز مدينة براوى ومركسة ، ومدينة بهيدوه ، وكلها في الاقليم الجنوبي ، وهذه البلاد خرجت علماء فطاحل حلوا لواء الدعوة بكل اخلاص وأمانة ، والعلماء جميعا يقومون في مهتهم بطريقة عفوية لا تكلف فيها ، لأنها نابعة من ضميرهم ويعتمدون على أنفسهم في تبليغ الرسالة ، وحتى يتمكن الطلاب من الدراسة في الحلقات العلمية تحت شايخ أهل ذلك البلد أو القرية أو حتى في الهادية على يقوم المسلمون بنفقة الطلاب ^{واسكانهم} لأن الطلاب لا يحملون النفقة اللازمة في رحلاتهم العلمية ، بل يعتمدون على اخوانهم أينما حلوا ، وهذه طريقة متبعة حتى يومنا هذا في بعض المناطق .

وهذا الأسلوب البعيد عن التعميد استطاع العلماء نشر تعاليم الاسلام في ربوع البلاد ، وطمأنا الناس الخلال والحرام ، وطمأنا اللغة العربية حتى أصبحت لغة البلاد جيلا بعد جيل ، واستطاعت أن تهني رافعة السراس على مر السنين والأيام رغم المحاولات والمكائد الموجهة اليها من قبل الحاقدين على الاسلام وأهله ، وهذا الأسلوب السهل الذي لا يخضع لأى شيء سوى ارادة الطالب وشيخه انتشرت العلوم العربية في الحضرة وفي البدو ، والمجيب من هذا الأمر أنك اذا تجولت في الهادية وسكنى الرحل من أهل الهادية لترى عشرات من العلماء الكبار والعراجم في الفقه وفي التفسير ، وترى آخرين اشتهروا بالملم غير الفقه أو التفسير أو العلوم الدينية ، مثل النحو والصرف يدرسون هذه الفنون لطلاب الهادية الذين يأتون اليهم من مناطق بعيدة يمشون مع شيوخهم ويترحلون مع القبيلة أينما ارتحلت حتى يتخرجوا من

حلقات الشيوخ ، وهذه شائعة في مختلف النواحي ، وهي تتفاوت في الكثرة وشهرة المدرسين من منطقة لأخرى .

ومما يدل على جهود العلماء وكيف نجحوا في نشر التعاليم الدينية واللغة العربية بين الأهالي أن الطلبة الذين جاءوا إلى الجامعات الإسلامية من خارج الصومال والذين لم تكن لديهم شهادات علمية تعرفهم ، وقد مروا طلبات للجامعات المختلفة فأجريت لهم امتحانات ، فدخلوا المرحلة الجامعية وخاصة في الأزهر الشريف ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، لأن العلوم التي تعلموها في البلاد في البادية وفي المدن جعلتهم يلتحقون بالجامعات دون أي حرج يذكر ، اللهم إلا بعض الأمور المتعلقة بالشكليات مثل رداة الخط وعدم تمود شكل الامتحان بهذه الطريقة .

واللغة انتشرت مع انتشار الإسلام حتى أصبحت لغة يتكلمها كثير من الناس المعادين غير الدارسين ، ولقد سجل أحد الزائرين هذه الصورة " لقد شعرنا طيلة مقامنا في الصومال بأننا بين أعملىنا وذوينا ، فالتحوية الإسلامية نسम्मها في كل مكان لا يتنفي احتى المثقفون من القوم بها بدىلا ، واللغة العربية لم نقابل أحدا لا يعرفها ، أولا يعرف قدرها منها ، فلم نحتج إلى استعمال الإنجليزية أو غيرها ولا مرة حتى الذين درسوا في أوروبا من الصوماليين يحسنون العربية أو شيئا منها ، كما أن أهل الهواى المنزلىين والذين يفدون إلى مقديشو لحاجة من الحاجات قد امتحناهم فوجدناهم يعرفون شيئا من العربية حتى النساء والأطفال ، كل هذه الموايل مسمع مناظر ازدهام المساجد بالصلين وحرصهم على أن يسمعوا كل كلمة يقولها

الواعظ القادم من المدينة المنورة جعلنا لا نحس في الصومال بفريسة
ولا نعاني بين أهله بوحشة" (١).

وليس دور العلماء قاصرا على نشر العلوم فقط ، وإنما هناك أنشطة
مختلفة يؤديونها ، ومن هذه الأنشطة قيامهم بالوعظ والارشاد ومحااربة الفساد
الخلقي بطريقة النهي والتحذير من الشر ، وتنبيه الغافلين ومحاولة ارجاعهم
الى الحق ، وكانت هذه صفة تلازم العلماء ، يقومون في المساجد بمسند
الصلوات والمحافل العامة والأعياد الكبيرة وينتهزون الفرص في التجمعات التي
تحدث في مختلف المناسبات والظروف وهي صفة تحمي المسلمين من الوقوع في
المحرمات وتضع انتشار الفساد بصورة علنية ، وهذه الصفة كانت لها تأثيرات
قوية في محاربة الفساد ونشر الفشائل في الأوساط الشعبية .

ثم ان العلماء يلعبون دورا بارزا في اخماد الفتن والحروب الطاحنة
التي تنشب بين القبائل المختلفة ، وهذا أمر له أهمية كبيرة في أعمال الدعوة
ونشاطها ، لأنه يساهم في تهدئة الأوضاع واستقرارها ، ويحطي الدعابة
حرية التنقل بين القبائل والقرى ، مما يمكنهم من أداء واجبهم الديني ، لأن
الأجواء الملوثة بالمدادات والأحقاد ، والأمة المتحاربة فيما بينها والتي
يأكل بعضها بعضا لا تصلح أن تكون مهديا للدعوة ومقرا لنورها ، ولذلك أمر
الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يصلحوا بينهم اذا ظهرت دواعي التصددع
والاختلاف في المجتمع الاسلامي ، لأن وحدة الأمة ضرورة من ضرورات الحياة

(١) محمد بن ناصر المبودي : في افريقيا الخضراء ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠

وعامل من عوامل القوة والرهبة وظهور الاقتال بين المسلمين تفقد الأمة
 عنصر الحياة والبقاء ، يقول الله تعالى في ذلك ((وَلَئِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا السَّتِي
 تَبْغِي حَتَّى تَفْسِدَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاتَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْمَسْذِلِ
 وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا
 بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (١) .

وما من فتنة تقوم في المجتمع إلا طار العلماء الى ساحتها وسمعوا
 لا خمارها ، ففي حالات كثيرة أنقذ الله بجهودهم أوقاما وحلت السلامة محل
 الحرب وأبدل الله البغضا والشحنا بالمحبة والرضى ، ولذلك أصبح العلماء
 في وضع محترم للغاية واشتهروا بهذه الخدمة الجليلة لأمتهم وبلادهم ، حتى
 أصبحوا أكثر الناس احتراماً وتقديراً بين الناس ، لأنهم الطبقة الوحيدة التي
 تعمل بين الناس وتقدم المصالح العامة للمجتمع بدون عوض تطلبه أو عرض
 دنيوى تبغيه من أجل ما تقدمه لأنهم بهذا يمثلون مهمة الأنبياء ويحسون
 رسالتهم الربانية .

ومن بين العلماء اشتهر بعضهم بنشر التعاليم الاسلامية ، وبعضهم
 بالجهاد ضد الكفار ورد المعتدين ، وبعضهم اشتهر بمحاربة الفساد الخلقي
 والغزو الفكرى ، وآخرون ناضلوا لأجل اللغة العربية وتقويتها وجعلها لغة
 البلاد ، ومن هنا يكمل بعضهم بعضاً في أداء الرسالة الاسلامية ، ولذلك
 سأذكر بعض النماذج لزيادة التوضيح .

(١) سورة الحجرات - آية : ٩ - ١٠ .

** فمن الملما الكبار الذين اشتهروا بنشر التعليم بفنونه المختلفة
الشيخ عبد الرحمن نورية .

لقد طاف الشيخ عبد الرحمن المشهور بالزلمي بأرجاء البلاد
الصومالية بعد أن تعلم كثيرا من مختلف الشايخ ، وسكن في مناطق مختلفة
من البلاد ، وكان من الأفاضل الذين تبحروا في العلوم حتى وصل الى مرحلة
التأليف في مختلف الفنون ، ومن أشهر كتبه التي عثر عليها كتابه الصرفي
المعروف باسم " حذيقة التصريف " الذي تكلم فيه عن فن الصرف ، وكتابه
الذي شرح على كتاب الشاطبية في القراءات ، وتمرض لشرح المعانسي ،
وتعريف المصطلحات ، والاعراب ، ولقد أسس الشيخ مدرسة في قرية قطنقول
الواقعة في المنطقة الغربية ، واشتهرت المدرسة بلفسة " حرتا الومسدو "
وهي كلمة صومالية تعني " طلاب المصي السودا (١) " ، لقد تجمع عدد كبير
من طلاب العلم حول الشيخ عبد الرحمن الزلمي " حتى أصبحت قرية
قطنقول من أشهر القرى في المنطقة ، بل تحولت الى مركز كبير من الناحية
الارشادية والتعليمية في آن واحد ، لأن هؤلاء الطلاب الذين كانوا يسافرون

(١) لم أشر على سبب مقول لهذه التسمية التي شاعت حتى لا زمت
طلاب الشيخ وقلبت عليهم حيث أصبحت اسما لهؤلاء الطلاب الذين
نالوا درجة كبيرة من العلم .

وينتقلون من بلد الى آخر أو من منطقة الى أخرى طالبيين مشايخ المسلم
الذين يمكن أن يستفيدوا من علومهم ، هؤلاء الطلاب أصبحوا يتوجهون
الى قرية قلنقول التي أصبحت مركزا مستقرا يمكن أن يأوى اليه الطلاب ، ولقد
تجمعت أعداد كبيرة في المركز الجديد والمدرسة الجديدة التي أعطت
المجتمع نوعا من التطور الاجتماعي ، وآخر من التقدم العلمي ، حتى زاد عدد
الطلاب وارتفع حتى وصلت الأرقام في الأوقات العادية الى أكثر من ألف طالب
في مختلف المستويات ، وكان الشيخ هو المسئول والمدير الرسمي لشؤون
القرية من الناحية الاجتماعية أو التعليمية بصورة مباشرة ، وكان دقيقا فسي
ادارته ، حكما في معاملاته مع أهل القرية حتى أحدث تطورا كبيرا فيها ،
لقد لعبت هذه المدرسة دورا مهما في تطوير أساليب التعليم في اللقطة
المرية والشريعة حتى خرجت أعدادا كبيرة من العلماء في تلك المنطقة .^(١)
حقا لقد أصبحت مدرسة الشيخ عبد الرحمن الزيلعي نموذجا يستحق
الثناء لأنها أحدثت نشاطا هائلا وحركت همم الناس ، وأقبلوا على التلميم
حتى تنافس الأهالي في ارسال أولادهم الى مركز الشيخ ، لأنه فاق على
غيره من حلقات المشايخ بمزاياه الكثيرة ، فالشيخ كان يدرس لطلابه مختلف
الفنون ويستلمين في التدريس من معه من الشيوخ الذين بلغوا حدا كبيرا
من الفهم ويستلمون تدريس بعض الفنون ، لأن كثيرا من العلماء نزلوا عند
الشيخ وانضموا الى نشاطه وساعده في أعماله ، وهذه الميزة مما ساعد الشيخ

(١) علوى علي آدم - دراسة الأدب المربي في الصومال ، ص ١٠٥ ط

في نجاحه ، وأبرز جهوده أكثر من أى أحد آخر ، لم يكف نشاطه فيما ذكرته بل كانت عناية المدرسة بالقرآن الكريم عناية فائقة ، ورغم أن حفظ القرآن في الصومال أمر مشهور في أكثر المناطق ، إلا أن نشاط الزلمي ضاعف هذا الحفظ في منطقته التي استقر فيها حيث رغب الناس في تحفيظ القرآن حتى أوقد فيهم الحماس وأعطاهم دفعة قوية في هذا المجال ، وعنده مسيرة تميزت بها مدرسة الزلمي لأن الغالب في نشاط الشايخ اما تدريس العلوم أو تعليم القرآن الكريم .

ومن بين هذه الأعمال الجليلة من تدريس للعلوم وتحفيظ للقرآن والقيام بتربية الطلاب تربية تؤهلهم للقيام بمهتهم المستقبلية ، كان الزلمي يهتم اهتماما كبيرا بسلامة المجتمع من أمراض القلبية التي تكثر فيه ، ولهذا كان يكلف طلابه دائما بالقيام بالوساطات والمصالحة بين القبائل المتحاربة ، وكان دوره في هذا عظيما ، وثمرته نافعة حتى بعد موته ، لأن طلابه الذين أصبحوا أشهر مجموعة في المنطقة اقتدوا به وأدوا نفس الدور الذي كان الزلمي يؤديه قبل وفاته .

هذه هي مدرسة الزلمي التي تركت آثارا واضحة ، وقصصا رائعة في التضحية والنشاط ، وأخوة وصلحا بين الناس ، وغرست في نفوس طلابه علما غزيرا حتى أصبحوا فرة في جبين ذلك المجتمع .

أما نشاط الزلمي في بعض المناطق فهولا يختلف كثيرا عما حدثته لقد استقر الزلمي فترة في مدينة هرر التاريخية بعد عودته من الحج عام ١٢٩٢ هـ الهجرية ، فكان كنه كتلة من الحيوية والنشاط الذي لا ينقطع .

فيقول أحد الكتاب " لقد التقى الزيلعي مع حاج جامع^(١) في مكسة
 واتفقا على العودة الى البلاد وتعليم الناس بشئون دينهم واللغة العربية
 واستقر الزيلعي في مدينة هرر عام ١٢٩٢ هـ ، وقابل أميرها عبد الله بن
 أمير محمد وأعطاه ثقة الكاطة ودعا ماديا ومعنويا حتى يتمكن^{من} أن يفيـد
 للناس ودرس اللغة العربية في سجدتها الرئيسي ، ودرس علم القراءات الذي
 كان يمحطه اهتماما كبيرا ، وهذا العلم كان من أصعب العلوم بين الشايخ
 في الصومال ، وانتظم الطلاب حلقاته في هرر فأعجبوا به ، وكان من بين
 هؤلاء الطلاب أصدقاؤه الزيلعي مثل الأمير عبد الله حاكم هرر ، وأحبه أهل
 هرر كثيرا ، وطلبوا منه أن يولف كتباً في الفنون التي يدرس لهم مما شجسه
 على التأليف ، ويقول المخبرون بأمر الزيلعي انه ألف كتباً كثيرة وأغلبها في
 أيدي أسرة حاج جامع التي تسكن في اثيوبيا حاليا ، وليس الحصول عليها
 سهلا ، لأن الأمر يتطلب دخول اثيوبيا والحكوت فيها مدة يتمكن الطالب
 خلالها من بحث تلك المخطوطات التي يذكرها العلماء^(٢) .

(١) حاج جامع : هو الشيخ عبد الله علي المعروف بحاج جامع ، وكان
 من العلماء الكبار في مدينة جكجكا المشهورة بالعلوم العربية ، وهو
 جد الشيخ عبد السلام الذي اشتهر بالعلم والورع ، والذي عاش
 حتى أواسط القرن الماضي الهجري ، والشيخ حاج جامع اشتهر
 برعايته للمساكين والفقراء ، وله قصص كثيرة حول هذا
 الموضوع .

(٢) علوى علي آدم : دراسة الأدب العربي في الصومال ص ١٠٢ -

ولقد أنشد كثيرا من القصائد الشعرية باللغة العربية التي يحفظها
الناس عن ظهر لخب ، وان كان أغلبها تدور حول مدح الرسول صلى الله
عليه وسلم ومدح الصالحين وما الى ذلك ، ومما مدحه أحد العلماء
الصوماليين بها هذان البيتان :

وصنف في فنون العلم كتباً . . . كشرح الشاطبي المستجاد

هدانا في فنون الصرف حقاً . . . بنظم حديقة التصريف هادي

وعمد نشاط مركز شمل رقمة واسعة من الأرز واستفاد منه كثير من طلاب
العلم ، وعمد خدمة لاهيا اللغة العربية التي برع فيها تأليفا ونشرا بسين
أقرانه ، وعمد أن وطد أركاننا لحفظ القرآن ، وأصلح بين التحاريسين ،
بعمد هذا النشاط أسدل الستار على حياة الشيخ عبد الرحمن الزيلعي
في مدينة قلنقول التي أسسها بالعلم ، ومات رحمه الله تعالى عام ١٢٩٩ هـ
ودفن في قرية قلنقول .

* * ومن العلماء الذين حاربوا الفساد واشتغلوا باصلاح المجتمع الشيخ

(١)
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن .

(١) ولد في نقد يشو سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م من أسرة مشهورة فسي
المجتمع ، وكان أبوه من العلماء المدنيين ومن المدرسين في الفقه
الشافعي ، وانتظم في طلب العلم وعمره ١٨ عاما ، وعمو الذي قال
أيام ان كان طالبا هذه الأبيات التي تدل على همة المليها فسي
طلب العلم :

وظمني الهبي من علوم . . . من النحو المجمل ومن هروني

ومن صرف وقافية وفقسه . . . وتجويد وغيره من فريسي

وآلف قصائد كثيرة في اللغة العربية ، وبلغ مرتبة كبيرة من العلم

وهو من العلماء الذين عاشوا في القرن الماضي والذين اشتهر — روط
 وفاقوا في فهم العلوم في مدينة مقديشو ، ولقد اشتهر هذا الشيخ كونه
 لا يتهاون مع الباطل أبدا ، وكان رحمه الله دائما وأبدا يعلن انكاره ضد
 الفساد والفسدين ، وكان يتوجع لهذا الفساد ، كما أخبر من يعرفون سيرة
 الشيخ ، فمن شدة حزنه العميق وتفكيره على انتشار الفساد في مجتمعه
 نفهم ذلك اذا نظرنا الى بعض اشجاره التي يصف بها الفساد العظيمة
 والبدع المنكرة وما أحدثه الناس من أمور يخالفون فيها أوامر الله سبحانه
 وتعالى ، ويرتكبونها ، ويقلدون آباءهم الذين ضلوا عن الصراط المستقيم ،
 وابتعدوا عن الحق . وفي ذلك يقول الشيخ رحمه الله تعالى :

- ١ - الهي اهد أهل مقديشو انهم أبوا .: أمورا بها أتى الرسول محمد
- ٢ - كستر لمورات الرجال وللنساء .: وحجب لهن من السوء يقصد
- ٣ - كأن آية الحجاب أنزل ربيها .: على غير عم عما وصى تمردوا
- ٤ - سمسرة قد أهدوا الحرف الستي .: مما يشهم منها به السوق أفسدوا
- ٥ - بأهوا قوم قد أضلوا تسكبوا .: ومن ضل من آباءهم قد تقلدوا
- ٦ - وثاروا على من قام لله ناهيها .: نصيحا وأعدوا عليه وهمدوا
- ٧ - وواهو يدي دين الرسول وأضعفوا .: فذو الشر قربوا وذو الخير همدوا
- ٨ - وان يؤت فيهم ما يوافق عبادة .: فذاك والا فالمخالف ففسدوا

فهذه الأبيات التي أخذناها من إحدى قصائده تصور جانبها مهما من جوانب
 حياته ، ورغم ما كان له من حلقات علمية عديدة وعشرات من التلاميذ الذين

أخذوا منه العلوم ، إلا أنه رحمه الله أعطى اعتماداً جلياً في أمور المجتمع وما يطرأ عليه من تفسيرات وتبدلات في أخلاق ومدى تسكه بالدين .

رحم الله الشيخ عبد الرحمن لورأى اليوم مدينة مقديشو والمرحلة التي وصلت إليها من الانحلال الخلقي وهوادرالاحاد ماذا كان يقول ؟ !!

أما موقف العلماء من الاستعمار في العصر الحديث فهو موقف بطولي لا شك فيه ، فمنذ دخول الاستعمار الى منطقة القرن الإفريقي في القرن الماضي والتعاون النصراني الذي ظهر بين الدول الأوروبية المستعمرة والدولة الحبشية الموجه ضد المسلمين في تلك الأرض منذ تلك الفترة كان الصراع بين المسلمين وبين الدول النصرانية مستمرا ، فالأطماع النصرانية تهدف الى أحداث تغييرات جذرية في المجتمع ، فأهدافهم لم تكن قاصرة على احتلال الأرض والاستفادة منها اقتصادياً ، بل الجهود الجبارة كانت تبذل في سبيل إبعاد المسلمين عن دينهم وفساد عقيدتهم وتحطيم أخلاقهم وقتل روحهم المعنوية حتى يتمكن المستعمرون من نيل مقاصدهم وتنفيذ مخططاتهم المملنة والمستترة كما جاء في إحدى خطابات أيوجين روسستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية وساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ م قائلاً : " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع

التراث الاسلامي للتراث المسيحي .

ان الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا انما هي جزء مكمّل للعالم الغربي الفلسفي وعقيدته ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الاسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الاسلامي ، ولا تستطيع أمريكا الا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للاسلام ، والى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية ، لأنها ان فعلت عكس ذلك فانها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها " (١) .

كانت مخططات القوة النصرانية في القرن الاثني عشر تنطبق على ما قاله روستو ، وتنحصر في تدمير الاسلام وابعاد المسلمين عنه ، والفصل بينهم وبين القرآن الكريم الذي يرشدهم الى القوة والمعظمة كما قال علاء ستون : " ما دام هذا القرآن موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في امان " (٢) .

ولقد أدرك العلماء نوايا الدول الاستعمارية وأدركوا جزءا من مخططاتهم الخبيثة ، وأصبح من الواضح لديهم أن هؤلاء الكفار الذين جاءوا الى ديار الاسلام لم يأتوا الا بنية تدميرهم وتدمير اسلامهم ونشر الثقافات الفاسدة التي تخرج الجيل الجديد من الاسلام ، ولهذا جاهد المسلمون ضد الفزاة بقيادة العلماء ، وقام هذا الجهاد في أغلب المناطق

(١) جلال العالم : دمروا الاسلام أبعدوا أهله ص ٢٤ - ٢٥ ط الثانية .

(٢) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ص ٣٩ ط الثانية .

وقاوم الملماة مقاومة عنيفة ، وشعر المستعمرون بتعب شديد .

وحتى ندرك حقيقة الجهاد الذي قام به المسلمون بقيادة الملماة

نضرب مثلا : الثورة التي أظنت الجهاد ضد الانجليز واطالما والحبشة

التي قادها السيد محمد عبد الله حسن (١) .

بعد الاحتلال البريطاني لشمال الصومال بدأ ينفذ خططه الخبيثة

من بناء الكنائس بدون استشارة أهل البلاد الذين لا يوجد من بينهم نصراني

واحد ، ثم بدأ يهايق المسلمين في شئون دينهم ، ومن أبرز الأحداث التي

حركت كوامن النفوس وأيقظت ضمائرهم ، والتي أصبحت الشرارة الأولى فسي

بداية ثورة السيد محمد عبد الله ، منع الحاكم الانجليزى أذان صلاة الصبح

بل وجميع الصلوات في نهاية المطاف ، بحجة أن الأذان يوقظه من النوم ،

لأن بيت الحاكم النصراني قريب لأحد المساجد في مدينة بهرة الساحلية

كما يقول أحد المؤرخين " وأول ما أفرغ السيد محمد أن الحاكم الانجليزى

(١) هو : السيد محمد عبد الله حسن نور قائد كبير ، وشاعر بارز فسي اللغة العربية ، واللغة الصومالية ، وهو أيضا أشهر قائد مجاهد وقد جاهد ضد الكفر أكثر من عقدين من عام ١٨٩٩ - ١٩٢٠ ، وقد ولد السيد محمد عبد الله في منطقة نكال بالقرب من بوهودلي عام ١٨٥٦ ونشأ بالهادية في حجر والديه رحمهما الله تعالى ، ولما بلغ الثامنة من عمره سلمه أبوه مع أخوته الى معلم يعلمه القرآن الكريم ويعلمه القراءة والكتابة وحفظ القرآن وحفظ كثيرا من الحتون حتى صار معلم القرآن ، وكان مولعا بركوب الخيل والرمي وتحرن في فنون الفروسية ، ولما جزا من العلوم في بلاد الصومال سافر الى أرض الحجاز عام ١٨٨٩ م وكملت دراسته العلمية من التفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم الأخرى ومكث في الحرم نحو ست سنوات

في بهرة قد منع الأذان في المسجد القريب من بيته ، وأمر بعض صاكره أن
يقبض على كل من يخالف أمره ويوقظه من نومه ، فثار سكان المدينة على هذا
الاجراء ، ولما جاء وقت الظهر صعد أحد المؤذنين على المسجد ، وأذن
بأعلى صوت من فوق المئذنة ، فرماه الانجليزى بالرصاص فقتله . (١)

وقبل رجوعه من الحجاز نزلت القوات البريطانية في ساحل بهرة ،
وصعد أن أكل دراسته العلمية في الحرمين وأخذ العلوم من أفاضل
أهل العلم في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، عاد الى بلاده بمسجد
أن أدى فريضة الحج عام ١٨٩٣ م وأقام في عدن عند عودته مدة
لا تزيد عن ستة أشهر ، ثم نزل في ميناء بهرة الصومالي ، ولما أنزل
تعاه من السفينة وأراد الذهاب قال له مدير الجمرک : لا تأخذ
تعاك حتى تؤدى الرسوم الجمرکية ، فدهش السيد قائلا في ثورة
وغضب : هل دفعت أنت رسوما جمرکية عن تعاك عند نزولك هنا ؟
ومن أعطاك تأشيرة الدخول لبلادنا ، وصعد ما علم الانجليزى مغزى
كلامه قال : انه شيخ مجنون فخلى سبيله ، وعاش في بهرة مشتغلا
بالتدريس الديني واعداد الناس للجهاد حتى أعلن ثورته ضد
الانجليز وأرق ضاجمهم أكثر من عشرين سنة حتى وافته المنية
في ٢١ ديسمبر ١٩٢٠ م أو ٢١ يناير ١٩٢١ م ، رحمة الله
عليه رحمة واسعة .

(١) الشيخ أحمد عبد الله رباش : كشف الدول عن تاريخ الصومال

ص ١٨٥ ط ١٣٩١ هـ .

وبعد حادثة القتل التي أشعلت نار الحماس بين المسلمين بدأ
 السيد محمد تفكيره الجدى في أمر بلده الخاضع للقوة النصرانية ذليلاً
 مهيناً حتى رأى يوماً من الأيام وهو واقف أمام المسجد في بهرة أولادنا من
 الصوماليين يقودهم أحد المشركين لتعليم الدين النصراني " فبينما هو
 واقف أمام أحد المساجد مر به عشرون ولداً من أبناء بلده من جمعتهم
 الكنيسة وهم ينشدون الأناشيد النصرانية فأخذت الغيرة وعزم على القيام
 بعمل يحارب به المشركين والمستعمرين ، وبدأ يتخذ جميع الوسائل الممكنة
 لإخراج المحتلين من أرض الوطن الطاهر ، ولجأ إلى تحريك المواطنين
 الدينية وأطن الحرب على الانجليز لتخليص بلاده من الاحتلال الأجنبي (١) .
 ان الاستفزازات الاستعمارية ضد المواطنين الصوماليين فسي
 مدينة بهرة وغيرها ، وذلك الهجوم المكشوف ضد الدين الاسلامي والقائم
 عليها لهذه الأمة ، وتلك الأفعال البشعة التي ارتكبتها هؤلاء المستعمرون
 من قتل الأبرياء ونهب الكنائس ونشر النصرانية بين المسلمين ، كل هذه
 الأمور أوقدت الحماس الديني في نفس السيد وأقنعت بأن لا مناص من
 الجهاد وحمل السلاح ضد المعتدين الغاصبين ، بدأ الجهاد عام ١٨٩٩م
 ضد طوائف الكفر في البلاد ، وشن حملات شديدة تستهدف إلى تعبيد
 الجمهور للمقاتل ضد الكفرة المارقين ، وألقى الخطب الجديدة والأشهرار
 الحماسية التي لم تعرف البلاد شبيهاً لها ، ومن بين خطبه الشهيرة التي

(١) المصدر السابق ص ١٨٥ .

ألقاما قبل بدء القتال عام ١٨٩٦ م هذه الخطبة : " الحمد لله الذي قال ((يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، نصر عباده الحقيقين ، وأعز المجاهدين منهم ، وهزم أعداءهم الكافرين ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فان الله سبحانه وتعالى أذن في القتال للشعوب الظلومة في دينها المهضومة فسي حقوقها وحرمتها ، المغلوبة على بلادها وسيادتها حيث قال ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرون الله من ينصروه ان الله لقوى عزيز)) . ونحن من ضمن تلك الشعوب المأذونة للقتال حيث ظلمنا في ديننا ، وظلمنا على بلادنا ، وهذه الدول الأربعة التي دخلت بلادنا من جهاتها الأربعة ، واقتستها كأنها تركية وهم الورثة ، وليس لهم غرض الا أن يبدلوا ديننا الاسلامي وأن يفسدوا أخلاقنا وعقيدتنا ، وأن يسلبوا حريتنا وكرامتنا ، وأن يهينوا مقدساتنا ويستأثروا خيرات أرضنا وهم مع هذا غزاة أجنبية ، والرسول جاهد المشركين لما ظلموه في دينه ، أفلا تكون لنا أسوة حسنة في نهينا صلى الله عليه وسلم ؟ . كيف نطمئن لسيطرة أجنبي لا يجمعنا وایاه جنس ولا دين ولا لغة ولا وطن ولا يضر لنا في قلبه الا الحقد والشر ويحمل دائما لتمزيق وحدتنا (١) .

لقد لعبت هذه الخطب الحماسية دورا كبيرا في اذكاء الحماس ضد
المحتدين بالاضافة الى اشعاره الغزيرة التي اشتهر بقوة التعبير وجزالة
الألفاظ وشدة الحماس وعمق الكراهية التي يكنها للاستعمار النصراني
وأعدائه . ولذلك استطاع أن يكتسب سمعة طيبة بين الصوماليين ، وأن يطلب
شعبه على الأعداء ، وأن يقود كتائب الجهاد ، دفاعا عن دينه ووطنه
وحماية الأعراس والأموال .

لم تكن قوة الدول الأوروبية والحشية بسيرة ، ولم تكن هذه الدول
تتوقع في بداية الأمر أن هذا الشيخ يستطيع أن يواجه جيوشهم الهائلة
المدججة بالسلاح الحديث بمقابل شعب غير مدرب لا يملك من السلاح الا
نذرا يسيرا من البنادق القديمة المفتقرة في غالب الأحيان الى الذخائر ،
ولكن كل ما ظن المستعمرون وما توهموه خاب وتبدد في الهواء ، وبدأ
المجاهدون قتالهم عام ١٨٩٩ م بطريقة حرب المعصابات ، وسرعان ما تطور
الأمر حتى وصل الى مرحلة خطيرة استطاع المجاهدون شن غارات جريئة
على ثكنات الجيش البريطاني ، وتجمعاتهم في وضح النهار ، ولقد رأى
البريطانيون تجمعات المجاهدين وأدركوا أن الأمر خطير ، فكان أسلحتهم
في المرحلة الأولى المهادنة ليستفيدوا من طول الوقت الذي يمكن أن يحدث
المجز والطل في صفوف المجاهدين ، ولكن السيد محمد لم يرضى غير
القتال ولم يعط أية فرصة للبريطانيين ، بل شدد الضربة تلو الضربة
حتى فقد الانجليز هيبتهم وسيطرتهم في بعض الأجزاء ، وبعد هجمات
متكررة تلقىها القوات البريطانية " عرضت بريطانيا على السيد محمد عد اللسه

حسن أمر التفاوض من أجل ضمان عدم قيام المجاهدين بأية عمليات في منطقة الصومال البريطاني ، وفشلت هذه المفاوضات ^(١) ، لأن السيد رفض المقترحات البريطانية وأبى أن يتفاوض معهم ما داموا في هذا الوضع الذي يمكنهم من املاء شروطهم وتحقيق رغباتهم الظالمة .

ثم التجأ البريطانيون الى أسلوب آخر حاولوا من خلاله منع الزعماء من الهجمات وتخوينه ، معتمدين على القوات الضاربة والأسلحة الفتاكة التي تمتلكها هذه القوات ، طمأ بأن بريطانيا كانت أعظم دولة في القرن الماضي قوة ونفوذاً ، وكانت الحكومة البريطانية تظن أن هذا الأسلوب المتسم بالتهديد والترهيب هو الأسلوب الناجح لردع مثل هؤلاء المقاتلين الذين أزعجوا التاج البريطاني ، وقام قائد القوات البريطانية في الصومال بإرسال تهديد قوي الى السيد محمد عبد الله حسن قائد المجاهدين الصوماليين ، فقال القائد البريطاني الجنرال كوفيل : " سوف ننسفك نفساً اذا لم ترجع عن غيك واداً لم تخمد ثورتك الجنونية ، واعلم أن حكومة صاحبة الجلالة عظيمة جداً ولا يستطيع مجنون مثلك أن ينال منها شيئاً ، فارجع عما أنت فيه وعد الى صوابك قبل أن تقع المصيبة عليك وتندم على أعمالك السيئة " ^(٢) .

وعندما وجد السيد رسالة الجنرال كوفيل الطيبة بالتهديد بسدات

(١) الدكتور جلال يحيى ، الدكتور نصر مهنا : مشكلة القرن الافريقي

وقضية الشعب الصومالي ص ٤٩٣ طبع عام ١٩٨١ م .

(٢) نفس المصدر السابق .

والسباب والكلمات القبيحة ، والا فتخار بمعظمة بريطانيا وقواتها الجبارة ، لم يجد ما يقوله لهذا الكافر الذى طفى وتجرى الآ الرد الذى يدل على عظمة الاسلام وقوة الايمان والثقة المطلقة برب العالمين ليدرك تماما أن المسلم أعظم منه ولا يرهب المسلمين ما لدى البريطانيين من أسباب مادية فكتب الجواب قائلا :
 " من السيد محمد عبد الله حسن قائد القوات الاسلامية ، الى الجنرال كوفيل قائد الشيطان ؛ لقد اطلعت على رسالتك وفهمت منها جميع أغراضك الدنيئة وأغراض حكومتك الوضيعة ، واعلم أن قواتكم التي تفاخرون بها لا تساوى لدى شيئا ، وأطمك أيضا أنكم اذا كنتم تحاربوننا بقواتكم الكثيرة المدد فاننا نقاتلكم بنيتنا الصالحة وهايماننا القوى ، ومزيتنا التي لا تعرف الملل ، وسهما تكن الظروف فلن أستسلم ولن أكون للشرك عبدا " (١)
 هذا هو رد السيد ، وهو رد تفوح منه رائحة العزيمة التي لا تصرف الملل والثقة التي لا تصرف اليأس ، وعزة المؤمن التي لا تصرف الخضوع والانقياد لغير مالك السموات والأرضين ، ولم يترك المجاهد فرصة للكافرين فيما يريدون ، بل حدد كل شيء ووضع النقاط على الحروف ما أقنع البريطانيين أن القائد الاسلامي لا يقبل حلول الوسط ولا ترهبه التهديدات التي يدلقونها ، لذلك شرعت الحكومة البريطانية على الفور في اعداد حملة عسكرية قوية تقوم بتأديب هؤلاء المجاهدين وشن هجمات واسعة النطاق على جميع مراكز المجاهدين .

(١) المصدر السابق ص ٤٩٣ .

ولما عرف السيد حملة بريطانيا أعلن التعبئة العامة بين مقاتليه ليكون على استعداد تام لمواجهة الهجوم البريطاني المعلن ، ولقد بسذل السيد مجهودا ضخما لاعداد جيشه اعدادا قويا للمرحلة الحاسمة ، ومن بين خطبه لهذا الغرض " عليكم أن تقوموا بواجبكم الديني وأن تدفعوا شره هؤلاء قبل أن يستفحل الداء ويهز الدوا " ، ان زعماء الكفار غزوكم في بلادكم يريدون افسادكم وافساد دينكم واجباركم على اعتناق نصرانيتهم معتمدين على حماية حكوماتهم لهم وعلى ما لديهم من سلاح وعتاد ، وحسبكم من سلاح ايمانكم بالله وقوة عزيمتكم ، فلا ترهبوا من جنودهم ولا كثرة سلاحهم ، فالله أقوى منهم وأكثر جندا ، وكونوا جبارين على الشدائد ، موطنين النفوس على طول الجهاد في سبيل الدين والمقيدة ((ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله طيما حكيم)) ، وايامكم والضجر اذا توالى عليكم الهزائم فان الحسب سجال ، وقد تكون الهزيمة اختارا لكم على صدقكم وقوة عزيمتكم ، قال تعالى ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهد منكم ونبلو أخباركم)) ، ثم يحذرهم من الخونة ، فيقول : اذا رأيتم بين المسلمين من يعين عليكم الكفار فاقتلوهم حيث وجدتموهم فليسوا بمسلمين ، فمن حمل السلاح علينا فليس منا " (١) .

ومعد أن أخذت الاستعدادات نهايتها ، وجمع كل فريق ما استطاع من جيوش وأسلحة وذخائر ، رغم الفارق الهائل بين المجاهدين —————

(١) الشيخ عبد الرحمن النجار : الاسلام في الصومال ص ٧٩ .

البريطانيين ، شاء الله أن تقع المعركة الرهيبة بين الطرفين في مكان قريب لمدينة
بومبسو ودارت معركة ليس لضراوتها نظور ، دخلها الجنرال كوفيل
بما لا يحصى عدده من الرجال والسلاح والعتاد الحربي ، ودخلت الجيوش
الاسلامية معركة الثأر للكرامة الصومالية ، والتقى الجيشان في المكان المذكور
وكانت عنيفة وشرسة ، وكانت القوات البريطانية مزودة بالمدافع السريعة الطلقات
وبكمية ضخمة منها ، ولقد استمرت هذه المعركة لمدة عدة أيام وفي ضراوة
وشراسة ، وظهرت فيها صلاحة المجاهدين وكثر القتل من الجانبين ،
وساد الطلق حكومة لندن ، وكانت كارثة بالنسبة لها لأن جيشهم غطت
أرض المعركة بين الشعب الصومالي ، كما أن الجنرال كوفيل قتل فيها ، ووقع
تحت سنايك خيول المجاهدين ، ووقع الكثير من الضباط البريطانيين أسرى
في أيدي المجاهدين (١) (٢) .

لقد استطاع المجاهدون تسديد ضربة موجعة لبريطانيا ، وخسرت
جيشها الجبار ، كما فقدت قائدها العظيم الذي كلفته بتأديب المجاهدين
وابادتهم ، كما فقدت هيبتها كدولة عظمى أمام المجاهدين .

ومن يومها أدركت بريطانيا أن أمر المجاهدين ليس كما تصورت ، وأن
هزيمتهم لا تمكن بسهولة كما ظن قائدها المقتول وجنودها ، فقررت أن تجرى
مفاوضات جادة مع المجاهدين " وطلت كل حال بدأت المفاوضات بين الطرفين
بالقرب من مدين لاس انسو ، وحاول البريطانيون فيها بكل الوسائل ، وحتى

(١) مشكلة القرن الافريقي ص ٣٩٤ .

(٢) راجع كتاب الاسلام في الصومال ص ٧٩ .

عن طريق تقديم الهدايا للوصول الى أحسن الشروط مع الصوماليين ، وعرض
البريطانيون على الصوماليين وقف القتال نظير اعتراف بريطانيا بحقها الدول -
التي هي فرنسا ، وإيطاليا ، والحبشة - للسيد محمد عبد الله حسن
سيدا على البلاد ، وكانت المفاوضات صعبة للغاية ، وكانت المفاجأة أن السيد
قائد المجاهدين رفض هذا الطك خاصة وأنه جاء مقترحا من الأجانب ، ووصف
المفاوضات بأنها رشوة وخيانة ، وأبلغهم أنه لم يفكر في الطك وأن هدفه
الوحيد هو طرد المستعمرين من البلاد ، وإعادة الحقوق المفتصبة التي
أهلها وتطهيرها من الشرك والنفاق ، ولست أهالي بعمد ذلك أن أحيا
أو أموت" (١) .

كان السيد مقتنعا بأن الجهاد في سبيل الله هو الطريق
الوحيد لطرد المستعمرين من البلاد ، ولذلك لم يرضخ للمغريات العديدة
التي كانت أمامه ، واستطاع أن يصد أمام كل الضغوط القوية حتى رفض
التهديد والتخويف ، وأنكر اختيار الاستثمار لجملة ملكا على الصومال
وأبى أن يقبض منهم الهدايا الثمينة ، واختار طريق الجهاد والكفاح لحياته ،
وأراد أن يجعل الشعب كله بهذه الطريقة المفضلة ، ورغم نجاحه الكبير فسي
نشر الوعي في الشعب والقائ الخطب وشرح الجهاد ، إلا أن كثيرا من القبائل
لم تشترك في جهاده وخاصة تلك القبائل التي كانت تعيش في أجزاء من الساحل
وهي المناطق التي كان النفوذ الاستعماري قويا فيها ، وتأثير من الدول
الاستعمارية وبمض العوامل البيئية مثل الحزازات القلبية أصبح بعض الناس

(١) مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال ع ٤٩٧ .

ضد الجهاد والمجاهدين ، وكان علماء السوء أكثر الناس أذى ، لأن
البريطانيين والاطالين حرضوا بعض المنتسبين الى العلم ضد المجاهدين
حتى أصدروا فتاوى تتفق مع أهواء الاستعمار الشيطانية ، والتي تخدّم
صالحهم وأغراضهم " فقد أفتى علماء السوء المواليون للانجليز بأن البطّل
محمد عبد الله حسن دجال مارق على الدين تنبأ به وثورته الأولى
والصالحون ، وان مقاتلته واجبة شرعا ، كما أذاعوا تلك الأيام بأن الانجليز
من قريش وأنهم سيد خلون في الاسلام كافة حينما يظهر المهدي المنتظر ،
وأن معارضة الانجليز والثورة ضدهم حرام قبل ظهور المهدي المنتظر ،
فما دام النصر حقا ثابتا له من عند الله فالثورة ضده لا تغيد ، ويحتسب
القاء النفس في التهلكة ، هكذا قام علماء السوء بهذا الدور الخطير ضد
الثورة ، وهكذا استطاع الانجليز تشويش الشعب بواسطة بعض علائسه
وأن يحطموا الثورة بمن قامت لأجلهم " (١) .

لقد واجه المجاهد أعداء من الداخل ومن الخارج ، وواجه
مفريات لا حد لها ، ولكنه جاهد ورفض جميع المفريات والتي من بينها
اعطاء منطقة خاصة به تمتد الدول المستعمرة بها كدولة برأسها هسو ،
كما جاء في بعض الروايات " أعلن سنة ١٨٦٩ م أنه المهدي (٢) ومن ذلك
اقض الملأ المفتون كما دعاه البريطانيون مضاجع هؤلاء ، ومضاجع الايطالين
والأحباش أيضا بفزواته الحربية طوال عشرين عاما تقريبا ، وعلى الرغم من أن

(١) السيد أحمد موسى الأزهرى : خطر التعصب على الصومال ص ٥٥ .
(٢) لقد شاع أن السيد محمد عبد الله حسن ادعى أنه المهدي المنتظر حتى
عرف به مهدي الصومالي وعندما تتبعت لم أجد لهذه التسمية ذكرا في
تاريخ السيد وأحداثه ، ولا يعرف الصوماليون هذه القصة أبدا ، ولذلك
تعتبر هذه القصة من أكاذيب بريطانيا وهي نوع من التشويه لسمعة

البريطانيين هزموا عصابات أكثر من مرة ، فقد كانت الدولتان - بريطانيا -
 وإيطاليا - على الاستعداد لأن تتخليا له سنة ١٩٠٥ م عن الجزر الإيطالية
 لمنطقة مستقلة ، ولكنه عاود سنة ١٩٠٨ م غاراته على المستعمرات الإيطالية
 والبريطانية " (١) .

هكذا كان السيد في حياته ، جهاد متواصل لا يكل ولا يميل ،
 استمر فيه ما يقارب خمسة وعشرين عاما ، وواجه أعداء الجهاد من المستعمرين
 والصوماليين بحزم لا يلهين ، لأنه كان على بينة من أمره ، وكان مقتنعا بأن
 كل من يمطي ولا " للكافرين أو يعينهم على المسلمين أيما كان هذا المصون
 يجب قتله ومحاботه ، فكان يقرأ مثل هذه الآيات الكريمة على أتباعه ليؤكد
 لهم هذا الحكم بالأدلة القرآنية :

((ولا تركبوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون

الله من أولياء ثم لا تنصرون)) (٢) .

((ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم

ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون)) (٣) .

((يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم

فتنقلبوا خاسرين)) (٤) .

وكان همه أحياء النفوس بالجهاد وتربية الناس به حتى يتحرروا من

الذل والهوان ، ويذوقوا طعم الحرية ولو في ساحات القتال ، وهذا همه

النبأ عند المسلمين ، والمؤرخون أخذوا هذه الكلمة من التقارير
 البريطانية وهي لا تستحق الاعتماد على الإطلاق .

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦٤٩ - ٦٥٠ ط الخامسة .

(٢) سورة نود - آية : ١١٣ (٣) سورة المجادلة - آية : ١٤ .

(٤) سورة آل عمران - آية : ١٤٩ .

الحياة المليئة بالحيوية والنشاط ، ومد القيامهواجبات الجهاد والدفاع
 عن حياض الأمة بما لديه من أسباب ، مات السيد محمد عبد الله حسن
 رحمه الله ، وكانت آخر كلماته :

لا حياة لكم بدون وحدة . . . احذروا الخونة وحاربوا المستعمرين
 مات بعد أن ترك للصوماليين فيضا من الحكم والأشعار والمواقف التي أصبحت
 على ألسن الصوماليين عبر السنوات والتي لا ينساها المجاهدون في المصور
 التماقصة .

ولم تكن أعمال السيد محمد عبد الله حسن مقتصرة على ما ذكرناه ،
 بل كان نشاطه أوسع من ذلك وأكبر ، ففي بداية القرن الميلادي في الوقت
 الذي كان يركز نشاطه وجهاده في المناطق الشمالية والشرقية والغربية ،
 كانت هناك أعمال حربية يقوم بها بعض المسلمين في جنوب الصومال ضد
 القوات الإيطالية ، فاستخدمت الحكومة الإيطالية لإخماد حركة المجاهدين في
 الجنوب كل الوسائل الممكنة ، ولكن أشد هذه الوسائل تثلث في التشويش
 وصناعة الفتاوى الكاذبة بواسطة بعض الشيوخ التابعين للمستعمرين ، وكلها
 كانت تدور حول حرمة الجهاد ضد الإيطاليين الذين يقومون بإصلاح البلاد ،
 ويجوز معاصمتهم وما يعتهم ومجاورتهم ، وان هذا الوقت لا يجوز فيه الجهاد
 حتى يظهر المهدي المنتظر ، وأن كل من يقوم بالجهاد ضد الإيطاليين
 فعليه باطل .

وعندما سمع السيد محمد خير المجاهد في الجنوب وما يلاقونه من الحرب بمختلف الأشكال ، والدور الخبيث الذي قام به علماء السوء ضد الجهاد ، كتب اليهم رسالة طويلة تقع ضمن عشرين صفحة ضمن فيها تأييده ووقوفه معهم ، ودحض أباطيل المجرمين وأكاذيبهم الهادفة الي وقف الجهاد وتشويش المجاهدين وتثبيط عزائمهم القوية .

فهذه بعض الفقرات الطويلة من الرسالة : " الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد : فهذه رسالة صادرة من المبد الفقير الحقير محمد عبد الله ، الي الاخوان المحبين المجاهدين في سبيل الله لا علاء كلمة الايمان والاسلام " الهمماليين " ، فجزاهم الله أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة ، نصرتم يا اخواني بأن لكم أحسن الحال لأنكم تجاهدون في سبيل الله ، ولكن نصرنا بأن الناس يحكمون عليكم بالبطلان لما علمنا من حالهم القبيح ، لأننا قد جربنا فلم نر منهم أحدا يقر أهل الحق وينكر أهل الباطل ، وهم عن الحق والآخرة هم الخافلون ، فهؤلاء يقولون الجهاد ما هو واجب علينا أصلا ، وهؤلاء يقولون انه حق ولكن وقت متأخر عن هذا الزمان ، وهؤلاء يقولون انه حق ولكن كفانا الورد والذكر عنه ، وهؤلاء يمدحون النصارى ، أما وجوب الجهاد فالأحاديث والآيات تواترت على وجوب الجهاد ، وأن الجهاد فرضي عين في هذا الزمان ، لأن الكفار قهرونا وأخذوا أرضنا وكسروا بهمتنا ، وليس وقت متأخر لأنه قد أوجب الله الجهاد من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما قولهم كفانا الورد والذكر فهو كذب وزور ، وكلامهم هذا ليس

بمقول لأن هذه الأمور وحتى اذا فرضنا أنها من الأمور العينية فلا تفني
عن عينة أخرى مثل الصلاة ، بل يجب اتيان الأمور الواجبة عينا ، فالجهاد
فرض عين اليوم فيجب على المسلمين أن يجاهدوا كما يجب أن يصلوا ويصوموا .
فيا عجباً كيف يضيعون الجهاد على الكفار مع أنه من أركان الدين
حسبما قال الله تعالى ((انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم
الصادقون)) (١)

أما قولهم ان الكفار يبنون بلادنا ويقومون بحالنا ، فهذا كذب
وزور ، كيف يكون ناصحا من اعتاد على افسادنا وسمى في شقتنا وأحسب
المنت علينا ، وتظهر آثار الغضب منه ، وفي طويته أكثر من ذلك ، واذا خلا
عن أنامله بنهظنا ، وان أصابتنا حسنة ساءته ، وان أصابتنا سيئة فرح بها
فكيف يفعل صالحنا ويصمر بلادنا وينهبها ؟ لا والله ما يكون هذا أبدا
ولقد سئى الله تعالى الكافر عدوا في أول سورة الممتحنة ((يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا
بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وأياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان
كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغما مرضاتي تسرون إليهم بالمودة
وانا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سؤال السبيل
ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء
وودوا لو تكفروا)) (٢) ، واذا كان عدوا فكيف يفعل صالحنا وقد قيل :

(١) سورة الحجرات - آية : ١٥ .
(٢) " الممتحنة - " : ١ - ٢ .

نصيحة المدد ومعال (١).

وهذه الرسالة وأمثالها كان السيد يرسلها الى المجاهدين الذين يخوضون غمار الحرب لتثبيتهم على ما هم عليه من الحق والصواب ، ومن الجانب الآخر كان يرسلها الى هؤلاء العناقين الذين أعطوا تأييدهم ووقفوا في صف أعداء الله ، وكان يحاول اقناعهم ليرجعوا الى الحق المبين ويعتمدوا عن تأييد الكافرين في اذلال أمتهم وابتلاع أوطانهم وامتلاك حرمتهم ، لأنه كان يشعر أن خطرهم أشد من خطر الكفار ، وخاصة علماء السوء الذين يحرفون الاسلام لأجل ارضاء أعداء الله وكسب عرض من أعراض الدنيا الزائلة ، ويحيكون الفتوى ضد المجاهدين ويبيحون دماءهم وأموالهم ، وهم كما وصف الشاعر :

وكم باقر صدر الحنيفة باسمها
أباح حمى الاسلام بالشبهات
أخو عمة كالقبر أرخى سدولها
على جيف من صدره نتنات
تمرى من الايمان والخلق مؤثرا
زيوف معال في ظلال بغاة
يحوك الفتاوى للطواغيت مهذرا
بهين دم الاخوان والأخوات
أضاليل أملاها النفاق وحطمت
بقية ما للدين من حرمانات
وفي كل قطر من بلادى باقـــــر
شرى بكتاب الله بمضفتات

ولقد عانى السيد من هذا الصنف كثيرا لأنهم وقفوا ضده وحاربوا مع البريطانيين

(١) كشف الدول عن تاريخ الصومال ص ٢٠٠ - ٢٠٨ نقلا عن كتاب

تاريخ الصومال لجامع عيسى .

والأحباش والاطالين واستخدم الكفار هذا الصنف في آخر حياة السيد
واشتركوا بالهجوم الذي شنه المستعمرون ضد القوات الاسلامية برا وجوا عام
١٩٢٠ م ، مما أنهى فعالية المجاهدين وأضعف قوتهم حتى اضطر السيد
وجيشه الى الاعتماد عن السواحل واللجوء الى منطقة الصومال الغربي
ولم يمش السيد بمدد هذه الهزيمة الا قليلا ، وتوفي عام ١٩٢١ م وما زال
قبره مجهولا حتى الآن .

وهكذا انتهت حياة المجاهد أكثر من عشرين عاما .

بعد أن انتهت الحركة التي قادها السيد محمد عبد الله ، استقرت الأحوال للمستعمرين بشكل عام لأنه كان العقبة الكبرى منذ دخول الاستعمار في بلاد الصومال ، وتم لهؤلاء الدول بما أرادت حتى أحكمت سيطرتها على البلاد وأحدثت الفساد والمخاطر التي حذر منها السيد مرارا وتكرارا فسي خطبه وأشماره المتعددة ، واستمعدت الخلائق ، وحتى بعد الحرب العالمية الثانية لم تظهر في الصومال أية حركة تذكر ضد المستعمرين ، وبعد الحرب بدأت التحركات ضد المستعمرين ولم تكن في اتجاه واحد ، فمنها التحركات الوطنية البعيدة عن الروح الاسلامية ، ومنها التحركات الهادفة الى تحكيم الشريعة بعد جلاء الاستعمار ، ومن هذه الأخيرة " حزب الرابطة الصومالية " الذي قام في المنطقة الشمالية الداعي الى الاستقلال وتحكيم الشريعة ، وكان لهذا الحزب نشاطات قوية واصلاحات لا بأس بها ، ولكن المستعمر البريطاني شمر بقوة هذا الحزب وأهدافه العليا ، فحاربه بصورة لم يحاربها أي حزب آخر من أحزاب الاستقلال ، وكان من أهدافه : " ١ - الاستقلال ٢ - توحيد أجزاء الصومال ٣ - رفع مستوى المعيشة ٤ - محو الأمية ونشر التعاليم الاسلامية ٥ - محاربة القبليّة وازالة نظام الحمر الفاسد الذي خلقه الاستعمار وأبده " (١) .

فهذا الحزب أسسه العلماء ، وشيدوا بنيانه ، فكان من خيرة الأحزاب التي رفعت راية الحرية ، وحاربت الاستعمار ، واستطاع هذا الحزب

(١) المصدر السابق - ص ٢٢٠ .

في مدة وجيزة تحقيق توعية واسعة بين جمهور الشعب لأنه تنبه السى أن ضعف هذه الأمة لم يأت من خارجها ، وإنما الضعف الذى أصاب هذه الأمة ويمكن أعدائها في رقابها حتى سيطر عليها وأذلها أيما اذلال نابع من مجتمعها ، وهو التفرق والاختلاف والقلبية البهيمية ونظام العير الذى تضمنه كل قبيلة لشئونها ، وأعلن الملما حريهم التى لا عوادة فيها ضد هـ الضعف الفاسد المضرة المؤدية الى شل كل أنواع الحياة لمحاربة الاستعمار ، وأدركوا أن الفاسد الداخلى أخطر من كل الفاسد الخارجى ، ولولا أسباب الضعف وعوامل الفرقة الموجودة في جسم الأمة لم يتمكن الأجنبي من دخول بيتها والتصرف في شئونها الداخلى ، وبفضل الوعي " أيقظ حزب الرابطة الشعب من نومه العميق ، وأنشأ حركة تحريرية واعتم كثيرا بالناحية الاجتماعية والثقافية ونشر التلميم بين أبناء الشعب وصمت الى الخارج عدة بمشروعات علمية " (١) .

ولكن الاستعمار كان بالمرصاد ، وكان يقف دائما ويجتهد في تعطيله ويعرقل حركته التى يهدف بها الى تحرير بلاده من سيطرة الأجنبي . وعند ما تبين للاستعمار ما يحققه الحزب من تقدم لجأ الى أساليب القذرة لزعزعة الثقة بين الحزب وبين الجماهير ، وابتاع الفتى بين صفوفه " حستى تقلص ظل الحركة وتوقف نشاطها في المدن والقرى وانحصر في المركز الرئيسى آنذاك في برعسو ، وكادت تنتهي وتصبح خبر كان لولا أن الله قبض لها رجلا سمى نفوسهم عن الجاهلية " (٢) .

(١) المصدر السابق - ص ٢٢٠ .

(٢) السيد أحمد موسى الأزهري : خطر التعصب على الصومال ص ٢٠ .

وهكذا استمرت جهود العلماء في شتى المجالات ، وكانوا هم الطليعة فسي
الشئون الخسيرة ، وقدوة لغيرهم .

وفي أواسط هذا القرن الميلادي قامت حركة قادها أحد الشيوخ
البارزين في منطقة برعو التي كانت تحت الحكم البريطاني في شمال الصومال
وهو الشيخ بشير يوسف ، وعند اشتداد القضة البريطانية على الأمة
لم يجد الشيخ بشير غير الجهاد في سبيل الله طريقا للخلاص وطرد المستعمرين
وتحرير البلاد ، فعرض الأمر على العلماء واستشار معهم كيفية تنفيذ الخطة
واعداد العدة ، فكان منهم المؤيد لفكرة الشيخ بشير ، ومنهم المعارض ،
ومنهم من يقول تكفي الدعا لطرده المستعمرين ، وبعد مجادلات بينه وبين
التخاذلين بدأ الشيخ وأتباعه ومن وافق معه في الرأي الجهاد في سبيل
الله وشنوا حملات متتامة ضد القوات البريطانية وحاربوهم محاربة قوية .

لقد شعر الشيخ بشير بأن الصوماليين قد أصابهم جمود قاتل ،
وانحراف خطير عن حقيقة هذا الدين واكتفوا بالقشور دون اللباب ، وكان
يضرب لهم الأمثلة الحسية ، ويشرح لهم الجهاد بطريقة عطية ، وله قصة
شبهورة مع الشيوخ التجمدين الذين تقاعسوا عن الجهاد : " جمع مجموعة
كبيرة من العشايخ وأعيان الناس والتلاميذ في حفل عام أعد الشيخ من خلاله
أجوبة على ما يثار حول جهاده ، وبعد انتباه الأجابة أخذ كوا فوضعه
أمامهم فطلب من الشيوخ الأفاضل أن يقرأوا عليه جميع الأدعية ، بل أن
يقرأوا القرآن لكسره بدون فعل مع الدعا ، فدأوا يقرأون الأدعية والقرآن
يريدون اظهار كراماتهم التي تستطيع كسر الكوب ، فاستعروا في هذا العمل

مدة طويلة ، ولكن الكوب المصنوع من الزجاج الخفيف لم ينكسر بواسطة
الدعا* ، بل ظل في مكانه بدون تغير ، وعند ما تمبوا قال لهم الشيخ بشير
رحم الله تعالى : هل بقي عندكم شيء آخر تكسرون به الكوب من أوعية
وغيرها ، فكان الجواب : ليس عندنا غير هذا ، فطلب منهم أن ينظروا اليه
فنظروا اليه متعجبين ومتسائلين ما الذى يفعله غير ما فعلوه ؟ !!
فأخذ عصا غليظة فضرب الكوب بها قائلا : بسم الله - قبل الضرب -
فانكسر الكوب وتناثرت شظاياه في جميع الاتجاهات ، ثم قال لهم : أرايتم
كيف أن الأوعية وحدها لا تكفي لحدوث التغييرات المطلوبة في المجتمع ،
ان الدعاء* ضرورى للمسلم ، ولكن يجب أن يكون مصفا فعل ليحدث الأثر
المطلوب بان الله تعالى ، وكما أن الأوعية لم تستطع كسر الكوب الصغير
وحدها ، فانها أيضا لا تطرد عدوا ولا تحرر أمة ، بل العمل واجب شرعي
فلا بد من اتيان الأسباب ، فالجهاد أمر شرعي فلا بد أن نجاهد ، أما
الانتصار وهدمه فيما بيد الله سبحانه وتعالى ، فنحن بين النصر والشهادة
فلا نخسر شيئا* .

فهذا المثل شاع بين الناس وترك أثرا طيبا في نفوسهم وكسر الجمود
جزئيا لأنه مثل عطى أمام التخاضعين والمنحرفين الذين فسروا الدين
بحسب أهوائهم ورغباتهم .

فواصل الشيخ جهاده مدة خاض فيها معارك ضد البريطانيين في
نواحي مدينة يرسو حتى أزعج الكفار وأرهبهم ، وكان يقود الكنايب بنفسه
كما يروى معاصروه حتى لقي به شهيدا في معركة خاضها في بدايته

الخصينات ، وترك ذكرا طيبا في نفوس المسلمين ، وطم الناس طريقة الجهاد بصورة عطية ، ووجد ما تنهه من الاستشهاد ، فاقنع الناس بصدقته ، لأن أفعاله طابقت أقواله وخطبه ، رحم الله الشهيد رحمة واسعة وفسر ذنبه .

ومن الجوانب الهامة لكفاح العلماء موقوفهم من المحاولات الاستعمارية ضد اللغة العربية ، والتي كانت تستهدف ابعاد العربية عن الصومال ، فالاستعمار عندما ما جاء الى الأراضي الصومالية بذل مجهودات جبارة لنشر الثقافة الغربية وأفكاره ومبادئ الهدامة بوسائط مختلفة ، منها المدارس التبشيرية التي جاءت في وقت مبكر ، بل كانت جزءا لا يتجزأ عن القسوات الاستعمارية ، ومنها المدارس التقليدية التي تنشر اللغة الانجليزية والمواد المصرية مثل التاريخ الأوروبي ، وعاداتها وغير ذلك ، وهذه الطرق انتشرت اللغة الانجليزية في الأقاليم الصومالية التي استعمرها الانجليز كما انتشرت اللغة الايطالية في الجزء الجنوبي من البلاد ، والفرنسية في الساحل الصومالي ، وبعد أن تعلم الشباب لغاتهم من مدارسهم جعلوها لغة المكاتب ودواوين الحكومة .

ثم شوهوا اللغة العربية في أذهان الشباب ، واقنع كثير منهم بأنها لا تصلح أن تكون لغة الدولة الصومالية المنتظرة وأنها لا تتشى مع متطلبات الحضارة وحتى تقرر اللغات الأوروبية بصورة رسمية عطلت الأمم المتحدة ما يلي : "ولقد أجرت الأمم المتحدة استفتاء في الصومال قبل الاستقلال عن اللغسة التي يختارها الشعب فاجتمع رأى الأعيان ومثلي الأمة على أن تكون اللغسة العربية هي اللغة الرسمية" (١) .

(١) محمد بن ناصر العبودي : في افريقيا الخضراء ص ٣٥٠ .

وفي هذا الصدد أصدر العلماء* تقريرا شاملا حول هذا الموضوع وأعرهوا أن اللغة^{التي} لا يمكن أن يقلبها الشعب غيرها هي اللغة العربية وحددوا الأسباب بالنقاط التالية بعرضة مهمة قد موها الى لجنة الوصاية :

- ١ - " ان اللغة العربية لغة الدين ولغة القرآن الكريم .
 - ٢ - ان اللغة العربية لغة المحاكم الشرعية في جميع نواحي القطر وما زالت حتى اليوم .
 - ٣ - ان اللغة العربية لغة التجارة والمكاتبات منذ انتشار الاسلام فسي هذه البلاد حتى اليوم .
 - ٤ - ان اللغة العربية لغة يتكلم بها أغلبية السكان .
 - ٥ - ان اللغة العربية قد اختارها الشعب بالاجماع لتكون لغة البلاد الشعبية الرسمية وهي مجرى طبيعي لا نجد مناصا منه " (١)
- ومن الشخصيات البارزة التي ناضلت في سبيل اللغة العربية الأستاذ الكبير الشريف محمود عبد الرحمن وهو الذي وقع هذه العريضة بكونه آنذاك رئيس الرابطة الاسلامية الصومالية .

والأستاذ الشريف محمود شخصية عظيمة ، جاهد في سبيل الدفاع عن الاسلام وحماية اللغة العربية عن المخاطر التي كانت وما زالت تتعرض لها من قبل أعداء الاسلام الذين افتتنوا بالقيم الأجنبية الفارسية ، فنذ مجسي الاستعمار كان الشريف في جهاد مستمر ضد تلك الثقافات والتيارات المختلفة ،

(١) الشيخ عبد الرحمن النجار : الاسلام في الصومال ص ٩٦ .

وكان احساسه عميقا في الفاسد الناجمة عن انتشار اللغات الأوروبية فـ في البلاد لأنها تحل محل اللغة العربية في نهاية المطاف ، وكان يسافر كثيرا الى البلدان العربية ليشرح الموقف في الصومال ويذكرهم الواجب الطقسي عليهم ، وله الفضل في كثير من الاتفاقيات التعليمية بين مصر والصومال ، وبعد الاستقلال واصل جهاده ، وعند ما عرض البرلمان على مشروع اللغـة الرسمية في البلاد هل تكون هذه اللغة هي العربية أو اللاتينية أي اللغـة الصومالية المكتوبة بالحروف اللاتينية ؟ قاد حملة واسعة النطاق من المظاهرات ضد المشروع لأنه يرى أن الموضوع غير قابل للنقاش ، فالسبب ان اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد ، ولا داعي لتغييرها ، ولهذا تعرض لضايقات كثيرة من قبل الحكومات الصومالية ، ولقد نجحت خطته في كثير من الميادين مثل تعريب المرحلة الابتدائية بصفة كاملة في المرحلة التي كانت قبل الحكومة الحالية ، ثم انه كان يسمى لفتح جامعة اسلامية في الصومال ، وأقنع هو وزملائه الجامعة العربية بالتعاون مع رابطة العالم الاسلامي عام ١٩٢٠ م ، ولكن الثورة الصومالية رفضت المشروع رفضا قاطعا وحطمت الأمل الكبير في نفوس الأمة .

ولقد التقيت بالشريف محمود عدة مرات وتحدثت معه في الموضوع وغيره ، فرأيت منه فهما دقيقا في أمور البلاد ، ووعيا ناضجا في أمور الدعوة ، وادراكا قويا حول ما يتملق بالمكائد والمؤامرات الرسمية التي يحكيها أعداء الاسلام ضد الأمة الاسلامية ومسالحيها ، لأنه عاش فترة طويلة مع الانجليز وايطاليا والحكومات المتعاقبة بمد الاستعمار ، ولذلك فهو يقتنع أن كل

منهج غير منهج الله تعالى لا يصلح لهذه الأمة ولا يقيم اعوجاجها ، ويقتنع
 أيضا أن الأمة الاسلامية لا يمكن أن تنفصل عن اللغة العربية التي هي
 وعاء كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما انفصلت عن لغة
 القرآن ، فقد خسرت كل شيء ، خسرت التراث الاسلامي الذي يربط الأمة
 بماضيها ويذكر أمجادها ويحفظ لها تاريخها ، ولذلك يتكلم اللغة العربية
 باستمرار ، ولا يسمح لنفسه لأية لغة أخرى الا عند الضرورة ، مع أنه يحترف
 لغات أخرى ، وهذا دليل يؤكد مدى الحرص الشديد والحب الذي يكنه
 للغة العربية وآدابها ، ولذلك يعتبر الشريف محمود أبرز شخصية في الصومال
 في الدفاع عن اللغة العربية ونشر ثقافتها ، ورفض اللغات الأوروبية
 والحروف اللاتينية .

فبعد أن قررت الحكومة الحالية بأن اللغة الصومالية المكتوبة
 بالحروف اللاتينية هي اللغة الرسمية في البلاد ، وألغيت اللغة العربية
 كما تحدثت عنه سابقا ، اعترض الشريف الموضوع ، وتأسف كثيرا لأنه ناضل
 عدة عقود من الزمن تحت مختلف الظروف والأحوال ، ولكن الأمر نفذ
 بأيدي صومالية عن طريق القوة العسكرية ، وبدون استشارة من أحد ،
 ورغم أن الشريف محمود تقدم في السن حيث جاوز السبعين من عمره
 الا أنه نشيط في شئون الدعوة الاسلامية ، ومتحمس بصورة شديدة
 وعنده الامال في أن يرى يوما من الأيام وقد انتصر الاسلام على
 الأحكام الجاهلية ، وأن تعود اللغة العربية كسابق عهدها في الصومال .
 نسأل الله تعالى أن يرزقه عمرا مديدا ، وينفع به المسلمين

ولفكرة الشرف أنصارها في البلاد ، لأنها ببساطة فكرة
اسلامية ، لأن فرض اللاتينية على البلاد أمر غير مرغوب فيه ، بل مرفوض
من قبل الشعب بصفة أساسية ، لأنها حرب على الاسلام ، وسد مانع
في تعلم لغة القرآن ، وقطع الجسور بين الصومال والبلدان
الاسلامية .

ودور العلماء لم يقتصر على ما ذكرته ، بل لقد وقفوا مواقف
جريئة تدل على أنهم ما زالوا يؤدون دورا هاما وحيويا في شؤون
الامة وقضاياها ، وانهم ما زالوا يداومون عن الاسلام بصورة أوبأغرى
في البلاد ، فبعد أن ارتحل الاستعمار عن ساحة الأرض من بعض أجزاء
الصومال ، بدأ العلماء يطالبون بتطبيق الشريعة الاسلامية ونهذ القوانين
الوضعية جملة وتفصيلا ، واقرار اللغة العربية لغة رسمية في البلاد ،
ولأجل هذا كانت المظاهرات تقوم في العاصمة ، وتشتد الحملات الكلامية
في المساجد في الفترة التي أعقبت الاستقلال حتى عام ١٩٦٩ م .

ففي هذا العام تغير الاتجاه في البلاد بصورة كبيرة ، حيث حصل
النظام العسكري محل النظام البرلماني ، وانعدمت أشكال الحرييات
وحل محلها الكبت والارهاب ، وارتبط الاتجاه السياسي بالدول الشيوعية
وخاصة الاتحاد السوفيتي ، وتتابعت المفاجآت المذهلة التي سبق
الحدث عنها ، وأخذت الثورة خطوات حاسمة ضد اللغة العربية
وتطبيق الشريعة ، بل الأمر وصل الى أبعد من هذا ، مما يمكن أن
يوصف بأنه انقلاب جذري وشامل في كل شأن من شؤون الحياة ،

حتى وجدت الأمة أنها أمام أمر واقع جديد ، بل أنها أصبحت في
حيرة من أمرها .

ماذا كان موقف العلماء في الصومال عن الأحداث المؤلمة ،
وعن التفجيرات الجذرية ، وعن النشاطات اللاحادية التي يعلنها
النظام الاشتراكي في البلد ؟ .

بصفة عامة كان موقف العلماء عما ذكرته موقفا متصفا بالشجاعة ،
ورغم أنهم لم يحملوا السلاح ضد اللاحاد ، ولم يجاهدوا بالسيف لظروف
تقتضي ذلك ، إلا أنهم لم يتركوا وسيلة أخرى ، بل استخدموا كل الوسائل
الممكنة لمحاربة اللاحاد والفساد الجارف الناتج عن الاتجاه السياسي ،
فالمرحلة الأولى ، أو العلاج الأول الذي استخدمه العلماء كان النصيح
اللطيف ، حيث قدموا للحكومة النصيحة تلو النصيحة ، وبينوا لها حقائق
الاسلام ، وطلان ما سواه ، ولكن الاتجاه الجديد أبى كل النصائح
العقدمة اليه ، فاستمرت المرحلة الأولى بصفة عامة من بداية الثورة حتى
عام ١٩٧١ م ، وبعدها لم يكن الاتجاه السياسي مستعدا لأن يسمع
النصائح من أي أحد ، لأنه أعلن أنه ماركسي ، وأنه اشتراكي علمي ،
فبعد هذا العام كانت حملات العلماء الوعظية ، وتوجيهاتهم تشتد شيئا
فشيئا ، فكان البعض يلقي الوعظ ويصرح بهطلان الاشتراكية ، وأنها ضد
الاسلام الحنيف ، ويحذر الناس من الاغترار بها والجرى وراءها لأنها
بدأ الحادى .

فبعدها بدأت حملة الحكومة ضد العلماء ، واعتقلت مجموعة منهم ،

وتتابعت الأحداث ، وكثرت الحلقات العنيفة ، والاعتقالات الواسعة ،
والتشهير .

وفي تلك الفترة نشط العلماء في التدريس في المساجد البعيدة
عن الأنظار ، وعض المساجد الكبيرة ، بل بدأت حلقات التدريس فسي
البيوت الخاصة حتى تحولت البلاد الى كتلة نشاط غير ظاهرة للحكومة
بصورة مكشوفة رغم شعورها ، وكانت هذه الأساليب ناجحة الى حد كبير في
مقاومة التيارات والفساد العظيمة التي حلت على الأمة ، وشجرت الحكومة
بعد فترة مقاومة الشعب غير المسلحة التي تقف أمام الاشتراكية العلمية
ووصلت المرحلة الى المواجهة شبه المكشوفة بين العلماء والحكومة ،
الأمر الذي أدى الى اعتقال عشرات من أفاضل العلماء وطلاب المساجد
ومع هذا كله كان دور العلماء في تلك المرحلة عظيما ، رغم ما واجهوه من
الصعوبات والمعقات التي لم يألّفوها ، ولم يتمودوها في تاريخهم الحديث ،
لأنهم أدركوا أن الاسلام في خطر عظيم ، وأن الاتحاد يمكن أن ينجح في
محاولاته ومجهوداته التي يبذلها في سبيل تطبيق الاشتراكية العلمية
في الصومال ، وإيمانهم الاسلام عن أرضه ، وهذه المخاوف التي ظهرت
بوادرها ، وانكشفت أسرارها من خطب المسئولين دفعت العلماء
الى بذل مجهودات لتوعية الأمة وأشعارهم أنهم في خطر .
واستمر الحال على هذا حتى عام ١٩٧٥ م الذي أصبح عام
الحسم بين الاشتراكية العلمية وبين الاسلام في الصومال حسب ما خططه
الماركسيون ، وكانوا يصرحون بأنه لن يكون اسلام بعد هذا العام في الصومال .

كان الأمر متوقعا ، والحصية منتظرة ، وكان الكل في حيرة وترقب للخطوات التالية للشورة ، وما كادت السنة المذكورة تحمل حتى أعلنت الشورة بصراحة ووضوح ، لا اسلام بعد اليوم بلسان رئيس الجمهورية محمد سياد بري ، وفي ساحة عامة ، وأمام آلاف من أفراد الأمة الذين تجمعوا لاستماع خطبته التي ألقاها في اليوم الحادي عشر من شهر يناير عام ١٩٧٥ م ، هذه الخطبة نصت على أمور ليست لها سابقة فسي الصومال ، وهي تتلخص في : إلغاء الميراث الاسلامي . . . و إعلان المساواة بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات . . . و الاعلان امام المسلمين بأن نصف القرآن منسوخ ونصفه الآخر لا يتشى مع مقتضيات العصر الحضرة . . . وشطت أسورا أخرى كلها شتم واهانة للدين وأهله حتى صمق الناس .

وكان لهذه الخطبة ، وتلك القرارات التي أعلنتها الحكومة وقع كبير في نفوس المسلمين ، ووصل الأمر الى مرحلة لا يستطيع أحد أن يتصورها إلا من عاش في ظلها القاتمة .

كان اعلان القانون المذكور بتاريخ ١١ يناير ١٩٧٥ م بخطبة وجهها رئيس الجمهورية الى الأمة ، فكان هذا اليوم يوم السبت ، وهو آخر يوم من أيام ذى الحجة ، أو الذى قبله ، أى يوافق هذا اليوم ١٣٦٤/١٢/٢٩ هـ .

وبعد أن سمع الناس هذا القرار ، أدركوا أن الأمور في البلاد تدهورت بشكل سريع ، وأصبحت البلاد في طولها وعرضها على استمساد

لمعظم الأسوار ، وكان عليها سحائب سوداء أظلت بظلها القاتم ، وعمم القلق الشديد في جميع الأوساط الشعبية ، وتهاوس الناس فيما بينهم ، وهاتوا ليلة الأحد شرهيتوتة ، وكانت ليلة طمئة بالأحزان والهموم القاتلة ، لم يعرف الناس مثلها قط ، وكان الجميع يتوقع بحدوث تطورات وأحداث ، ولكنهم في حيرة من أمرهم ، ولم يطرأ شيء يذكر خلال خمسة أيام التي تلت يوم الكارثة سوى انخفاض نشاط التجارة ، وحدث هبوط في الأنشطة العامة التي يمارسها الشعب في حياتهم اليومية ، حيث أغلقت كثير من المحلات التجارية العامة ، وكان هذا ملاحظ في العاصمة بشكل خاص .

والشيء الآخر الذي حدث خلال الخمسة أيام المذكورة انزال الحكومة أعدادا كبيرة من القوات المسلحة ، والبوليس ، والطيشيين الشعبية إلى الشوارع وأحياء المدن الكبيرة في البلاد تحسبا لكل طارئ حتى امتلأت الشوارع بالقوات ، وبدت وكأنها ساحة حرب رهيبية بين قوتين مسلحتين ، لأن الحكومة رغم قواتها كانت تنتظر من قبل الشعب بقيادة العلماء ردة فعل عنيفة ، واستنكار ضد القوانين الجائرة التي أظنتها .

فهاطن الظاهرتان كان المرء يستطيع أن يلاحظهما في شوارع العاصمة ، ولم تحدث حوادث مكشوفة في تلك الأيام ، وإنما الحيرة والأسف والحزن العميق ، هذه الأمور هي التي سيطرت على قلوب الناس حتى تمكرت حياتهم ، وفقدت معانيها الحقيقية ، وانتهت الأيام بدون حدوث ما يلفت الأنظار .

ففي يوم الجمعة الموافق ٥ محرم ١٣٩٥ هـ (١٧ يناير ١٩٧٥ م) ، ومد صلاة الجمعة مباشرة ، وفي وسط جموع عاظمة لم تمتد الساجد مظها من قبل ، وفي جو مشحون ومأذون بالانفجار العنيف ، وفي مرارة ملأت القلوب من جراً ما حدث في بداية الأسبوع ، لهذه الظروف والأجواء كان الخطباء بمد صلاة الجمعة يلقون خطبا نارية ، وكانهم يلقون الحم المحرقة ، وتناولوا ذلك الموضوع باستفاضة ، وبينوا حكمه الشرعي للحاضرين ، وكانت الخطب تتفاوت بتفاوت الخطباء ، ولكنهم على العموم متفقون في ابداء الخطورة وانكارها ، وحكم المرتكب والملايسات حول الموضوع ، وأكثر الساجد في تناول القضية كان مسجد المقام الذي يقع في وسط العاصمة ، وهو من أكثر الساجد نشاطا وحيوية في العاصمة الصومالية .

في مسجد المقام قام الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن حاج عثمان بمد صلاة الجمعة ، وألقى خطبة تاريخية طويلة ، نأخذ منها ما تيسر :
 " بدأ الشيخ بخطبته بالحمد لله ، والصلاة على النبي ، ثم عرف نفسه للحاضرين بالتفصيل ، وكان في يده اليمنى كتاب الله الكريم ، وفي يده الأخرى نسخة من جريدة (نجمة أكتوبر) الجريدة الرسمية للدولة ، العدد الصادر في يوم ١٣ يناير ١٩٧٥ م المتضمن قرار الحكومة المساوي بين الرجال والنساء في كل شيء .

و بعد أن عرف نفسه بدأ يتحدث عن الاسلام وأحكامه وعد التمه المطلقة ، وأنه هو الذي أخرج الناس من ظلمات الجهالة الى نور الاسلام

حتى قال : اننا اليوم في حاجة ماسة الى التمسك بهذا الكتاب الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وخاصة ونحن نعيش في أزمت حادة لا نخرج منها الا بالتمسك بهذا الكتاب " ، ثم قرأ الجريدة التي كانت في يده ، حيث تكلمت عن القوانين الجديدة في الارث والزواج والطلاق وكل شأن من شئون الحياة العائلية ، وعند ما فرغ من قرائتها وجه للحاضرين عدة أسئلة حول الموضوع .

فقال الشيخ : لقد سمعنا كتاب الله ، وما فيه من الآيات الهيئات وسمعنا الآيات الواردة في سورة النساء ، كيف فصلت الارث وهينت وأعطت كل ذي حق حقه ، ورفعت الظلم عن النساء ، ورأينا ما قالت الجريدة الحكومية نقلا عن أكبر مسئول في هذا البلد من احداث تشريعات مسن وضع البشر الذى لا يصلح أن يكون شرعا أبدا ، لأن التشريع لله وحده ، ورأينا ما في هذه الجريدة من طعن وسخرية لكتاب الله ، وافترافات خطيرة وجهت الى القرآن الكريم ، رأينا هذا ، ورأينا ذاك ، هل الحق والصواب في قول المسئول القائل " ان البنات متساوية مع الابن في الارث ، وفي كل شي " ، ولن تكون هناك بعد اليوم مفارقة في ذلك ، ولن يكون بعد اليوم ثلث ولا ربع ولا ثمن ولا سدس " ؟ أو الحق والصواب الذى لا يتغير من قول الله تعالى في سورة النساء الآية ١١ ((يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، فان كانت واحدة فلهما النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد . . .)) ؟ فهاج الناس وصاحوا

صحة قوية قائلين : قول الله هو الحق ، وما سواه هو الباطل .

فتابع كلامه بكل حمده ، والناس يستمعون اليه من داخل المسجد وحواليه ، حيث خرجت الجموع لسماع الخطبة ، وجاءوا حول المسجد بأعداد كبيرة جدا .

ثم قال الشيخ : هل نصدق قول الله ((أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)) أو نصدق ما قاله الرئيس :
 " ان الاشتراكية العلمية مبدأ عادل ، ترفع الظلم عن المظلومين وخاصة النساء اللاتي فضل القرآن الرجال عليهن " ؟ فتجاوب الناس في كلامه ، وتأثرت الجموع تأثرا بالغا ، طالبين من الشيخ أن يأمرهم وأن يقودهم .

وامتلات الساحات أمام المسجد ، ولم ينته الشيخ من خطبته الطويلة التي غلت من المواطف غير الموضوعية ، وتجردت عن التكرار الآ وقت آذان العصر ، وضمنها بمبارات قوية ، ونصائح وجهها الى المسئولين تبرئة للذمة أمام الله ، وابهض الحق في السألة ، طالبا منهم أن يرجعوا عن قرارهم ، وأن يعيدوا البلاد وأهلها الى جادة الحق .

كان الموقف محفوقا بالمخاطر ، والحكومة أعدت قواتها لضرب الشعب ، وبدأت بعد صلاة الجمعة بإرسال فرق الجيش الى مختلف المناطق ، وخاصة الى المناطق القريبة للمساجد الكبيرة ، وبعد صلاة العصر تتابعت الخطب بحد الشيخ ، فكلما نزل واحد عن المنبر علا آخر عليه ، فلم يخرج الناس من المسجد منذ حضورهم قبل الجمعة ، بل عكفوا فيه يستمعون الخطب مرددين التوحيد والتكبير :

لا اله الا الله ، والله أكبر ، وكانت لهذه الكلمات دويها في أجسوا
العاصمة بواسطة مكبرات الصوت ،
وتوارد الناس الى المساجد ، وتزايدت جمعهم حتى سدوا المنافذ
وجانهم كانت قوات الجيش تتأهب وتأخذ مواقعها في الساحات
المحيطة بالمساجد ، وخاصة مسجد المقام ، فاستمرت الأوضاع على
هذا النوال ، وقبيل صلاة المغرب أكلت القوات المسلحة والبوليس
استعداداتها ، وأرسلت الفرق المتخصصة بالكهرباء ، فقطعت الكهرباء
عن المسجد حتى لا يسمع الآخرون أصوات الخطباء من المسجد ، وبعد
قطع الكهرباء عن المسجد دامت قوة كهيرة المسجد بأسلحتها ، فأراد
الناس أن يقاتلوا من داخله ، لكن الشيخ أحمد الذي بدأ الكلام
أمر الناس ألا يقاتلوا ، لأنه زملاء ، يستسلمون للجيش لانقاذ أرواح
الآخرين ، وأمر الناس بالهدوء ، واقحم الجيش داخل المسجد
ومسكوا عشرات من المصلين ، وكل الذين تكلموا في خطب اليوم ،
وهاجموا على الجموع التي كانت أمام المسجد ، وأخذوا من تمكنوا
منهم ، وملأوا عشرات من السيارات بالمصلين ، واقتادوهم الى
مراكزهم .

وكان توقيت هذا الاقتحام عند المغرب ، ولم يكن الاقتحام في مسجد
المقام وحده ، ولكن ذلك شمل مساجد كثيرة لأن أكثر من عشر مساجد تناولت
القضية بصورة اساسية .

فبعد ذلك وبعد أن أخذت الحكومة حملة واسعة ضد العلماء ففى كل مكان وحدثت مطاردات عنيفة ضد المتدينين رجالا ونساء ، وبعد ذلك قامت المظاهرات فى العاصمة ولكن الحكومة استطاعت قمعها واعتقال المزيد من العلماء والطلاب حتى بلغ المعتقلون ألقا بين الرجال والنساء ، وتحولت العاصمة الى ساحة حرب بكثرة مظاهر التسليح التى غطت عليها والمنصف الذى تستخدمه القوات ضد الشعب الاعزل الذى يريد أن يعبر رأيه فى قضايا تخصه بل هى من صميم حياته التى لا تتفك عنه .

وانتهت يوم الجمعة وليلة السبت بتلك الخطاب التى شرحت الوضع وعبرت عن الاستياء الشديد الذى سيطر على الشعب والانتكار الذى لم يستطع العلماء اخفاءه بل لم يسرهدوا ان يخفوه لان الموقف يتطلب ذلك تماما ، لأنه الوسيلة الوحيدة والمقدرة التى يملكها العلماء للدفاع عن الدين ورد الباطل الذى يريد ان يقتلع الدين عن الأساس ، لان انكار جزء من الدين انكار الكل ((أفتؤمنون بيمض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد المذاب وما الله بغافل عما تعملون))^(١) .

ففى يوم السبت ٦ محرم سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٨ يناير سنة ١٩٧٥م التى تلت الجمعة التى تحدثنا عنها أجرت الحكومة محاكمات صورية وأعلنت أحكاما فى نفس اليوم مفادها * ان محكمة أمن الدولة حكمت على ستة من العلماء الذين وقفوا ضد القوانين التى أصدرتها الحكومة بالاعدام رميا بالرصاص وحكمت المحكمة على ثلاثة من العلماء بثلاثين سنة سجنًا وحكمت على اثنين آخرين بالسجن عشرين عاما^(٢) .

(١) سورة البقرة : الآية : ٨٥ .

(٢) نجمة أكتوبر العدد الصادر فى ١٩ يناير سنة ١٩٧٥ .

وفي يوم الأحد ٢ محرم سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩ يناير سنة ١٩٧٥ م
اصدرت محكمة أمن الدولة مايلي * حكمت المحكمة على اربعة من العلماء حكما
بالاعدام رمها بالرضاص لأنهم وقفوا ضد القانون الجديد متسترين بلباس
الدين الاسلامي وحكمت على ثلاثة بالسجن مدة ثلاثين عاما ، وخسة عشر
آخرين بالسجن عشرين عاما^(١) .

هكذا تمت عمليات القمع وبهذه السرعة اصدرت محكمة أمن الدولة
أحكامها اعداما وسجنا واستغرقت العملية الى هذا الحد ثلاثة اويومين
لبعض المحاكمات اذا اضفنا الى يوم الاعتقال لأنها بدأت يوم الجمعة
وأصدر الحكم يوم السبت ثم يوم الأحد وبلغت الأرقام التي صدر ضدها
الحكم في يومى السبت والأحد كالتالى : المحكوم عليهم بالأعدام
عشرة من العلماء الأفاضل والمحكوم عليهم بالسجن لمدة ثلاثين سنة فهم
سنة من العلماء والمحكوم عليهم بالسجن لمدة عشرين سنة فهم سبعة عشر
عالما والمجموع ثلاثة وعشرون من أفضل علماء الصومال .

أما لماذا تصرفت الحكومة بهذه الطريقة المستعجلة وماالفرض
من اصدار هذه الأحكام بدون أى اجراء ولو كان مزيفا ؟ يمكن ان يقال
ان الحكومة أرادت بتصرفاتها هذه أن تبهرن^{على} أنها قوية وتمسكة بزمام
الأمر ، وبالتالي فانها أرادت أن تخفف الشعب وترهبه بطريقة عملية حتى
لايحاول الوقوف أمام القوانين الجديدة ، والشئ الثالث هو ارضاء الروس
الذى اتهموا القيادة الصومالية فى تلك الايام بالضعف والتردد أمام المتدينين
الرجيمين المعارضين للنظام الاشتراكي فى البلد ، هذه هى أبرز الأسباب
التي أدت الى اصدار الأحكام السريمة التي خالفت كل القوانين فى العالم
وخالفت حتى الطرق التي يتبمها أمثالهم فى الدول الاشتراكية وغيرها

(١) نجمة اكتوبر العدد الصادر فى ٢٠ يناير سنة ١٩٧٥ م .

لأنهم نسوا أن يحضوا لهذه القضية البهرات الكاذبة ليقيموا السذج
والمامة من رعبتهم .

وفى يومها تناقلت وكالات الأنباء نقلا عن اذاعة مقديشو ووكالة
الأنباء الصومالية وبعد سماع النبأ المفجع انهالت البرقيات من
المؤسسات الاسلامية وتأخذ كنموذج البرقية التي أرسلها الشيخ
عبد العزيز بن عبدالله بن الهاز رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة
النورة وتثني الى رئيس الصوصال حول الشريعة الاسلامية واعتماد
العلماء .

" مقديشو فخامة الرئيس محمد سياد بري وفقه الله لسلك
الصراط المستقيم ان الأنباء التي تناقلتها الأذاعات العالمية عن اصداركم
قانون يقضى بالتصوية بين الذكر والأنثى في كل شيء أقلق ضمائر المؤمنين
وقد ضاعف الألم حكمكم على علماء الاسلام بالموت والسجن بغير ذنب سوى
اعلانهم حكم الشريعة في هذا القانون المخالف لصريح القرآن الكريم والسنة
المطهرة واجماع علماء المسلمين والعقل الصحيح والمصلحة العامة ، بل هو
كفر وضلال وخروج عن الاسلام ، وسيفتح على المسلمين أبوابا من الفتن
لا يعلم مدى ما وراءها من الشرور الا الله ، واني باسم الجامعة الاسلامية
بالمدينة النورة التي تمثل بمدرستها وطلابها سائرا قطار العالم
الاسلامى أذكركم الله والدار الآخرة وحق الانسان ، وأناشدكم باسم
المسلمين عامة ان ترجموا عن هذا القانون وتطلقوا سراح هؤلاء الابرياء
وان تقفوا عند حدود الشريعة الثراء التي انزلها الله رحمة للعالمين
وفيها صلاح العباد والبلاد في العماش والمعاد ، وفيها صلح أول هذه
الأمّة وصاروا بها سادة العالم ، ولن يصلح آخرها الا ذلك ، ومعلوم

أن الرجوع الى الحق شرف وفضيلة وخير من التماهى فى الباطل ونسأل
 الله لكم الهداية والتوفيق وصالح البطانة انه جنود كريم " .
 رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . عبد العزيز بن عبد الله بن باز^(١)
 وكذلك أرسل شيخ الجامع الأزهر الدكتور عبد الحلیم محسود رحمة
 الله عليه برقية الى المسئولين الصوماليين يطلب منهم ان يرجعوا عن
 القوانين الجائرة وأن يطلقوا سراح العلماء ، كما أرسلت الجامعات الاسلامية
 فى عدد من الأقطار الاسلامية ، والهيئات الاسلامية ، ومع هذا كله مضى النظام
 الصومالى قدما فى تنفيذ جرائمه البشعة ضد العلماء ضد الشعب
 بصورة عامة .

وفى صبيحة يوم الخميس ١١ محرم سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٣ يناير
 سنة ١٩٧٥ م أعلنت الاذاعة الصومالية فى بداية بثها لبرنامج يوم
 الخميس المفاجأة الكبرى التى أذهلت الجميع وأوقعتهم فى الحيرة والارتباك
 لقد أعلنت نها اعدام عشرة من العلماء ببيان قصير جاء كالآتى :
 " نقلا عن الوكالة الصومالية للأخبار لقد قتل عشرة اشخاص الذين حكمت
 محكمة أمن الدولة عليهم بالاعدام قبل الآن رميا بالرصاص صباح الخميس فى
 الميدان العام القريب للمدرسة العليا للهوليس الواقع فى شاطىء البحر وهند
 اسماء المقتولين .

- | | | | |
|-----|---------------------|-----|------------------|
| (١) | الشيخ أحمد شيخ محمد | (٢) | عيسى حسن ورسمه |
| (٣) | حسن عيسى السبى | (٤) | الشيخ أحمد ايمان |
| (٥) | الشيخ موسى يوسف | (٦) | محمد زياد حرسى |

(١) مجلة المجتمع العدد ٢٣٦ الصادر فى ٢٩ محرم سنة ١٣٩٥ هـ .

(٧) على جامع حرسى (٨) آدم على حرسى
 (٩) سليمان جامع محمد (١٠) ياسين علم عسول
 لقد ادانتهم محكمة أمن الدولة وثبت أمام المحكمة أن هؤلاء العشرة
 عارضوا بصورة جماعية القانون الصادر من المجلس الأعلى للشورى ، ومن المجلس
 الوزارى بالاجماع بتاريخ ١١ يناير سنة ١٩٧٥م المتعلق بالمساوات بين
 الرجال والنساء ، وقد ادانتهم المحكمة أنهم خالفوا القانون الصادر فى
 ١٠/٩/١٩٧٠م رقم (١٢) ومادته (٥٤) المنصوص بمثل هذه الحالات^(١)
 فى هذا الصباح قام الناس من نومهم واعلان الاعداء ينطلق عبر
 الموجات الاذاعية ، والتهديدات النارية تصب فى اذانهم أصواتا لاتطاق
 والفرق المسلحة الكاملة التجهيز تجوب فى الشوارع بل فى الأزقة والدروب
 الضيقة ، أما المساجد فاصبحت محاصرة تماما ، وعربات الجيش المدرعة
 وغير المدرعة تقطع الشوارع جيئة وذهابا وتشوه وجه العاصمة .
 أما سماء المدينة فكانت الطائرات الحربية من طراز ميغ ٢١ باسراب
 تحلق فوق العاصمة بارتفاع منخفض وتطلق أصواتها المزعجة بقوة رهيبية
 حتى تحولت العاصمة بفعل المظاهر السلمية وازيز الطائرات وأصوات
 السيارات الى ساحة خالية من الحياة الطبيعية ، وعت الكأبة على
 الوجوه وانعدمت مظاهر الحياة ، وانطلقت المظاهرات المتفرقة الستى
 تنودها المواطنين الجهاشة والحماس الذى غلب على الناس وواجهت الحكومة
 هذه المظاهرات بكل قسوة وارهاب وحدثت بعض المصادمات هنا وهناك
 ولكن كل ذلك لم يغير من الموقف فى شئ ، وحدثت بعض الحوادث حيث

(١) اذاعة مقديشو ونقلت الجريدة الرسمية المدد الصادر فى ٢٤/١/١٩٧٥م

هاجم بعض المسلمين الذين فقدوا وعيهم من شدة الهول والحزن ، هاجموا
الأوروبيين واستخدموا السلاح الأبيض مثل السكاكين والمضى ، وكان الهجوم
مقصودا ضد الروسين الذين هم السبب فى الكارثة ، ولكن العامة لا يفرقون
بين الروسين والايطاليين وغيرهما ، وواصلت الحكومة ضرب المظاهرات المتفرقة
وساقت الجموع الى المعتقلات والمراكز البوليسية ومن بين المعتقلين مجموعة
من النساء رفمن المصاحف على الرؤوس مرددات رفضهن القاطع للقوانين
الجديدة .

ومن الظواهر النادرة التى أدخلت السرور الى حد ما فى قلوب معظم
الناس فى الصومال رغم ما نتج عنها من خسارة فادحة للأرواح والممتلكات
تلك الحادثة المثيرة التى أصابت القوات الجوية الصومالية ، وخلصتها :
كانت الطائرات الحربية تجوب فى اجواء العاصمة بشكل مزعج للناس
فبينما هذه الطائرات تحلق فوق رؤوس المظلومين مهددة أياهم بأصواتها
وطلماتها المتواصلة غير خائفة من الشعب الأعزل الذى يمر باتعس أيامه
عبر القرون جاءت نعمة الله على هذه الطائرات حيث حدث الصدام
بين طائرتين من طراز ميج ٢١ فى سماء العاصمة فاشتعلت النار فى الطال
فى أجسام الطائرتين فاحترقتا وأصابت احدهما حيا فدمرتة تدميرا
كاملا ، ومات من فيهما من الطيارين ، هذه الحادثة رغم خسارتها الفادحة
كانها انتقام من الله لهؤلاء وعبرة للمتخاذلين ، لان الذين ماتوا فى
هذه الحادثة وبعد اعدام العلماء الذين وقفوا أمام الباطل بلشوا عشرات
ولذلك فرح الناس كثيرا بهذه الحادثة لأنها قللت فرحة الشيوعيين فى البلد
وبدأوا يكون لخسارتهم ونوا جميع البيوت التى هدمتها الطائرات لتقليل
النقمة الشعبية وتحملوا بهذا تكاليف باهظة .

اما طريقة القتل فكانت رميا بالرصاص ثم الاحراق كما ذكرتها وكالات
الانباء وكتبت الصحف والمجلات العالمية ، وهذه هي العناوين البارزة فسي
بعض المجلات : فورد في مجلة المجتمع الكويتية •
ابشع مجزرة بشرية في القرن العشرين •
الصومال يصفى دعاة الاسلام حرقا بالنار •
اعرضوا على الفناء شريعة الاسلام فأحرقوهم •
المعون لحكومة الصومال مشاركة في العداء للاسلام وقتل المسلمين
ومما قالت المجلة تحت العناوين السابقة " أعدمت حكومة الصومال
عشرة من المسلمين حرقا في ميدان عام ، أذاعت النبا وكالات الانباء
العالمية والصحف والاذاعات ، حكومة الصومال ، وروع العالم كله
بهذه المجزرة اللاانسانية فهذه ابشع مجزرة يرتكبها بشر ينتسبون الى
الأدمية في القرن العشرين ، فالمجزرة تشكل جرائم مزدوجة قتل مسلمين مارسوا
حقهم المشروع في الاعتراض على محاولات تصفية الاسلام في الصومال •
قتل بغير حق •
قتل بابشع وسيلة وهي الاحراق بالنار في ميدان عام •
ومما يؤكد الوحشية والقسوة وشاعة القتل فان أهالي المقتولين لم
يسروا جثثهم أبدا بل تصرفت الحكومة في بقايا أجسامهم •
وقبل تنفيذ عملية القتل عرضت الحكومة على العلماء أن يطلبوا المغومسن
رئيس الجمهورية ولكنهم رفضوا جميعا قائلين : لانطلب المغومسن أنكر القرآن ،
ولا نخاف من الموت في سبيل الله ، ونسأل الله الشهادة وفي الفترة
التي كانوا في السجن وهي خمسة أيام صاموها ، وعزموا أن يفارقوا هذه
الدنيا وهم صائمون وداموا على هذه الصفة حتى فارقوا الدنيا شهداء

وصياما وهذا من فضل الله عليهم واختيار منه سبحانه وتعالى ، ولقد حازوا فضلا وشرفا من سائر المجتمع وكفاهم شرفا ان يكونوا من أصحاب هذه المنزلة الرفيعة قال الله تعالى : ((ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله ممن فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون))^(١) .

والرسول عليه الصلاة والسلام قال : (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)^(٢) . وكفاهم شرفا أن قالوها دفاعا عن دينهم .

وحتى تتضح الصورة وينكشف موقف العلماء وقوتهم فى محنتهم التى أصابهم لاجل الله ولا عملاء كلمته أثقل سطورا كتبها أحد الشهداء كوصية لوالديه وأنقل اجزاء من وصيته الشهيد والوصية مؤرخه بتاريخ ٨ محرم سنة ١٣٩٥ هـ اى قبل تنفيذ الحكم الاجرامى بيومين فقط وعنوانها " وصيتى الى الاهل والأخوان " وهذه هى الوصية :

بسم الله الرحمن الرحيم ((ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من عبود رحيم * ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين))^(٣)

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للسيوطى ١/٤٩ .

(٣) سورة فصلت - آية : ٣٠ - ٣٣ .

صدق الله المظلم ، الى حضرة الوالد الشفوق والوالدة الرحيمـــــة
 واخوانى الكرام جميعا ذكورا واناثا ، ووالدى العزيزين ، وزوجتى المطيعة
 وأولادى أفلاذ كبدى ، وزوجات أخوانى وأولادهم الكرام وجميع الأهالى فردا
 فردا سلام الله عليكم ، أهدي اليكم تحياتى المطرة واشواقى المتلاحقة .
 وأما بعد : أنا بخير فى هذه اللحظة الحاسمة ، وسأكون بخير
 فى آية حال بأذن الله مادامت فى رضى من الله ومن والدى ، كما أرجو من الله
 ومنكم فى يوم الجمعة ٤ محرم قمت من المسجد الجامع المسمى عبدالقادر
 فى مقديشو ، وقرأت خطبة تاريخية سميتها " الانتصار للرسالة الالهية
 السماوية وقمع الملحدين الدهريين " مجاوبا عن القرار المؤسف الذى طمن
 فيه القرآن الكريم وأهله امام المكشوفون واستمرت من وقت سلام الخطيب من
 الجمعة الى وقت اقامة صلاة العصر ، وقرأ بعدى ثلاثة من العلماء وبينوا
 كما بينت ، واستمر الطل الى غروب الشمس ، والمسجد وحواليه مشحون بالناس
 حتى علت الاصوات بالتكبير " الله أكبر " ثم قهضونا وحكمونا كما سمعتم
 ولكن الحكم لله العلى الكبير ، فاذا كان الأمر كما قضى الله فعليكم بالصبر
 الجميل ، فهذا شرف الى للمسلمين ، ولأصحابى الذين معى فى هذه المحنة
 وشهادة عظمى ، ثم كتب بعد ذلك تفصيلات عن الديون المستحقة عليه وبقية
 الحقوق مثل حقوق الزوجات والاولاد ، وفى الأولاد يقول رحمه الله - ورجاى
 الكبير فيكم تعليم الأولاد أفلاذ كبدى ليكونوا شفعاء لى ولكم ان شاء الله
 تعالى من غير تفریق بين الذكور والاناث فالله يعلم أیما ينفع لى ولكم - وفى
 مكان آخر يقول - فىاوالدى انى دخلت فى هذا الأمر ابتغاء مرضاة
 الله والوالدين انتصاراً لكتاب الله وسنة رسوله ، فارجو منك ياوالدى
 العفو والرضى لأصل الرضا الأكبر .

واختم الشهيد وصيته بهذه المبارات القوية المؤكدة على شجاعته الفائقة وثقته الكبيرة في الله وعدم خوفه من مجابهة هذا الموقف قائلاً: وسلامى على كافة الأهل والأخوان فارجو أن تأمر الصبر والسلوان نفسك وجميع الأهل خصوصاً الوالدة الحبيبة كما قال تعالى : ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك صدق الله العظيم ، وأخيراً فإنى فداءً لكتاب الله وسنة رسوله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم .

وفدا في جنات عدن والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . المرسل

• ولدكم المطيع الشهيد الفداء ان شاء الله تعالى .

أحمد بن الشيخ محمد بن الحاج عثمان ^(٢) .

(١) سورة البقرة - آية : ١٥٥ - ١٥٧ .

(٢) ولد الشيخ أحمد عام ١٩٣٥ الميلادى في اليوم الثانى عشر من

ربيع الأول في المنطقة الشمالية الشرقية من الصومال ، وكان أول مولود

لأبيه " الشيخ محمد " وولد بعده أربعة من الذكور وأنثى واحدة ،

وتعلم القرآن على يد والده وبعد ذلك انتقل والده الى مدينة

" عينبو " حتى يتمكن من تعليم اولاده في الحضر ، ويوصى كان ابنه

الأكبر أحمد في الرابعة عشر من عمره ، وكان ينوب والده في تصريف

شئون العائلة عند غيابه وهو بهذا السن المبكر .

وقد تعلم العلوم الاسلامية المختلفة على يد والده حتى وصل منها

الى مرحلة متقدمة وكان ينشد الشعر باللغة العربية ، وكان موهوباً

ومحبوباً لدى الناس ، وخاصة في مدينة عينبو التي كان يتولى أمورها

الدينية عند غياب والده ، وقد أقام فيها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم =

.....
 وحلقة لتدريس العلوم الاسلامية على الطريقة القديمة المشهورة فى بلاد الصومال حتى الآن .

ولقد تزوج الشيخ رحمه الله عام ١٩٦٤ الهلادى وهو فى التاسعة والعشرين من عمره وورثه الله ستة من الاولاد ابنتين وأربع من البنات وأصبح زعيمًا دينيا مشهورا فى شمال الصومال ، فجاء الانقلاب وهو فى هذه الطالة وطبق النظام المسكرى المذهب الماركسى على البلاد ، وكان الشيخ أحمد ومعه العلماء المخلصون فى البلاد يدركون الخطر الذى حل على ساحة هذه البلاد من جراء الحركة الشيوعية النشيطة ، وكان يقدم النصيحة لهؤلاء المسكرين ، وقدم الى العاصمة مقديشو بدعوة من اسماعيل على أبوبكر وهو من قادة الانقلاب المسكرين البارزين ، ولزيارة أخيه الموجودين فى العاصمة ابراهيم ، وعلى فاعلنت الثورة القانون الاجرامى وهو موجود فى العاصمة ، وبعد اعلان قانون الاسرة وما صاحبه من استهتار على الشريعة تأثر الشيخ تأثرا بالغا وفى صبيحة يوم الجمعة الذى تكلم فيه الشيخ كما أخبرنا سمع أحد الشيوخ الكبار يتكلم فى المسجد بكلام هزيل فماتب وكان معه أخوه الأصغر فقال له : لماذا تماتبه ، فقال المؤمن القسوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وحاول أخوه ان يهدأه ولكن الشيخ كان مصمما وعزم أن يفند الباطل وأن يشرح بطلانه أمام الجمهور فى المسجد الكبير ، فالقى الخطبة المشهورة فى مسجد عبد القادر وبين بدون خوف من أحد فى سبيل الحق ، فقبض من داخل المسجد الى السجن فنفذ عليه وعلى أصحابه الذين شاركوا فى هذه المحنة حكم الاعدام صباح الخميس الموافق ١١ محرم

.....

اما والده فهو من مواليد سنة ١٩٠٠ م وهو ابن عمه السيد محمد عبدالله حسن الذي جاهد ضد النصارى كما سبق عنه الحديث وكان رجلا عالما حافظا للقرآن وجاهدا في صفوف جيش الدراويش وهو في مقتبل عمره ، وله مواقف محسودة لاطفاء الفتنة بين الناس وكان يمنع اولاده من الالتحاق بمدارس البريطانيين الذين جاءوا لاستعمار البلاد .

وعندما سمع استشهاد ولده الأكبر الشيخ أحمد قال قولته المشهورة التي تدل على قوة الرجل وإيمانه : " ما كنت أظن أن حظه يوصله الى هذه الدرجة درجة الشهادة ولكن هذا من فضل الله عليه " واستبشر بهذا خيرا كثيرا .

هذه الترجمة نقلتها من أخ الشهيد الأصغر الدكتور عبدالله شيخ محمد .

وبعد تنفيذ العملية البشعة بهذه الطريقة ، وبعد الحملات المتتالية في اعتقال العلماء والدعاة والطلاب ، بل في اعتقال كل من تظهر عليه علامة التدين ، بعد هذه الحوادث دخلت البلاد مرحلة بالفئة السوداء ولكن المرحلة لم تكن كلها خسارة على الدعوة أي لم تكن سلبية فأكملها بل كانت هناك نتائج طيبة ترتبت عن اعلان الحكومة بالقوانين المذكورة أولا : كانت الأوضاع في البلاد غامضة الى حد كبير ولم يكن المسلمون يدركون حقيقتها لأن النظام السياسي عمل جاهدا في تبييض وجهه في الخارج باستمرار وكان ينكر أن نظامه يحارب الاسلام والمسلمين ، فهذه الخدعة انكشفت أمام الجميع وعرف القاصي والداني حقيقة ما يجري في الصومال ، ولذلك كل المحاولات التي بذلت الحكومة بعد ارتكاب الجريمة والتي استهدفت تشويه حقيقة الجريمة أو انكارها بسأت بالفشل الذريع ، لأن المجزرة التي راح ضحيتها الشهداء فاقت عن تصور هؤلاء المسلمين الذين كانوا في خارج الصومال ولولاها لم يكن أحد يصدق أن الصومال تحارب الاسلام وتطبق الاشتراكية العلمية في البلاد .

فعلى سبيل المثال لقد ارسلت الحكومة الصومالية وفدا كبيرا الى الدول العربية لشرح الأحداث في الصومال ، وانكار المجازر رغم اعلان اذاعة مقديشو والوسائل الأخرى ، فبعد أن وصل الوفد الى بغداد للاشتراك في المؤتمر الاسلامي ببغداد حاول تغليب الحقائق وانكار كل شيء لكن المجتمعين كانت لديهم حقائق دامغة لا يمكن انكارها كما ورد في المجلات " في مؤتمر علماء المسلمين ببغداد أثيرت قضية قتل علماء المسلمين في الصومال فقد اشترك في المؤتمر وفد صومالي ، ولم تكن لدى الوفد الحاسة الاسلامية التي تمكنه من معرفة مدى السخط الذي عم العالم الاسلامي من جراء اقدام

الحكم الصومالي على الفاء الشريعة الاسلامية وقتل العلماء راح الوفد يمدح
الحكم الثوري ويشرح المجتمعين بأن الاسلام هناك بخير وحاول انكار
المجازر الدسوية .

تصدى للوفد مفتي البلاد اللبنانية الشيخ حسن خالد ، والسيد
يوسف هاشم من الكويت ، والشيخ محمد حسين الذهبي من مصر ، وكانت
مفاجاة مذهلة فقد وقف الشيخ محمد حسين الذهبي وقال معي الدليل
المادى على ان الحكومة الصومالية قد الفت الشريعة الاسلامية وقتلت
علماء المسلمين ثم تلا برقية ارسلها علماء الازهر من الصومال هذا نصها :
١ - ان شريعة الاسلام الفيت ٢ - وان اول مسئول فى الصومال قال
ان نصف القرآن منسوخ ونصفه موضوع

٣ - وان علماء ودعاة مسلمين قد قتلوا بسبب احتجاجهم للقانون .
فهبت الوفد واحيط المؤتمر مزيدا مما يجرى فى الصومال (١)

وعندما جاء هذا الوفد الى المملكة العربية السعودية طولوا انكار ما
ارتكب مدعيا بأن هؤلاء ليسوا من العلماء ، وصورة أنهم متآمرون
على الثورة وأمثال هذه الدعاوى ردت رابطة العالم الاسلامى بهـنـذه
الكلمات " نعم هذه اسماؤهم وعلى المكذبين ان يثبتوا انهم لم يعدموا
نعم هذه اسماؤهم رددتها وكالات الأنباء ، وقالت السلطة الحاكمة
فى الصومال أنهم لم يعدموا ١١١ ثم قالت انهم خارجون على القانون وانهم
يتآمرون على الثورة ، وعلى الذين يطولون تفضية الحقيقة بفضاب الوهم
ان يتأكدوا أن الحقيقة لا يمكن أن تخفى بستر من الضباب ، وهؤلاء هم

(١) المجتمع الكويتيه العدد ٢٣٧ الصادر فى ٧ صفر سنة ١٣٩٥ هـ .

(١)
 سجل الشرف يتحدون الظلم وهم في ركاب الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون
 ثم كتبت أسماء الشهداء والمسجونين ، أما الأزهر فعملت نشاطات حول القضية
 " فقد قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية في اجتماع الطارىء أمر تشكيل
 لجنة من كبار علماء الإسلام لدراسة أحوال المسلمين في ارتيريا والفلبين
 والصومال ، كما طلب المجلس بعض الوثائق والمستندات التي توضح الموقف في
 هذه الدول لإصدار القرارات اللازمة في هذا الشأن وعقدت الجلسة الطارئة
 برئاسة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر والتقى الإمام الأكبر
 أمس مع عبد الله آدم سفير الصومال بالقاهرة وتناول البحث أحوال المسلمين
 في الصومال (٧) " .

فالردود تواتت ونشرت الصحف والمجلات الإسلامية تفاصيل عن المذبحة

وما يجرى في الصومال . وتحت هذا العنوان :

" ماذا بعد الصومال " اوردت مجلة الاعتصام هذه الكلمات :

" قصة أصحاب الأخدود تتكرر في الصومال المسلم الحبيب ضحايا
 الزحف الأحمر توجه بمنف الى علماء المسلمين في وضع النهار ان مأساة الصومال
 لن تكون الأخيرة من نوعها ولن تكون الضربة التي وجهت الى الإسلام بمنف في
 الصومال هي الضربة الأخيرة ، التي توجه الى الإسلام مادام المسلمون قد صاروا
 كما تنهأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غشاء كفضاء السيل ، نحن
 اذا التمسنا عذرا لهذا الشعب المسلم لأنه مغلوب على أمره يحكمه الحسد
 والنار ، وتهده المقاصل والسياط والسجون فكيف نلتصم عذرا للعالم الإسلامي

(١) مجلة رابطة العالم الإسلامي العدد الصادر في ربيع الأول سنة ١٣٩٥ هـ .

(٢) جريدة اخبار اليوم القاهرة عدد الجمعة ٧ / ٢ / ١٩٧٥ م .

هل أصبح العالم الاسلامي طبلا أجوف ، أو أشرا بعد عين ، وهل أصبح أشبه ما يكون بالنعام يكتفى ازا الأحدات أن يضع رؤوسه في الرمال^(١) .

كما ورد في المجلة ذاتها بقلم الدكتور صالح ادم بلو " أهى أتاتوركمة جديدة في الصومال ، وهذا النبأ مشير ومقلق حقاً خصوصاً حين نرسل بينه وبين ما سبقه من تصرفات مريية حدثت منذ حين في الصومال فلعلنا نذكر ان الحكومة الصومالية قد قررت ان تخلو خلسة أتاتوركية فالفت الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية ، ولم نطق من هول المفاجأة حتى فوجئنا بخبر اصدار احكام الاعدام والسجن الطويل الأمد على معارضى قانون مساواة المرأة بالرجل استفلالاً للدين الاسلامي^(٢) .

والكلمة الأخيرة للدكتور وهى استفلالاً للدين الاسلامي هى الستى قالها سياد برى ان هؤلاء العلماء يستغلون الدين فى موقهمم هذا لأنه مع هذا الجرم الذى ارتكبه لا يريد ان يقول انه ضد الاسلام صراحة ، وانها لت عشرات من البرقيات والمقالات التحليلية والاحجاجات الصادرة من مختلف الهيئات الدينية فى العالم الاسلامي مثل الجامعات والجمعيات الدينية فى مختلف انحاء العالم ، والقبت قصائد هامة لرتاء العلماء شرحاً للواقعة الاليمة والاستهتار بالاسلام الذى اصبح الشغل الشاغل للنظام الصومالى وقتئذ ، ولعل اهمسر قصيدة شمريسة فى تلك المناسبة قصيدة الشيخ محمد المجدوب الطويلة والستى القاها فى قاعة المحاضرات فى الجامعة الاسلامية عام ١٣٩٥ هـ بمد المذبحة بايام قليلة ، وهذه فقرات منها .

(١) مجلة الاعتصام العدد السابع محرم سنة ١٣٩٥ هـ .

(٢) نفس المصدر العدد السادس ذى الحجة سنة ١٣٩٤ هـ .

- سحقا لكم من ضوار باسم حكاه ٠٠
 أعد تومذكرا لا حدود حافظه ٠٠
 فحق ان تشركوا في الوزر من سمروا ٠٠
 انسيتم الارض ماشب الطفاه بهما ٠٠
 يا حقه الكفر في الصومال لاسلمت ٠٠
 يا عصبه الفدر جاوزتم بهنيكموا ٠٠
 الم تروا عرشا يروي بدلسولتكم ٠٠
 ام عزكم من حماة الحق انهمو ٠٠
 وانكم في ضمان لانفاه لله ٠٠
 وان اصواتهم مخلوقه ٠٠
 فرحتمو تصلفون لهيتم ٠٠
 ولو عقلم ان بفييتكم ٠٠
 ليس فيكم اخو رشد فيمنحكهم ٠٠
 كم حاقه رام هذا الدين قبلكم ٠٠
 اين الذي مثل اركان الخلاقه في ٠٠
 واين جلال مصر والاولى غمروا ٠٠
 واين من ضلوا الاغرار فاندقموا ٠٠
 طواهمو من طوى الاجيال قبلهمو ٠٠
 وكالوباء غدا تمضون اشرهمو ٠٠
 ومن تصدى لحرب الله خاب ولم ٠٠
 والمؤمنون وان جلت كوارثهم ٠٠
 مستمسكون بحبل الله قد رفضوا ٠٠
- يا صفحه العار في تاريخا الدامى
 بكل ما حلت من هولاه الطامى
 لظاه من كل كفار ونظلام
 على العدى من رزيات وآلام
 كم رحمة الله من قذاع ارحام
 ما اسلف الهنى من خزي واجرام
 الا العداه لقرانى واسلامى
 عزل وليس لهم في الخلق من حامى
 من عون لينين او خنبول او سامى
 ولكم كل المضلات من فن واعلام
 كى ينتهوا بين تعذيب واعدام
 كالأمس لما نزل اضفات أحلام
 بحادثات الليالى بعض المام
 فعاد يمشر بالاقدام والهيام
 فروق من نسل هرتزل وحيام
 ربوعها الخضربالترويع والسام
 لا يبصرون الى تاليه اقزام
 من كل عاد فأموا محصن أوهم
 فى موكب العار بين اللعن والذام
 يفده تدبير ذى حذق واحكام
 فصبرهم أبدا رغم الردى نامى
 خض الجباه لاهواء واصنام

ويساد عاة الهدى عذرا اذا جمدت .٠٠ آماقنا فجفاها دمعها الهامى
 الخلب أكبر من آه يردد هـا .٠٠ قلب ينوء بجرح غير ملتصام
 لكنها محنة الاسلام منذ غدا .٠٠ وكل أعوانه اشباه أيتسام
 لا يملكون بغير الهمن نصرتهم .٠٠ وكان يمزقهم آساد أجسام
 فى كل صقع شهود من فواجهم .٠٠ تروى مآبهم من غير ابهم
 ويحرقون ولا طرف يشبههم .٠٠ كأنهم خشب أو بعض انفسام
 وهان فى الناس شرع الله فهو لفسى .٠٠ يكاد لا يتمدى لفسو تمتسام
 تمضى المعادل فى تدميره ونسو .٠٠ الاسلام ما بين صمان ونوام
 واشجع الخلق فى تلك الملاحم من .٠٠ يصيح فى ظالم .٠٠ لا .٠٠ دون احجام
 وقد رفعت بها اصواتكم غضبها .٠٠ لركم فجاكم كل اكـرام
 وليس كالموت دون الحق من شرف .٠٠ بالنار جاحة أو حد صمصام
 فلتهنئوا بحياة لانظير لها .٠٠ من رحمة الله فى عز وانمصام
 وللجنة سميرود نازلها .٠٠ لو اتخذتم سواء نعمل أقسام
 سبقتونا ونحن اللاحقون وما .٠٠ ندرى غدا نلتقى أم بعد ايام
 لقد كان الاستنكار الشمعى فى الأوساط الاسلامية شديدا حيث
 وجدت الحكومة الصومالية نفسها فى ورطة عميقة ، وأن القضية لم تعد قضية تافهة
 كما صورتها الحكومة فى أول الأمر ، بل تحولت الى قضية عالمية ارتفعت الأصوات
 لاجلها فى معظم البلاد الاسلامية ، وأثيرت فى المؤتمرات الاسلامية والتجمعات
 ولكن الحكومات فى البلاد الاسلامية لم تملن استنكارها وشجبها للحادث
 المؤلم وهذا أمر يؤسف ، لان هذه الدول تتجاهل مثل هذه الأمور الخلية ،
 ويجامل بعضها البعض فى قضايا مصيرية لن تكون آثارها بعيدة عنها فى يوم من
 الأيام والأسر المؤسف هو ان هذه الحكومات عند ما تحسدت قضية تتعلق بحقوق
 الانسان بالمفهوم الأمريكى او الروسى تراها تستنكر بقوة وشجاعة أما ان كان

الأمر يتعلق بالمسلمين الذين لا تطبق عليهم كلمة حقوق الانسان فان هذه الدول لا تهتم به ابداً وأذكر ان تلك الأيام كان عيدي أمين رئيساً أوغندا قد حكم أحد رجال المخابرات الانجليزية بالاعدام وما كان من العالم الا ان وقف ضد هذا الحكم والدول الاسلامية في المقدمة اما احراق العلماء فلا وزن له .

كما قال الشاعر :

ويحرقون ولا طرف يشيهمهم ،
كانهم غشب أو بمض أنصام
ورغم هذا الموقف المخزى الا ان مواقف الدعاة والهيئات الاسلامية ووسائل الاعلام جعلت النظام الصومالي مكشوفاً أمام انظار العالم ، وهذه الصورة الجديدة أفقدت النظام كثيراً من دعوته حججه الباطلة ، بل وضمت في الوضع الحقيقي الذي كان في واقع الأمر ولم تكن الحكومة ترغب في ذلك لأن هذا ليس من مصلحتها على الاطلاق لأنها خسرت في المناورة حتى من الجانب السياسي والاقتصادي وغير ذلك ، وتلك نتيجة مباشرة من نتائج تلك الوقفة البطولية الصامدة التي وقفها الشهداء أمام الطغمان دفاعاً عن دينهم ، وما اروع هذا الموقف لأنه انتصار حقيقي في معركة الحق الذي لا يهزم ومع ان الطرفان غير متكافئين من الناحية المادية ، جماعة عزل ليس لديها سلاح والمقابل تقف الحكومة بكل مالدورها من اسلحة وجيوش تريد قتلهم واخماذ جذوة الايمان وتريد ان تخضعهم للباطل الذي تروج له ولكن شيئاً من هذا لم يحدث فقط استطاعوا قتلهم ولكن سرعان ما شمعت الحكومة بضعفها أمام أصعاب العقيدة ، وسرعان ما أدرك الطاغاة خطأهم وسوء تخطيطهم ، لأن ما كان يخشونه من تزايد اقبال الناس على الدين ورفضهم المبادئ الاشتراكية قد حدث فعلاً وانعكست الآية وتبدلت الأمور بعد ذلك أما النتيجة المباشرة في الداخل فهي كالآتي :

بعد حدوث المذبحة قد استيقظ الشعب من غفلة التي طال أمدها وأدرك ادراكا جازما لخطورة الموقف والمرحلة التي يجتازها ، وعرف الناس ان اسلامهم مهدد من قبل الشيوعية العالمية الفازية والتي تخطط هدم الدين من الأساسى وتحويل هذه الأمة من دينها الخفيف الى الالطاد الماركسى الذى ينكر كل الأديان السماوية والقيم المثلى والاخلاق الفاضلة ، واصبح هذا الشعور منتشرا فى جميع الأوساط وجميع المناطق ابتداء من العاصمة والمدن الكبيرة وانتهاء الى القرى . وانطلاقا من هذا الاحساس العميق وذلك الشعور الفياض اتجه الناس وخاصة الشباب المتعلم الى المساجد والحلقات العلمية ليستمعوا لها ويستفيدوا من العلماء الذين يدرسون التفسير والحديث والفقه رغم قلة الحلقات حيث منعت الحكومة التدريس الا بأذن خاص وخاصة المساجد الكبيرة ، وبمدها بدأ الشباب بالاستفادة من جميع الوسائل الممكنة الموصلة الى فقه الدين ورفع مستواهم التعليمى من هذه الناحية مثل الاشرطة والكتب الاسلامية وخطب الجمعة وغير ذلك من الوسائل المتاحة لديهم فى ظروف البلاد وسهما يكن من تشديد الحكومة وقيودها المفروضة على الدعوة والدعاة فان مسيرة الدعوة لم تتوقف يوما من الايام ، واستمر نشاطها تحت مختلف الظروف المحلية والمنف الموجه ضد الدعوة يفيد أحيانا لأنه ينهه المجتمع ويقنمه بضرورة الدفاع عن المعتقدات لأنه نوع من التمحيص المطلوب والتصقيل السلان للمجتمعات .

وهذه الظاهرة التي اجتاحت البلاد كانت بشاببة رد فعل مباهر عما حدث ، ودفاع عن الاسلام الذى أصبح مهددا ، وتركت الاحداث المؤلمة شيئا من الوعي والصحة لدى طبقات الشعب بصفة عامة ولقد شمعت الحكومة تلك الصحة وذلك الوعي المتنامى لدى الشعب مما أدى الى اعتقالات جديدة وبصورة مستمرة الى يومنا هذا وهذه كانت نتيجة من الوقفة القويصة والاستشهاد الذى حدث لمجموعة من خيرة العلماء فى الصومال . وهناك شىء ، وأخر ظهر بعد قتل العلماء واعتقال الآلاف هذا الشىء هو المقاومة الشعبية ضد الاشتراكية على وجه عام ، فالحكومة فقدت التأييد الشعبى والاحترام ، لأن الشعب أحس ان الحكومة موالية للسدول الاشتراكية الممادية للاسلام وعقيدته التي تريد هدم الاسلام فى الصومال ، ولم يعد الشعب بعد ذلك ينظر الى الحكومة نظرة حكومة ترعى مصالحه ، بالاضافة

الى الالهانات التي توجه الى الخبراء الروسيين والاعتداءات التي حدثت لهمضهم كل هذه الامور كانت حربا غير مسلحة وغير معلنة للعالم الخارجى لأن الصوماليين اقتنموا بأن الهلاك كله جاء من الروس ومن اشتراكته التي ينفذها اعوانه فى البلد .

وفى مجمل القول ان قتل العلماء ومطاردتهم والقاء هم فى غياهب السجون والتشهير بهم والاستهزاء بهم كل هذه الامور لم تستطع اخساد الدعوة الاسلامية ولم تفلح الجهود التي بذلت فى سبيل تحويل البلاد الى حظيرة شيوعية كما تمنى ذلك اقوام بل صرحوا بدون خفاء او خوف من احد ، ولم تتجح جميع الوسائل التي استخدمت لربط البلاد بالروس الى الابد ، هذه المحاولات لم تلبسغ اهدافها كاملة رغم الآثار السيئة والانحرافات المتعددة التي جاءت كتمار لتلك الجهود المركزة ، ولكن الاسلام قائم فى الصومال والدعوة تحبورغم العقبات الكثيرة امامها ، ولم تمت كما كان أعداء الاسلام يتوقعون لها فالجواز التي حدثت أصبحت وقوداً ينيق الطريق للسالكين ويهدد حولهم الظلمات ، ودم الشهداء الذى أريق ظلما وعدوانا ، واستخفافا بشأنهم ، واستهتارا بكرامتهم هدا الدم أصبح مشملا ونورا للمؤمنين ولعنة أبدية وهوانا فى الدنيا قبل الآخرة على من أراقه بنير حرق ، وكانت هذه المجازر نصرا للأمة وللإسلام وخسارة عاجلة وأجلة للذين خلطوا لها ونفذوها ، حتى تمنى كبيرهم احياء الشهداء قائلا : " لو أستطيع إحيائهم لأحييتهم اليوم " وهذا دليل على ان مرتكبي الجريمة أدركوا عواقبها فى الدنيا بل وهم فى حكمهم .

ان جهاد العلماء وكفاحهم ليس مقتصر على ما ذكرته من جوانب معدودة ولكن هذه نبذة قصيرة أخذتها كأمثلة على مختلف النشاطات التي قام بها العلماء ويقومون فى العصر الحديث ، ورغم اننى لا أدعى أن علماء الصومال قاموا بكل الواجبات التي انيطت بهم باحسن وجه وأكمله ، الا أنهم قاموا بكثير مسن

الأمر المهمة وفادوا مسيرة الأمة في أوقات الأزمات التي واجهت الأمة مصاعب جمّة ، ومصائب مذهلة حيث كان العلماء هم الذين يحملون لواء الجهاد في سبيل الله عندما كان هذا الأمر في أمس الحاجة إليه ، وعندما كان المستعمرون قد غزوا على البلاد ولم يكن هناك غيرهم في ساحة القتال أما التعليم فوحدتهم هم الذين تولوا نشر التعليم لان الصومال لم تعرف تعليما غير اسلامي قبل الغزو الاوروبي على بلادها ، ولذلك كان التعليم في ايديهم سواء دينيه او لغوية ، اما الدور الذي قاموا به في تهديّة الفتن بين القبائل المتطاربة فكان ايجابيا وهكذا كان العلماء هم الطليعة في الشؤون الاجتماعية والمصالح العامة والجهاد والوقوف أمام الباطل بصورة دائمة ، وهكذا كانوا عبر التاريخ فاتحين ومجددين ونشروا لهذا الدين بين القبائل الوثنية المجاورة للصومال .

وعندما حدثت الهجمة الكبرى التي دبرتها الشيوعية العالمية لتصفية الاسلام من الصومال كان صوت العلماء هو الذي ارتفع وسمع العالم ماذا يجري هنا وقالوا لا شيوعية في البلد ، حتى راحت قافلة من الشهداء متحدين الطغسيان والطفاة بأبشع صوره وأعتى أشكاله ، فكانت خطوة أنقذت الموقف بقوة الكلمة وصلابة النفوس ، وتوضيح الحق الواضح أمام قوة متفطرسة ، حتى انتصروا بشباتهم الى آخر لحظة ، فهذه مواقف تستحق الثناء وتستحق أن تكون نبراسا وعلائم هدى للآخرين لأنها حلقة تكمل الحلقات الطويلة التي تشير الى التضحيات الكبيرة التي بذلها رجال العقيدة الاسلامية منذ فجر الاسلام الى أيامنا هذه وتلك صور رائحة في احياء الاسلام جيلا بعد جيل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهي التي تتكسر اسنان الباطل بصلابتها وتنهزم جيوش البهس في ساحتها وهي دليل الايمان وقوته الذي لا يثبت بالاقوال المجردة والادعاءات المتكررة قال الله تعالى : ((ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين))^(١) وقال تعالى : ((وليبتلن الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور))^(٢) .

(١) سورة المنكبات : الآية : ٢ - ٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية : ١٥٤ .

الفصل الثاني

((رسالة المسجد في الصومال))

رسالة المسجد في الصومال

المسجد في الاسلام له أهمية قصوى من الناحية الروحية حيث انه المكان الطبيعي في تأدية الصلوات الخمسة التي هي الركن الثاني بعد التوحيد ، ثم هناك عبادات — أخرى لاتصح الا في المسجد مثل الاعتكاف ، وله أهمية قصوى أيضا من الناحية الاجتماعية لأنه ملتقى عام للمسلمين يجتمعون فيه باستمرار ويرى بعضهم بعضا في الاسبوع مرة على أقل تقدير ، وخاصة يحدث هذا بين أهل القرية الواحدة أو الحى الواحد في المدينة مما يجعل المسلمين يعرف بعضهم ويسأل الأخر أخاه المسلم اذا افتقده من بين المسلمين ، ثم ان المسجد أول مكان ينزل فيه الضيف لأنه بيت لا يخص لأحد من المسلمين ، وأما أهمية الدور الذي يقوم المسجد بنشر التعليم لهو دور عظيم لا يدانيه محل آخر في ذلك أبدا فننفذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسجد يخرج أفواجا من الأعلام — فاتوا في كل علم ، وتركوا للأجيال بعدهم ذخرا عظيما وثروة هائلة في مختلف الفنون ، ومازال المسجد يؤدي دورا مهما حتى يومنا هذا في مختلف أقطار العالم الاسلامي وغير الاسلامي ولذلك اعطى الاسلام المسجد عناية كبيرة وأهمية خاصة ، فالرسول عليه الصلاة والسلام عندما قدم الى المدينة المنورة كان أول عمل عمله بناء المسجد في قباء كما قال ابن اسحاق :

((فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء في عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من وضع حجرا في قبلته ، ثم جاء أبو بكر فوضعه الى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ الناس في الهنيان وكان مسجد قباء أول مسجد بني في الاسلام))^(١) وبعد خروجه من قباء

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤٩٤/١ ط ٠ الثانية ٠

أما أشكال البناء فهي تميل الى البساطة وقلة الزخارف في المساجد فلا يلاحظ في بناء أغلب المساجد أشكالا هندسية رائعة ، كما لا يلاحظ أية زخارف في بنائها ، فهي ابنية متواضعة لاتبدو فيها الفنون المعمارية الموجودة في تركيا أو في مصر فالابنية ظلية من القباب كما أن المشذنة غير طويلة في أغلب المساجد كما ان المساجد تفتقر الى الفرش في معظم الحالات ، وهناك مرافق أخرى ناقصة عن المساجد في الصومال بصورة عامة ومن بينها دورات المياه التي لاوجود لها في كثير من المساجد الكبيرة وخاصة ان هذه الظاهرة تكاد تعم المساجد في القرى وكثير من المساجد الموجودة في المدن ، كما أن معظم المساجد تحتاج الى صنابير يتوضأ الناس منها ، لأن طريقة الوضوء كالأتى هناك حوض كبير مصنوع في فناء المسجد ، يملأ هذا الحوض ماء ويتوضأون منه كل واحد منهم يصفى يديه ويكسرة المتوضئين ويكثره المياه التي تعود الى الحوض من اعضاء الناس تتوسخ مياه الحوض ، وهي طريقة بعيدة عن النظافة ، ولذلك بدأت هذه الطريقة تتغير في المساجد الجديدة حيث جهزت بالصنابير للوضوء وهي أفضل بشكل عام وأكثر اطمئنانا للمصلين الذين يأتون الى المساجد ومع هذه البساطة المتناهية تقوم المساجد في الصومال دور المدارس والجامعات حتى الآن ، فبعد انتهاء مرحلة تحفيظ القرآن يتوجه الى المساجد آلاف من طلاب العلم مقبلين على مختلف الفنون الدينية واللفوية ، و اذا لم يجد الطلاب في مكانهم ما يشبع رغباتهم العلمية فانهم يسافرون عادة الى المناطق الأخرى التي تتوفر فيها الحلقات العلمية وتدريسيها ، هؤلاء الطلاب يتوجهون الى المساجد وينتقلون بين المساجد وبين المدن ويتعلمون ما يرغبون من فنون كل في رغبته وفي الفن الذي يحتاج الى تعلمه ، ولعل الواحد يقضى فترة طويلة جدا في المساجد حتى يتخرج منها عالما فاضلا يستطيع تدريس هذه الفنون وتعليمها ونشرها بين الناس ، ويعتمدون

فى نفقاتهم على الأهالى لان طلاب المساجد أكثر الناس احتراماً وتقديراً بين
 الناس لأنهم يعتقدون ان هؤلاء الطلاب يطلبون العلم ابتغاء مرضاة الله
 سبحانه وتعالى وليس عندهم غرض آخر وهذا الأمر يفرضهم بتحمل
 نفقات طلاب المساجد بكل الثقة والارتياح ، ورغم أن المساجد لم تكن تخضع
 لإدارة تنسيق شؤونها وتنظيم تعليمها إلا ان التعاون بين المشايخ والطلاب
 وبين أهل القرية أو المدن جعل أمر التعليم فى المساجد أكثر سهولة وروعة
 لان ذلك يسهل الطريق . لانتشار المعلم ، والمادة أن تكون فى المسجد
 الواحد عدة حلقات يتولى كل حلقة شيخ من الشيوخ المعروفين ويدرس
 كل شيخ كتاباً من الفقه أو التفسير أو الحديث أو النحو أو غير ذلك من
 الفن الذى اشتهر به بين زملائه ، وأكثر الأوقات لهذه الدراسة فهى
 عقب صلاة الصبح وعقب صلاة العصر ، وعقب صلاة المغرب ، والطلبة الذين
 يقيمون فى المسجد الواحد لا يتخلفون عن هذه الدروس فى أغلب الأحيان
 فهم يستمعون من جميع المشايخ ويستفيدون مما لديهم ، وبعد انتهاء
 الدرس يخرج الشيخ من المسجد ويبدأ الطلاب قراءة الدرس ويتولى إعادة
 الدرس اعرفهم به ويستمع الآخرون كما استمعوا لدرس الشيخ ثم يسأل
 بعضهم بعضاً بالمسائل الدقيقة التى تصعب عليهم ، واذا عجزوا عن فهم
 أية مسألة فانهم يمرضون على الشيخ فى وقت غير وقت الدرس حياء واحتراماً
 وخوفاً من احراج الشيخ أمام الطلاب ، ويرون ذلك أنه أمر عظيم لا يلبس
 بطلاب العلم ، وهذه هى الطريقة التى تستمر الدروس فى المساجد ، والذى
 يساعد هذا الأمر كون المساجد مفتوحة طول النهار وطول الليل أمام
 طلاب العلم والمصلين والمعتكفين ، ولذلك يستطيع المرء ان يدخل المسجد
 فى أى وقت يشاء ، وهذا الذى جعل المساجد أكثر تمهيراً ونشاطاً ، وليست
 مهمة المساجد قاصرة لفرض أداء الصلوات بل هى مراكز رئيسية

للتعليم بصورة مستمرة ودائمة والدليل على ذلك ان المثقفين الصوماليين الذين تخرجوا من الجامعات الاسلامية وغير الاسلامية احيانا هم طلبة المساجد الذين تعلموا العلوم الاسلامية بواسطة الحلقات العلمية عبر السنوات بل كثير من هؤلاء وصلوا من العلم الى درجة كبيرة لا يصل اليها كثير من الذين تخرجوا من الجامعات لان طلاب المساجد لا ينتقلون من فن الى آخر قبل ان يتقن الفن الأول ويحفظه ، فاذا بدأ أحدهم تعلم علم النحو فانه يواصل هذا الأمر حتى يتقنه ويتمق فيه ، ولا يشعرون هذا الا بعد حفظ كتاب الألفية لابن مالك وشروحه المختلفه ، وبعد هذا ينتقل الطالب الى فن آخر مثل البلاغة أو الصرف أو الفقه ، ومن هنا ندرك ان دور المساجد لم يكن قاصرا في شئون المباديات ، بل كانت المساجد هي المدارس والجامعات التي تؤهل المجتمع لحمل أمانة هذا الدين وأداء رسالته السماوية التي يحتنقها الصوماليون منذ قرون بعيدة ، والتي تشرفوا بها ، ولم يكونوا قبلها شيئا مذكورا في تاريخ الأمم .

" لقد وجدت المساجد في الصومال قبل أن يعرفوا المدارس وعلى هذا فالمساجد كانت مكانا للتعليم ، تعليم العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وتوحيد ، وتعليم العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، ولا تزال حتى الآن المساجد تضم بين جنباتها طلابا نذروا أنفسهم لتعلم العلم ، ويسمون طلاب المساجد ، عرنا وأكثر المثقفين في الصومال قد درسوا في هذه المساجد ، ولذلك تجد لديهم جميعا قدرا كبيرا من معرفة أحكام الفقه والتفسير والحديث ، وطلاب المساجد موضع احترام الناس وتقديرهم وهم يتبركون بهم ويتنافسون في الانفاق عليهم ومن الجميل الرائع ان ترى كثيرا من المساجد تخرج بهؤلاء الطلاب

من مختلف الأعمار ومعهم كتبهم الدينية والعربية المطبوعة بمصر، ومعهم مصاحف القرآن حيث يقضون نهارهم كله في حفظ القرآن ودراسة هذه الكتب^(١) فطلاب المساجد متفرغون للتعليم ولا يشتغلون في أى عمل آخر لأنهم تركوا أهاليهم وأوطانهم طلبا للمعلم قبل ان يرتبطوا بأى رباط آخر يصرفهم عن هذا الهدف الجليل أو يأخذ جزء من أوقاتهم الثمينة، وهذه الطريقة البعيدة عن المظاهر والخيالية عن التقييدات استطاعت المساجد أن تؤدى دورها الممهود عبر التاريخ، وأن تحفظ للأمة دينها، وأن تعمق المفاهيم الاسلامية فى أوساط المجتمع وان تحفظ اللغة العربية من التدهور والانحطاط.

والمساجد مراكز للإرشاد والتوعية وبواسطتها استطاع العلماء أن يلقوا مواعظهم الدينية وتوجيهاتهم الترسوية، تلك التوجيهات التى لا تنقطع، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينطلق من المساجد الى كل بيت من بيوت المجتمع، لأن كل عالم كان اذا رأى منكرا فى الشارع يقوم عقب احدى الصلوات فيذكر المنكر وموقف الشريعة منه ويحذر الناس من ارتكابه، وهى الطريقة النبوية لمحاربة الفساد اذا لم تكن هناك سلطة تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالمساجد كانت ومازالت حصونا تحمى الاسلام ضد الهجمات الشرسة الهادفة الى اضعاف الاسلام فى الصومال او ابعاده عنها لأنها الامكنة الوحيدة التى يمكن أن يلتقى فيها المسلمون بلا تكليف أو مشقة بل يجتمعون باختيارهم مؤدين عبادة الله وفرائض الصلوات فى كل يوم خمس مرات، بالاضافة الى يوم الجمعة الذى تجتمع فيه أعداد كبيرة من الصليين.

(١) الشيخ عبد الرحمن النجار - الاسلام فى الصومال ص ٨٥ ط ١٩٧٣م

وإذا طرأ منكر ما فإن الرد يأتي من داخل المساجد ونذكر بعض

الأمثلة التي تشهد لهذا الأمر .

١ - عندما ظهرت بوادر حركة البهائية في الصومال كان العلماء يحركون الجمهور من داخل المساجد لمطالبة هذه الدعوة الهدامة كما يذكر الشيخ عبد الرحمن النجار " ومن أثر المساجد في الحفاظ على الشريعة الاسلامية ما شاهدته من مواقف علمائهم وطلاب مساجدهم لمواجهة دعوة مسمومة ابتدأت تنفث سمومها في العاصمة وهي الدعوة البهائية وكان ذلك عام ١٩٥٧ م ، لقد تحرك العلماء في المساجد ، ونبهوا الجماهير الى خلوصها على الاسلام ، فاحج الجميع عليها وعلى القائمين بها وقضى عليها في نفس العام " (١) ، أما الخطب الملتهبة التي كانت تنطلق من المساجد لمطالبة التبشير والاستعمار بشكل عام فهي أكثر من أن تحصى ، ولا غرابة في ذلك لان المساجد هي المنابر الوحيدة التي وقفت ضد الباطل بشتى انواعه واشكاله .

٢ - وفي عام ١٩٦٠م أشيع ان وفدا من اسرائيل سيحضر الى مقديشو ضمن الوفود التي ستحضر للتهنئة باستقلال البلاد ، وانتشر الخبر في سائر جهات الصومال انتشارا النار في الهشيم ، وجاء يوم الجمعة وتحديث العلماء مبينين خطورة هذا الموقف وأعلنوا مقاومتهم لحضور أي يهودى الى بلادهم ، وخرجوا في مظاهرات عارمة وعسكروا حول دار البرلمان وباتوا ليلتهم في الميدان ، وثلوا معتمدين به حتى أذيع بيان رسمى ينفى دعوة اسرائيل للحضور ، فلن يحضر يهودى الى البلاد (٢) .

(١) الشيخ عبد الرحمن النجار - الاسلام في الصومال ص ٨٤ ط ١٩٧٣م

(٢) نفس المصدر ص ٨٦ .

٣ - دور المساجد في رد الهجوم الذي وجه الى الاسلام في المقدم الماضي عندما أنكر الشيوعيون القرآن واستهزأوا به فكان موقفا جديرا بالتقدير لأن العلماء استنأعوا الرد والوقوف أمام الباطل من منابر المساجد ، وكل ما ذكرناه يؤكد دور المسجد في الصومال في الناحية التعليمية والناحية التوجيهية ، وفي حفاظ الدين عن الهجمات الخارجية .

بالإضافة الى ذلك فان المساجد هي مساكن لطلاب العلم يبيتون فيها كما يتعلمون منها وماوى الفقراء الذين لا يمرضون أهل هذا البلد أو ذاك ، وتقضى حاجاتهم من قبل المصلين سواء الضيافة أو آية حاجة أخرى .

فالمساجد منتشرة في البلاد وتؤدي دورها بوجه سليم في النواحي التي سبق الحديث عنها ، ويعتبر مساجد الصومال من أنشط المساجد وأكثرها حركة وحيوية اذا قارنا ها مع كثير من البلدان الاسلامية القريبة من الصومال ويشير أحد الدعاة الى عدد المساجد ونشاطاتها فيقول : " واذما ما أحصيت مساجد الصومال ومقارنتها بعدد السكان فستجدها تمثل أكبر نسبة في العالم الاسلامي بالنسبة لعدد السكان ، وهذا ما يدل على أصالة الفكر الديني عندهم وعمق التدين في قلوبهم وتمتبر بحق طرسة لدعوة الاسلام في منطقة شرق افريقيا كلها " (١) .

هذه حقيقة بارزة يستطيع الزائر المتجول في البلاد أن يدركها ولكن المساجد تفتقر الى اصلاحات لأنه يوجد كثير من المساجد القديمة أصبحت غير صالحة لأداء مهماتها لأنها خربت ووليت كما أن معظم المساجد تحتاج

(١) الشيخ عبد الرحمن النجار - الاسلام في الصومال - ص ٨٦ .

الى فرش ودورات مياه وأماكن للوضوء ، كما أن المساجد فى الصومال لاتملك شيئاً من الأموال ، لان وقف الأموال للمساجد غير شائع لدى المسلمين فى البلاد ، وهذا من أكبر عيوب المساجد ، لأن وجود أوقاف للمساجد يساعد على تسهيل مهمات التصليح والتجديد وبقية الاحتياجات الأخرى التى تلزم للمساجد بين فترة وأخرى ، وهناك بعض الظواهر التى لا تتلاءم والشريعة الإسلامية .

ومن تلك الظواهر : ان الرجال ينضمون النساء من الصلاة فى المساجد وتكثر هذه المأدبة فى القرى والمدن الصغيرة حيث يعتبرون دخول النساء فى المساجد أمراً لا يليق ولا ينبغي ولكن بعض المساجد الجدد شيدت بطريقة تمكن النساء من الصلاة فيها .

وهذه بدعة لا مبرر لها لأنها تخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لاتنضموا نساءكم المساجد اذا استأذنكم اليها))^(١) القائل ((لاتنضموا ايماء الله مساجد الله))^(٢) وفى رواية يقول عليه السلام ((لاتنضموا النساء من الخروج الى المساجد بالليل))^(٣) وهل بقى بعد هذا رأى يمنع النساء من الخروج ورغم هذه النواقص والميوب فان المساجد قامت عبر التاريخ بادوار خلية لدفاع الاسلام وصيانة مكتسباته العديدة فى القرن الافريقى ورد البدع الناتجة عن قلة فهم هذا الدين كما ان المساجد

-
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦١/٤ • المطبعة المصرية ومكتبتها •
 (٢) المرجع السابق ١٦١ / ٤
 (٣) المرجع السابق ١٦٢ / ٤

وقامت بدور بناء في تنمية وعى الأمة وتوجيهها وهذا استطاعت المساجد ان تكشف باستمرار الدسائس والمنكرات والمؤامرات الدنيئة التي تحاك ضد الأمة والاسلام ، وكمن من مؤامرة دبوت في الخفاء أعلنها العلماء من على المنار ، واليهوم وبعد مرور عقود متلاحقة بمساجد الصومال ما زالت المساجد شامخة وما زالت تؤدي واجبها عظيما تجاه الدعوة الاسلامية وحمايتها رغم أن أعداء الاسلام حاولوا تغيير الأوضاع في المساجد والحد من أدوارها الطبيعية ، وتقليل نشاطاتها المتدفقة ومنع الوعظ والارشاد فيها ، ومنع الدراسة الدينية واللفوية ، ومع هذا كله لم تستسلم المساجد بحد بل تحاول جاهدة استرداد حقوقها المشروعة ، وترفض كل الأفكار المستوردة ، والأراء الفريضة على الاسلام ، وليست المحاولات الجديدة جديدة على مساجد الصومال بل مرت بتجارب عديدة ، وخاصة أيام الاستعمار الأوربي الذي حاول جعل المساجد تؤدي مصالحه ، الا أنه لم يتدخل في شئونها الداخلية مثل التدريس والوعظ ، بل كان يرفض النقص الموجه ضده فقط ، والصعوبات كثيرة أمام نشاطات المساجد في الوقت الحالى الا أن ذلك لا يمتبر نهاية حركة المساجد ، بل الواقع فقدت جزءا كبيرا من واثمها السابق راجين من الله ان تتطور الاوضاع لصالح الاسلام والمسلمين حتى تستطيع المساجد القيام بدورها .

الفصل الثالث

((مدارس تحفيظ القرآن " دكسي "))

حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصارى لم أجد لها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضی الله عنه ^(١) وبعد ذلك خافوا ان يختلف الناس في القرآن فقال حذيفة لمثمان " يا أمير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة أن أرسلني اليها بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الطرث بن هشام فنسخوها في المصاحف ^(٢)

ومنذ أن جمع القرآن في مصحف واحد بأمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضی الله عنه - أصبح القرآن محفوظا وأصبح الناس لا يختلفون فيه وتوارثت الاجيال بعد الاجيال وتمهد الجميع في حفظه وغايته وهذا من حفظ الله عز وجل المذكور في القرآن الكريم (انا نحن نزلنا الذكر وانا لسه لحافظون) ^(٣) ورغم المصاحف المنتشرة في أنحاء العالم الاسلامي لم يقتصر الامر بها ولم يعتمد المسلمون عليها فقط ، وانما يبذلون دائما مجهودات كبيرة لحفظ القرآن الكريم في صدورهم حتى لا يتمرش القرآن للضياع والاهمال وهذا الهام من الله لتتحقق المعجزة الكبرى المتمثلة بالآية المذكورة وليبقى القرآن الى أن تقوم الساعة والى أن يرث الله الارض ومن عليها متحديا كل الباطيل المطولة هدمه وتحريفه بين فينة وفينة .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، المجلد التاسع لفتح الباري : ص ١٠ - ١١

(٢) نفس المصدر السابق ص ١١ .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٩

ولذلك استحق القرآن كل هذه الجهود وأكثرها لان بقاء الاممة
الاسلامية مرتبط ببقاء هذا القرآن وحفظه وتوجيه العناية اللازمة لهذا الامر .
والصوماليون جزء من العالم الاسلامي يهتمون لحفظ القرآن الكريم اهتماما كبيرا
ولهم طرق معينة في تعلم القرآن وتعليمه ربما يشتركون مع كثير من البلدان ولكم
يختلفون في طريقتهم مع آخرين .

فكيف يتعلم الطفل الصومالي القرآن الكريم ؟

بعد بلوغ الطفل الى سن التمييز وغالبا ما يكون هذا السن بعد السادسة من
عمره يبدأ التشاور بين الاهالي فيجتمع الابهاء ويتناقشون فيما بينهم ، والخطوة
الاولى في هذا الشأن هو البحث عن حافظ للقرآن الكريم ، وبعد حصوله
يتفقون معه بشأن الطريقة التي تمكنه من تعليم اولادهم بأقصر فترة ممكنة ، ويتفقون
معه أيضا بالاجور التي يتقاضاها منهم ، وبعد أن يتفق الارقان بطريقة لائس
فيها ولا غموض ، يعلن هذا الامر للبقية الذين لم يشتركوا في المفاوضات ويصبح
شائعا بين الناس .

وهذا الاتفاق المبدئي هو السائد في البدو والحضر ، ودالما أن حفظ
القرآن الكريم مشهور ومنتشر في البادية أكثر من المدن في الصومال كلها أفصل
طريقة تعليم القرآن الكريم في البادية .

فبعد ما ذكرناه يجمع الابهاء اولادهم في مكان خاص لهم ويسلمونهم
للحفظ - واللقب المشهور لهذا الشخص هو " المعلم " - بعد تجهيزهم
بالادوات اللازمة لحفظ القرآن الكريم ، والمعلم منذ لحظة الاستلام هو المسئول
الاول في تربية / وتأديبهم ، ولا أحد يستطيع أن يتدخل في شئون الاولاد بعد
ذلك ، وله الحرية المألقة في التأديب ويستطيع أن يضرهم كيفما يشاء والمهم
عند أن يحلمهم ويؤديبهم بالطريقة التي يراها مناسبة بدون أي ضغط أو خوف

من أحد ، لامن الابهاء ولا من الأمهات ، وآلة التعليم من الألواح التى يكون طولها ثلاث أذرع الى أربع أذرع وعرضها ذراع واحد تقريبا ينحتونها من الاشجار الموجودة عندهم ، والاقلام ايضا من الاشجار ينحتونها حتى تلائم مع المطلوب ويصنعونها بطريقة تستطيع أن تكتب بخط عريض وجميل ، وأما المداد فانهم يصنعونها اما من الحليب المذاب مع فحم الامجبار أو من سوائل بعض الاشجار بعد تسويد لونها بالفحم وصبونها فى اناء صغير يسمونه توادا .

ويبدأ المعلم تعليم الاولاد بتلقينهم حروف الهجاء ولهم طريقة خاصة فى ذلك تتمشى مع اللغة الصومالية اللغة العامة فى البلاد حيث ان الحركات مثل الرفع والنصب والجر والجزم لها اسماء تعادلها ترجمت منذ مدة ، ويستمر الاطفال فى تعلم الكتابة العربية قبل بدأ القرآن وتتكون هذه الطريقة بمجموعات طويلة من التمارين المتنوعة التى تفتح عقل الأطفال وتسهل سبل التعرف على الكتابة وبعد اكمال هذه التمارين التى لاعلاقة لها بالقرآن يصيدونها مرة أخرى ليتأكد المعلم من مستواهم ، ثم يبدأون كتابة بعض الجمل العربية وبمضمون الأدعية مثل رب يسر ولا تعسر وغيرها وفى أثناء ذلك يعلمهم القراءة السليمة بواسطة مجموعات من الجمل العربية ، ثم يعلمهم قبل كل شىء سورة الفاتحة ثم يعلمهم التشهد حتى يكونوا مستعدين للصلاة وهم صغار لانهم بلغوا الى السن الذى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نأمرهم بالصلاة لانهم فى السنة السابعة ، ولذلك تراهم يصلون وهم فى سن مبكر جدا ، لان المعلم يأمرهم بذلك ..

أما بداية تعليم القرآن بعد الفاتحة فتكون من سورة الناس ثم الفلق ، ثم الاخلاص الى نهاية القرآن الكريم ، اى انهم يبدأون من نهاية القرآن من قصار السور الى بدايته والفرغ من ذلك ، أن ذهن الاطفال يستطيع ان يتحمل

قصار السور وتزيد لهم شوقا لانهم كلما ينتهون من سورة يفرحون وينشطون للتي تليها ، فهم ينتقلون من سورة الى أخرى ، وهى عادة منتشرة فى كثير من الدول الاسلامية ، والاطفال لا يبدأون تعلم سور القرآن الا بعد الالمام بكتابة اللغمة العربية والذي يحتاجونه هو استمرار كتابتها فى السور الاولى تحت مراقبة المعلم ، هكذا يدخلون فى معركة حفظ القرآن الكريم ، ويبدل المعلم قصارى جهده فى الفترة الاولى حتى يتمكن من تعليم الاولاد القراءة الصحيحة والكتابة العربية بالاضافة الى تعليمهم أحكام التجويد ومخارج الحروف ، أما اوقات الدروس فهى فترتان ، فترة تبدأ من السحر أى قبل صلاة الصبح ، والفترة الثانية تبدأ بعد صلاة الظهر مباشرة والاسبوع التعلیمی خمسة أيام ، يبدأ من السبت وينتهى بصباح يوم الخميس ، أما يوم الخميس والجمعة فهما عدالتان اسبوعيتان .

وخلال هذه الايام لايسمح للدالب أن ينشغل بأى عمل آخر مهما كان مهما بل انه متفرغ للدراسة القرآنية أما الخميس والجمعة فله أن يعمل فى أى حقل آخر يرى أبوه مناسبا .

أما طريقة تحضير الدروس فى الفترة الصباحية يستيقظ الدالب قبل صلاة الصبح فيقرأ الدرس السابق الذى كتبه ظهر أمس فيكرر القراءة حتى يحفظه عن ظهر القلب فيقرأه على المعلم بدون أن ينظر الى اللوح فاذا لم يخطئ شيئا من الدرس أذن له المعلم أن ينصرف الى قراءة لوح آخر كتبه قبل أيام فيقرأ هذا الدرس القديم وبعد الحفظ الدقيق يسمعه المعلم غيبا فيحطيه الاذن لازالة هذا الدرس فيفسل اللوح من الدرس القديم ليكتب عليه درسا جديدا ، وبعد أن تجفف الالواح المفصلة بواسطة لهيب النار ، يبدأ الدرس الجديد حيث ان المعلم يقف فى وسط المجموعة الجالسة فى شكل حلقة منتظمة فيقرأ كل دالب آخر كلمة

فى الدرس السابق بعد كتابتها فى أول سطر من الدرس الجديد بصوت مرتفع حتى يسمع المعلم فتتدفق على المعلم سيل من الكلمات القرآنية كلمتين أو ثلاثة ايذانا لبدأ الكتابة الجديدة فيمدى المعلم كل طالب الكلمات التالية لما كتبه من القرآن الكريم ربما تكون جزءاً من الآية المتوسطة أو آية قصيرة حسب ما يراه المعلم مناسباً للطالب فيكتب الطالب ما سمع من معلمه أو يكتب جزءاً مما سمعه وتتواصل عملية الاستملاء والاملاء بهذه الطريقة ، وهى طريقة بديهة تدعو الى الاعجاب الشديد والافتخار لشدة مقدرتهم وقوة حفظهم بالقرآن الكريم لانك ترى صورة بهيجة ، حيث ان المعلم يلتفت يمنة ويسرة ليقذف أعداداً كبيرة من الكلمات القرآنية المتورة الاطراف الى عشرات من الطلاب الذين يستلمون من مختلف سير القرآن الكريم ومع ذلك لا يخطئ فى توزيع المقاطع والكلمات ووضعها فى مكانها من القرآن الكريم ، وتنتهى العملية بهذا الشكل بعد أن يكمل الجميع كتابة الدروس على الالواح ، فيجلس المعلم فيأتى الطلاب بالالواح فيصححها جيماً حتى لا يقرأ الطلاب أى خطأ سواء من ناحية التجويد أو الاعراب أو شكل الكتابة ثم يقرأ لكل طالب حتى يتأكد من لسانه هل هناك أخطاء فى قراءته أم خالية من الأخطاء ويتم الدرس الجديد بهذه الطريقة فيواصل الطلاب قراءة الدرس ويشرق الفجر الجديد وهم تمبوا من القراءة وتكرارها

ويقام صلاة الصبح .

ويواصلون قراءة الدرس الجديد فترة قصيرة بعد صلاة الصبح ، ويمسك الافطار يأخذون الواحهم الى شجرة البيلة قريبة للمنازل فيحملون مراجعة شاملة لجميع الالواح التى تشتمل ما بين ستة دروس الى ثمانية دروس حيث ان كل طالب يملك ما بين ثلاثة الواح الى أربعة الواح وكل جانب من جانبي اللوح يتسع الى عشرة السطر من سطور المصاحف تقريبا رغم أن ذلك يخضع لذكاء الطالب وقدرته

على سرعة الحفظ وعند ارتفاع الشمس في وقت الضحى ينام الطلاب جميعاً دون استثناء وتستغرق فترة النوم ما يقرب من ساعتين قبل الظهر ، والفروض من النوم هو تجديد نشاط الطلاب وحتى لاتتراكم الدروس القرآنية في اذهانهم ويتسبب لهم الملل والفتور . بدون فترات تتخلل بينها ، وبعد صلاة الظهر تبدأ فترة الظهيرة وتستمر حتى قبيل المغرب . وبعد ما يذهب الطلاب الى الغابات لجمع الحطب الذي يستخدم للانارة في الليل ، وبعد المغرب يوقدون النار وترتفع السنة اللهب ويقرأ الطلاب بعض الادعية المتوارثة ، وفي الفترة الليلية ليس فيها درس جديد ، وانما يراجعون الدروس السابقة حتى صلاة المشاء ، وبعد طعام المشاء يرجع الجميع الى المركز ويأتي المعلم أيضاً فتبدأ قراءة القرآن بصورة جماعية وتسمى هذه الطريقة " سبع " يبدأ المعلم قراءة أول آية في سورة من القرآن فيقرأ الذي يليه من الجانب الايمن بآية آخر وتدور الحلقة حتى تنتهي الاجزاء المقررة لقراءتها في تلك الليلة وربما تستمر ساعات طويلة ، فاذا أخطأ أى طالب وعجز عن قراءة الآية تأتبه الضربات من المعلم بدون اعطاء آية فرصة ، وتكون موجمة حتى لايهمل قراءة القرآن فسي ساعات فراغه بالانفراد ، ولهذا الطريقة عيب لان الجميع يقرأون آخر الكلمات من كل آية وربما تكون أحياناً مقطعة لا يحمل معنى لذاته لانه انفصل من الكلمة وهذا مخل لمعاني القرآن وهذه هي الطريقة المشهورة في البلاد ، اما الطريقة الأخرى التي هي قراءة كل فرد مجموعة آيات وانصات الاخرين لقراءته فهذه شب معدومة رغم انها موجودة في بعض الاماكن ولكنها نادرة جداً ، والطلاب غير مسموحين باستعمال المصاحف على الاطلاق خوف الاعتماد عليها ، لان المعلم يعتقد بأن استعمال الطلاب بالمصاحف يضرهم ويقلل فرص الحفظ والانتان ، لذلك يجب الاعتماد على الذاكرة في جميع الحلات حتى لايتعود الطالب باستمالة المصاحف .

والريقة السبع التي تحدثنا عنها هي الطريقة المثلى لدى الصوماليين
 جميعا وهي تظهر مدى حفظ القراء وطلاقة لسانهم ومن الفضائح عندهم أن
 يخطئ الواحد عند السبع وخاصة الذين اشتهروا بلقب المعلم والسبع ليس
 خاصا بالطلاب وانما هو الطريق الطبيعي لمداومة القرآن واتقانه لانه لا يمكن
 حدوثه الا بجماعة من الحفاظ وأي واحد يخطئ فيه ينقص قدره بسرعة بين زملائه
 ويروي أحد شيوخ الازهر مشاهداته حول الموضوع قائلا (ورأيت حلقات قسراء
 القرآن وصورتها كالآتي :

تمتد حلقة واسمة يجلس فيها أكثر من مائتين من حفاظ القرآن وأكثرهم من
 أبناء البادية الذين لم يدخلوا مدرسة ولم يجلسوا الى معلم سوى محفظ القرآن
 وتبدأ التلاوة بواحد من الحلقة يقرأ الآية الاولى من سورة البقرة ، والسدى
 يليه يقرأ الآية الثانية ، والذي يليه يقرأ الآية الثالثة ، وهكذا كل واحد
 يقرأ الآية التي يصل دوره اليها ، ويستمررون هكذا حتى يختتموا القرآن حفظا
 ولقد دخلت احدى هذه الحلقات وشاركتهم هذه القراءة ولم الاحظ لحنا واحدا
 من أي واحد منهم ، بل ان القراءة موجودة تجويدا كاملا ، ولما قرب الدور مني
 أسر صديقي الذي رافقني في هذه الرحلة في أذني وقال مداعبا تنبه يا شيخ
 خشية ان تنسى أو تخطئ ، وأنتم يا مشايخ الازهر مثلنا الاعلى في حفظ القرآن
 وتجويد ، وعشنا معهم ثلاثة أيام ليلها كنهارها عبادة وذكر ، وقراءة القرآن
 في بساطة وأخوة ناكل لحم الابل ونشرب اللبن ولا شئ سوى ذلك ولا ننام
 من الليل الا دقائق) .

أما تعظيم أقارب الاطفال للقرآن والفرحة التي تفمرهم نتيجة اشتغال
 اطفالهم في حفظه أمر لا يقع على بال ، فبعد إكمال الطفل وحفظه جزءا من
 القرآن الكريم يعمل أهل الدالب سوفا وشبمون بقية الاطفال بالطعام بسبب

الفرحة التي ترتبت عن حفظ جزء من القرآن الكريم ، ويدفعون الى المعلم شاة أو قيمتها من الفلوس ، وفي بعض المناطق تحدد هذه الفرحة بالشهور فيعد كل شهرين يعملون عزيمة كبيرة للطلاب والمعلم ويدفعون الى المعلم شاة وقبل أن ينتهي الأولاد من نصف القرآن وخاصة عند سورة العنكبوت للمعلم مطالبة أجره حسب ما اتفق ، ولكنه غالباً لا يدلب ذلك إلا بعد نهاية سورة مريم وتكون الأجرة في البادية إما ناقة أو بقرة .

وبعد أن يتم الولد نصف القرآن الكريم تقيم عائلته حفلة ضخمة تسمى بالفرحة والسعادة الناتجة عن إتمام ولدها نصف القرآن وليست هناك فرحة تماثل تلك في نفوس المائلة ، ويكون هذا اليوم يوماً مشهوداً وفي أغلب الاحوال تذبح العائلة في حفلتها ويهدون ما عليهم من أجرة ، وهكذا يستمر العمل في تحفيظ القرآن حتى يتم النصف الآخر وتختلف المدة التي يستغرق حفظ القرآن لانها خاضعة للظروف التي تعيش فيها العائلة ، والمناطق الأكثر استقراراً يتم الولد حفظ القرآن حوالي سنتين ، أما المناطق الأقل استقراراً والتي يكثر فيها الترحال والتنقلات تمتد الفترة إلى ثلاث سنوات تقريباً ، هذه هي المدة التي يحتاج اليها الوالد في حفظ القرآن الكريم ، وبعد اتمامه بسورة البقرة ينتهي المقدم ويأخذ المعلم نصف أجره الباقي ، وفي بعض المناطق يعقد المعلم حفلة تجتمع فيها عائلات الاولاد فيمتحن الاولاد بقراءة القرآن فيجاء في سور مختلفة من هنا وهناك حتى تلمثن المائلات بمستوى الاولاد ومدى حفظهم واستيعابهم بالقرآن الكريم وبهذه الحفلة وبهذا الامتحان اصبح المعلم قد أدى واجبه بأكمل وجه وأحسنه وعلم القرآن جيلاً يتحمل المسؤولية بعده ويعلم غيره وأصبح الاولاد حفاظاً للقرآن باجازه معلمهم ويمكن لهم أن يقوموا بالدور الذي قام به معلمهم .

والحفاظ الصوماليون لا يحملون أى لقب سواء لقب الحفظ أو المعلم الا بعد تعليم القرآن أو الشروع فى تعليمه ، وفى هذه الحالة يمنحون لهم بلقب المعلم من قبل المجتمع بصورة عفوية ، أما قبل ذلك فلمس لهم أى لقب والمعلمون من أكثر الناس احتراماً فى المجتمع فلمل أحدهم يخرج مات من التلاميذ عبر المقود المتلاحقة فكل هؤلاء يعتقدون أن معلمهم والدهم وإذا احتاج منهم أى شىء فانهم يلبون بأسرع ما يمكن وكثير من هؤلاء يقضون حاجات المعلم بدون ان يطلبها منهم والحفاظ للقرآن محترم بصفة عامة بدرجة أن بعض الناس يعتقدون أنه مثل المصحف ويحظونه الى حد المفالات ومراكز تحفيظ القرآن منتشرة فى المدن والقرى ايضاً ، ولكنها لا تسير بالمراكز الموجودة فى البادية من حيث سرعة الانتاج وجودة الحفظ ، وتربية الا اولاد ، فالملاحظ فى مراكز المدن الكبيرة خاصة أن درجة التحفيظ أصبحت رديئة جداً وبليئة ولعل الاسباب التى أدت الى هذا الوضع فى المدن ما يأتى :

١- التشتت الذهنى للتلميذ لان العائلة ترسل ولدها الى مدرسة تحفيظ القرآن - والى المدرسة النظامية فى آن واحد قبل أن يتقن الولد قراءة القرآن والكتابة العربية ما يجعله موزعاً بين هذه وتلك .

٢- ان اهتمام المعلم فى المدن أصبح أقل ما ينبغى وقد يكون له ارتباطات أخرى تشغله عن مهمة تحفيظ القرآن واعطاء المنايا الكاملة لها .

٣- هبوط احترام الاهالى للمعلم وعدم اعدائه القدر اللازم من التقدير سواء من الناحية المادية او المعنوية .

٤- من العوامل التى لعبت دوراً سيئاً فى الامر المضايقات الجديدة التى فرضت الحكومة على نظام تعليم القرآن تحت برنامج تجميل المدن الذى أدى الى هدم عشرات من المراكز القرآنية بحجة رداة منظرها ، وتمهدت

الحكومة ببنائها من جديد بشكل يتناسب مع القرآن ولكن لم يحدث شيء بعد الهدم مما أثر المراكز تأثروا سلبيا وفي صدر الحديث عن القرآن الكريم وانتشاره في الصومال يجب علينا أن نذكر جانبها قاتما من جوانب القضية ، وهذا أمر مؤسف للغاية وهو ان العناية الكبرى في هذا المجال تكاد تنحصر بين الذكور دون الاناث ، فالمعائلة تشعر ضرورة تعليم الذكور من اولادها وتبذل كل ما في وسعها لتحقيق هذا الغرض ، ولكنها لا تشعر هذا ازاء البنات مطلقا .

بل ان البنات لبنات يوضعن في المكان المناسب في تعليم الابناء لانهم يقيمون بأعمال المعاملة الزراعية والرعية أو أي عمل آخر تحتاجه المعائلة في الوقت الذي يتعلم الابناء ويتفرون للتعليم ولذلك أغلب البنات جاهلات لا يعرفن كثيرا من القرآن الكريم لان المجتمع يولي البنات منها دون الابن في الرتبة الاجتماعية ولا يحاولون اهتماما ملحوظا في تعليمها وتنشئتها تنشئة اسلامية فهي موجودة لخدمة المعائلة قبل أن ترحل منها الى بيتها الجديد وهذه الماهرة مجتفة في حق البنات بقدر ما هي ظاهرة جاهلية يجب حرقها وازالتها ، واعطاء البنات ما لهن من حقوق (١) .

هذه هي الطريقة المتبعة في حفظ القرآن عبر القرون والأجيال حتى انتشر القرآن الكريم انتشارا واسعا ، وأصبح جزءا لا يتجزأ عن حياة المجتمع اليومية حيث تسمع أصوات الاطفال المرفحة بخناء القرآن الكريم من هنا وهناك وفي وسط المراعي والشاهات والغياض البعيدة عن المدن وزحمتها ، كما تجد عشرات المراكز القرآنية المنتشرة في تلك البقاع في وسط الخيام الواقعة في عمق البادية ومثل ذلك أو قريبا منه تلاحظ في المدن والقرى الصغيرة ، مما

(١) راجع ص ١٧٢ من المعاداة الجاهلية .

جمل الصومال من أكر البلاد الإسلامية حفلا للقرآن الكريم . لان ظاهرة
حفلا القرآن فى البوادي غير موجودة فى كثير من البلدان الإسلامية ، لان
البدو عادة موصوفون بالجهل المطبق والجفاف الشديد .

وحفظ القرآن الكريم لوس بدرجة واحدة فى جميع المناطق ففى بعض
المناطق يغلب عليها الحفظ بدرجة أن الذين ليسوا بحفاظهم النادرة ، وفى
بعض المناطق يبلغ عدد الرجال الذين تعلموا القرآن الى النصف تقريبا ،
ويوجد مناطق أخرى وهى أصغر حجما قليلون هم الذين تعلموا القرآن ،
والنتيجة ان حفظ القرآن والاشتغال به أمر شائع فى الصومال وان نسبة
الحفاظ مرتفعة جدا وتبلغ أكثر من خمسين فى المائة وعندما زار الشيخ صواف
الصومال وتجول فيها أدرك هذه الحقيقة فقال (ان هذا الشعب رغم كل
المحاولات ممتاز أعظم الاعتزاز بمنصره الإسلامى وباللغة التى يفضلها وهى
لغة القرآن ، وأقرب الأمثلة الى ذلك ان ٧٥% من الصوماليين يحفظون
القرآن الكريم عن ظهر قلب يحفظونه بواسطة المصاحف التى يتوارثها الاجيال
جيلا بعد جيل وبواسطة الألواح الكبيرة التى يكتبها المعلم لتلميذه فى
الكتائب المنتشرة فى الحواضر وفى البوادي ، ومع البدو الرعاة الرحل بشكل
خاص^(١) .

ان حفظ القرآن الكريم فى وقت مبكر من عمر الاولاد يأتى منه ما يلى :

- ١- تقوم السنة الاولاد وتعليمهم القراءة الصحيحة بواسطة القرآن قبل أن
يشتد عودهم ويتمودوا بندلق اللغات الاعجمية .
- ٢- تعليم الاولاد الكتابة العربية قبل أى شىء آخر .

(١) رحلتى الى الديار الإسلامية ، محمد محمود صواف ص ٣٦١ ، ط الاولى .

٣- استدلّ عليهم القراءة الصحيحة وبالسرعة المدلّوية .

وهذه الامور المذكورة تجمل أغلب المجتمع يمرّفون القراءة والكتابة
وهي أمور ليست بيسيرة في طريق التعليم ، ولا يحتاج الاولاد بمسد ذلك
الا بتعلم المعاني اللغوية تدريجيا .

وما دام هذا العدد الكبير يمرّف اللغة العربية قراءة وكتابة بهذا
السن المبكر فان الصومال لا تحتاج الى لغة اخرى غيرا للغة العربية كما لا
تحتاج الى حروف اخرى غير الحروف العربية ، وانه لمن دواعي الدهشة
والاستغراب ان يفرض على الصومال حروف لاتينية مستمارة من القارة الاوروبية
بحجة الواندية والمصلحة القومية والتطور الاقتصادي وكان الصومال جزأ لا يتجزأ
عن الدول الاوروبية وكان لغة القرآن الكريم التي يمرّفها أغلب الشعب لانهم
لانها لغة اجنبية ، ويبدو بداهة أن الامر لا يعتمدى كونه حربا شعواء يستمر
لهيبها ليشعلها أعداء الاسلام ليحرقوا القرآن الكريم ، ولكن ذلك لن يكون
بانن الله مادام الالف من الصبيان والشباب ، والشيوخ يحفظونه ، ويقراونه
أثناء الليل وأطراف النهار وهم كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها . . فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل .

أما القراءة التي يقرأونها فهم يقرأون قراءة أبي عمرو بن العلاء^(١)

(١) هو زيان بن العلاء التميمي المازني البصري ولد عام ٦٨ ومات عام
١٥٤ هـ امام العربية والاقراء مع الصدق والثقة والزهد ، ليس في
السبعة أكثر شيوخا منه ، توجه مع أبيه لظاهر من الحجاج ، فقرأ
بمكة والمدينة ، وقرأ أيضا بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة ، سمع
أنس بن مالك وغيره ، وقرأ على الحسن البصري وأبي العالبيّة

وهى القراءة الوحيدة المعروفة فى الصومال وخاصة فى البادية يكاد الملمون
أو كثير منهم يجهلون بوجود قراءات أخرى وعندهم مصاحف مخلوطة كتبوها
بأيديهم ويتوارثونها جيلاً بعد جيل وهى مكتوبة بالقراءة المذكورة .

أما كيف دخلت هذه القراءة فى الصومال وأول من أدخلها فهذا ليس
مصرفاً لدى الصوماليين ولكن الأمر المشبه المقطوع أنهم لم يعرفوا قراءة أخرى

(===) وسميد بن جبير ، وطاصم بن ابى النجود وعبدالله بن أبى اسحاق
الحضرمي وابن كثير المكي وعكرمة مولى ابن عباس ، وابن محيى ، ونصر
ابن طاصم ، ومزيد بن القمقاع المدني ، ويحيى بن يصر ، روى القراءة
عنه عرضاً جماعة كثيرة منهم مشهورون جداً مثل أبى زيد الانصارى ، والاصمى
وعيسى بن عمر ، ويحيى اليزيدى ، وسيبويه ، كانت دفاتره ملء بيت الى السقف
مر الحسن البصرى بأبى عمرو ، وحلقته متوافرة ، والناس عكوف ، فقال :
(لا اله الا الله ، كادت العلماء أن يكونوا أرباباً) .

كل عز لم يؤكد بعلم فالى زوال يؤول ، وراجت قراءته بين العلماء ثم بين
الحامة ، وقد شهد ابن الجزرى ان (القراءة التى عليها الناس اليوم " المائة
التاسعة للهجرة " بالشام والحجاز واليمن ومصر هى قراءة أبى عمرو ولا تكاد
تجد أحداً يلقن القرآن الا على حرفه خاصة فى الفرس ، وقد صحت فراسة
شعبة حين قال " انزل ما يقرأ ابو عمرو مما يختار لنفسه فانه سيصير للناس
اسناداً ، وكان يونس بن حبيب يقول " لو قسم علم أبى عمرو وزهد على مائة
انسان لكانوا كلهم علماء كبار زهاداً ، والله لو رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لسره ما هو عليه " .

وله روايان مشهوران .

١- حفص الدورى ، وهو ابن عمر بن عبد العزيز أبو عمر الازدى البغدادى
النحو الضريف ، توفى عام ٢٤٦ هـ امام القراءة وشيخ الناس فى زمانه ، ثقة
ثبت ، كبير ضابط أول من جمع القراءات وقرأ بالسبعة وبالسواد ، قال أبو داود
رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبى عمر الدورى .

عبر التاريخ لعدم أى أثر من القراءات الاخرى حيث لا توجد آية قراءة اخرى
تقريباً .

ومن هنا ندرك أن القرآن الكريم وحفظه بهذه الطريقة والمناية بالشكل
الذى تحدثنا عنه هو الزاد الاساسى للدعوة الاسلامية والمعدة القوية التى
يخوض بها الدعاة ضد الباطل لانه هو الارضية الاولى المسهدة لسير الدعوة
والدعاة ومن هذا المنطلق يعتبر تحفيظ القرآن أول صرح من صروح الدعوة
بل هو الباب الذى يدخل الدعاة منه لينطلقوا بمداه الى مجال الدعوة الواسع،
والى نشر هذا الدين بين الخلق .

وتحفيظ القرآن ركيزة من ركائز الدعوة الاسلامية فى الصومال كما هو فى
المالم الاسلامى ، وعامل من ضمن عدة عوامل التى ساهمت فى مسيرة الدعوة
وما زالت تؤدى دورا حيويا فى هذا المجال ، منها ما ذكرناها مثل رسالة
المسجد وأهميتها ، وجهاد العلماء وما قاموا به فى مختلف الاصعدة لاهياء
هذا الدين واعلاء كلمة الله ، وعلان الجهاد ضد الكفر والكافرين ، وليست
هذه هى العوامل الوحيدة التى ساهمت فى هذا المجال ، بل هناك عوامل

(= =)

٢- السوسى ، هو صالح بن زياد ، أبو شعيب السوسى الرقى مات سنة
٢٦١ هـ ، مقرر ضابط محرر ، ثقة أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابي محمد
اليزيدى قراءة أبى عمرو وقرا على حفص قراءة عاصم وأخذ عنه القراءة جماعة ، مات
وقد قارب السبعين .

هذه الترجمة منقولة عن الامام ابي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة
حجة القراءات ص ٥٤ - ٥٥ ، الطبعة الثالثة .

أخرى مثل وحدة العقيدة لان الصوماليين مسلمون ولا يوجد من بينهم اقلية
غير اسلامية سواء من أهل الكتاب او الطوائف الاخرى ، وهذا من نعم الله
عليهم لان كل الجهود المبذولة من قبل النصارى عبر القرون قد فشلت فشلا
ذريعا ولم يوجد في الصومال دين آخر ، وهذا عامل مهم في وحدتهم وتماسكهم
لان وجود الاقليات عامل شقاء في كثير من الامم وخاصة في مصر الحديث ، ومنها
عدم وجود بعض التقسيمات الموجودة في اطار الفرق الاسلامية مثل السنة
والشيعة فكلهم من أهل السنة ، وحتى من الناحية المذهبية فكلهم شافعيون
ولا وجود لمذهب آخر لان اختلاف الناس في المذاهب اصبح اليوم من عوامـل
التفرق والاختلاف التي تشدد حولها الخصومات والمنازعات المدمرة .

هذه اهم الاسباب التي تماونت على حفظ الاسلام ورفض كل المقائـد
الأخرى الفريية ، ومنذ خمسة قرون كانت الهجمات النصرانية والحروب
الصليبية متتالية منذ الغزو البرتغالي ، الى الغزو الاوربي الشامل ، والى
غزو الشيوعية المالمية كل هذه المحاولات استهدفت ووجهت سمومها الى
صدر الاسلام ولكن غياة الله عز وجل حالت دون ذلك وقبض الله لهذه الامـة
من يدافع عن دينها ويموت في سبيل الله .

وتلاءم الركائز التي استطاعت ان تقف ضد مقاصد الكفار والاطماعهم التي
لم تقطع حتى الان مستعملة بمختلف الوسائل والاماليب والمكائـد ولكن مكرهم
تحطم في كثير من الاحيان وسيتحطم باذن الله تعالى (ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين)^(١)

ورغم هذه الموامل التي تحدثنا عنها في هذا الباب الا اننا نجد نقصا
كبيرا في شئون الدعوة في مصر الحديث حيث ان الدعوة في حاجة ماسة

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ .

الى أساليب جديدة تتمشى مع متطلبات العصر واحتياجاته ، الى أساليب تستطيع المقاومة ضد التيارات الجارفة القادمة من الشرق ومن الغرب المستخدمة بأحداث الأساليب المصرية لان اعتماد الدعوة على الأساليب القديمة فقط التى تحدثنا عنها يمرضها للخطر لان ذلك يحرم الدعوة فى كثير من الأساليب المتحركة والفعالة ويجعلها عاجزة امام الخطأ! الرهيبه التى ينفذها أعداء الدعوة الاسلامية ، وأمام الدعم المادى الهائل والمعونات السخية المتدفقة على الهيئات والافراد القائمين بمحاربة الاسلام ، وليت هذه الظروف خاصة بالصومال بل هى ظروف تشترك الصومال مع غيرها من الامم الاسلامية الاخرى المجاورة لها والتى تحيد القرن الافريقى لان كثيرا من المسلمين فى منطقة الشرقى الافريقى القريبة من القرن الافريقى كانوا يشكلون مع الصوماليين دولة اسلامية واحدة أو اقليما من أقاليم الخلافة الاسلامية يوما من الايام ، ولكن الاستعمار الاوروبى قسمهم ورسم حدودا وهمية فيما بينهم ، ومزقهم شر ممزق وجعلهم كتلا صغيرة لا وزن لها أمام التحديات العالمية التى تعيش المنطقة فى احداثها وتحترق فى ليلها ، هذه التقسيمات التى جزأت المسلمين وقسمتهم الى تلك الكتل الضعيفة هى شر ما أصاب المسلمين فى القرن الافريقى ، لان هذه العوامل غرست فيهم روح التفرقة والتمصب لان المجموعات التى تعيش اليوم تحت لواء جمهورية الصومال تشمرانها جزء مستقل بصورة كاملة ولا تشمر بشئ من الرابطة الاخوى والاخوة الاسلامية التى يفرضها الاسلام بطريقه اللزوم بين المسلمين ، والمجموعات التى تعيش تحت لواء اثيوبيا لاتشمر بالشعور المطلوب نحو اخوانهم المسلمين فى المنطقة لانها تعودت اعطاء ولائها لهذه الدولة وتشربت افكارها وآراءها ولا غرابة فى هذا الامر لان الاجيال الجديدة نشأت فى مفاهيم بعيدة عن الاسلام وبعيدة عن القيم وهى المفاهيم

العلمانية التي تدعو الى الوطنية وعبادة الودان وتقديسه ، والمبالغة فى
حميه وتقديره حتى حل الودان محل الاسلام وأصبح عقيدة تستحق كل التقدير
والثناء ، والحدود التي صنعها الانجليز قبل عدة عقود من الزمان فقط تحولت
اليوم الى معبود حقيقى فى قلوب الجيل الجديد من الشباب .

ولملاك تستغرب أولاً تستغرب عندما ترى قبيلة واحدة فى ديانة واحدة
وهى الديانة الاسلامية بعضها فى الصومال والبعض الاخر فى اثيوبيا وقسم ثالث
فى كينيا وقسم رابع فى جيبوتى وكل قسم يتحس ضمن حدوده الضيقة والمفاهيم
العلمانية ، ورغم ان هذا الامر ليس عاما فى جميع المسلمين الذين يعيشون فى
منطقة القرن الافريقى ، الا ان التمزيق الذى أصابهم فرض عليهم واقعا مؤلما
ومحزنا اصبحوا يخضعون له رغما على ارادتهم لان الاوضاع المالمية تسيطر
لفير صالح المسلمين بل كلها تحول دون توحيدهم واجتماع كلمتهم وكلما لاحت
فى الافق بادرة الوحدة والانسجام هرعت القوة الدولية لمنع هذا الاتحاد
والحيلولة دون حدوثه بصورة جازمة ولئن نجح الدعاة فى حماية الدعوة
باساليبهم التقليدية ومجهوداتهم الفردية عبر القرون وصانوا الدين من
الانحرافات المدمرة والبدع المضللة وطاروا المبادئ الهدامة والمذاهب
الباطلة الفارزة من الامم الكافرة لمحو آثار الدين ، ولئن نجحوا فى غرس
العقيدة وتقويتها ونشر التحاليم الاسلامية فى ربوع القرن الافريقى ، ولئن
نجحوا فى اعلان الجهاد ضد الكافرين قرنا بعد قرن كلما دعت الحاجة وهبت
رياحه ، ولئن قاموا بتأسيس الاف من المساجد والمدارس الدينية فى مختلف
مناطق البلاد وأسسوا مدارس حفظ القرآن حتى انتشر القرآن وحفظه الناس بصورة
مذهلة ، ولئن حققوا كل هذه النجاحات الباهرات ولكنه لاينبغى ان نكتفى بهذا
ونقول ان اسلافنا خدموا لهذا الدين ونضع يدا على يد معجدين لصنائعهم

مفتخرين ببطولاتهم النادرة ، لان ذلك الزمان ولى وأدبر واقبل علينا زمان
 آخر يحمل في طياته اسلحة جديدة ومذهلة في آن واحد يستخدمها الاعداء
 بخبرة ودرايسة واسمة لذلك على الجيل الجديد ان يتحمل مسئولياته مستثمرا
 بثقلها ممتقدا بعظم المسئولية امام الله سبحانه وتعالى ويجب ان يعرف حق
 المصرفة ان حفا. الدين يتطلب تضحيات جسيمة نفسا ومالا وان كل دقيقة تمر عليه
 بدون ان يفكر ويحمل لصالح الاسلام والمسلمين لتكف ثمننا باهظا لان اعداء
 الاسلام ينتهزون الدقائق والثواني ، ولا بد ان يدرك ان الوعظ في المساجد
 وحده لا يكفي في هذه المعركة فالوعظ جزء في المعركة ولكنه يجب استعمال كل
 الاسلحة الحديثة كلما أمكن ذلك ومن بينها المدارس المتطورة والمستشفيات
 والجمعيات الخيرية التي تقدم الخدمات الضرورية للفقراء واصحاب الماهيات
 وعندها فقط يمكن أن تكون المعركة مناسبة وهي معركة البقاء لان اعدائنا يستخدمون
 وسائل حديثة جدا لتضليلنا واغوائنا فعلى الجيل الجديد وخاصة المثقفين منهم
 أن يفكروا في مصير أمتهم بكل الجدارة والجدية وان يعتمدوا عن المتاهسات
 التي تشغلهم عن الأعمال الجادة والمطلوب تنفيذها قهرا فوات
 الاوان وان يرددوا قولة ابي بكر الصديق - رضى الله عنه - بعد ان تولي
 الخلافة وارتد العرب الا المدينة ومكة والطائف (انقصر الدين وأنا حسي)
 وان يرددوا قول الشاعر :

لنستسلمن الصمب حتى نردها • • الى كف الرحمن بمد شتات
 وقد يثاب النصر حيننا على الأنى • • ولكنه رغم التأخر آت •

وبما ان المسلمين في القرن الافريقي مشتتون في الدول المجاورة فانسنى
 أطول أن اكتب عن اوضاع المسلمين في هذه الدول بايجاز حتى لا يطول بنا المقام
 في هذا الصدد •

الباب الثالث

((أحوال المسلمين في الدول المجاورة للصومال))

===

ويتكون من : تمهيد وثلاثة فصول ؛

الفصل الأول :

أوضاع المسلمين في الحبشة .

الفصل الثاني :

أوضاع المسلمين في كينيا .

الفصل الثالث :

أوضاع المسلمين في تنزانيا .

((تمهيد))

وسا أن هذه الدول الواقعة في شرق القارة الافريقية قريبة من القسرن
 الافريقي أو يطلق هذا الاسم على بعضها لكونها مجاورة للصومال ، فأنني
 رأيت أنه من الضروري أن أتناول الحديث عن أحوال المسلمين والصراعات
 القائمة بين المسلمين وغيرهم في هذا العصر ، لأن المسلمين يشتركون جميعا
 مع كثير من العادات والتقاليد ، والصلات الدينية قائمة بينهم بشكل أو بآخر
 قديما وحديثا ، كما أن العوامل الخارجية مثل الاستعمار والتبشير والغزو
 الثقافي تؤثر عليهم بصورة متقاربة ، ويتضح الأمر أكثر فأكثر إذا عرفنا أن
 هذه الحدود الجغرافية التي ابتكرها الأوروبيون أمانا في التقسيم لا يتجاوز
 عمرها بضع عقود من الدهر ، وقبلها كان المسلمون لا يعرفون هذه التقسيمات
 كما هي الأحوال اليوم ، بل انهم في كثير من المصور كانوا ضمن دولة واحدة ،
 فعلى سبيل المثال قبل مجيء الاستعمار كانت مدينة مقديشو وساحل الصومال
 الجنوبي تحت الدولة العمانية والتي اتخذت زنجبار عاصمة لها ، كما أن
 الحبشة والصومال كانتا تحت قيادة اسلامية واحدة في بعض العقود ، لذلك
 نورد شيئا عن أحوال المسلمين مع مراعاة ما يقتضيه الحال من ايجاز .

وبالله التوفيق .

نبذة تاريخية عن الحبشة

وقبل الدخول في الفصل الأول الذي يدور موضوعه حول سكان الحبشة اود أن أذكر هنا نبذة تاريخية موجزة عن شعوب هذه المنطقة بصفة عامة وخاصة علاقتهم بشعوب الجزيرة العربية .
وقد ذكرت كثير من كتب التاريخ ان معظم سكان هذه المنطقة كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية ما قبل التاريخ وما بعدها فاستقروا في القرن الافريقي واختلفوا بغيرهم من السكان الأصليين وكونوا مجتمعات وقبائل مختلفة من حيث اللغات والمناطق التي استقروا فيها ومع بسند التاريخ بهم منذ هجرتهم عن موطنهم الأصلي الجزيرة العربية فلا زالوا يجيئون اليها ويتعلقون بحب أهل الجزيرة العربية وخاصة المسلمون وقد اجساد هذا المعنى صاحب كتب الجغيش المرسي عند ذكره للموجات الغربية التي هاجرت الى الحبشة واثارها حيث قال :

في بلاد الحبشة اليوم ثلاثة اجناس رئيسية ، جنس صريح المروية نسباً ولفة هاجر اليها بعد الفتح الاسلامي وجنس غير صريح المروية ولونه يضرب الى البياض دقيق الانف مستدير الوجه متناسب التقاطيع رقيق الشفاه سبط الشعر معتدل القوام . وجمهرة الباحثين متفقون على انه من أصل الموجات العربية التي انماحت من جنوب الجزيرة الى هذه البلاد قبل الاسلام وقبل الميلاد المسيحي وبعده وهو العنصر الغالب .
وأخر طالك للون وهو الذي يمت الى الجنس الزنجي الذي كان يتسرب الى هذه البلاد من اواسط افريقيه .

(١) ابن المرسي ٢ / ٣٥٢ - ٣٥٣ ط . المطبعة المصرية للطباعة والنشر

بيروت لبنان .

الفصل الأول

((أوضاع السلجق في الجزيرة))

أوضاع المسلمين في الحبشة

—————

تاريخ الحبشة معروف عبر التاريخ ، فمنذ بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتردد ذكرها على ألسنة المسلمين ، وكتب مؤرخيهم ، لأنها أدت أول دفعة وثاني دفعة من المسلمين الذين فروا بديتهم وهاجروا اليها بعد اشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن اسحاق " فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله أو من عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يضمهم مما فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بديتهم ، فكانت أول هجرة كانت في الاسلام حتى قال قائلهم :

(١)

الاسلام حتى قال قائلهم :

يا رايها بلغن عني مفلحة

من كان يرجو بلاغ الله والدين

كل امرئ من عباد الله مضطهد

ببطن مكة مقهور ومفتون

انا وجدنا بلاد الله واسعة

تنجى من الذل والمخزاة والهون

(١) هو : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

فلا تقيموا على ذل الحياة وخز
 ي في السمات وعيب غير مأمون
 انا تهننا رسول الله ، واطرحوا
 قول النبي وعالوا في الموازين
 فاجمل عذابك بالقوم الذين بغوا
 وعائذ بك أن يملو فيطفونني (١)

ومقدوم المهاجرين الى أرض الحبشة أسلم طكها المصروف بالنجاشي ، كما
 تروى لنا السيرة النبوية ما دار بين النجاشي وبين الحبشة عندما اتهموه
 بأنه أسلم * اجتمعت الحبشة فقالوا : انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه
 فأرسل الى جعفر وأصحابه فيها لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم
 فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وان ظفرت فائتوا ، ثم عمد
 الى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،
 ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلته ألقاها الى مريم ثم جمعه
 في قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج الى الحبشة ، وصفوا له ، فقال :
 يا معشر الحبشة ألسن أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم
 سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا
 وزعمت أن عيسى عبده ، قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول
 هو ابن الله ، فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قباكه : هو يشهد

(١) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثمي

السهيلى : الروض الأنف ، الجزء الثاني ص ٦٩ - ٧٠ ، ٧٥ .

أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيئاً ، وإنما يعني ما كتب فرفضوا
وانصرفوا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات النجاشي صلى عليه
واستغفر (١) .

هذه هي الحبشة في أوائل الاسلام ، ولكنها لم يشتهد اسلامها
بمد موت النجاشي ، ولم ينتشر الاسلام فيها بصورة واسعة النطاق ، حيث
احتفظت بمركزها كدولة نصرانية عبر القرون المتلاحقة ، وأغلب ملوكها كانوا
من النصارى .

ولا يهمنا في هذه الصفحات التاريخ السحيق للحبشة وملوكها ،
وإنما المهم في هذا البحث الصراع العنيف بين النصرانية والاسلام
في الحبشة في العصر الحديث ، والصواطل التي ساعدت في هذا
الصراع وموقف المسلمين في داخل الامبراطورية الحبشية في
الوقت الحالي .

الصراع بين الاسلام والنصرانية في الحبشة لم يظهر إلا بمد
مرور فترة طويلة من البهثة النبوية ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى
عدم تأخر بلوغ الدعوة الاسلامية الى الحبشة بالشكل الذي يستطيع أن
يؤثر في المجتمع ويغير الهيئة الأساسية له ، وعاشت النصرانية تحكم الحبشة
بدون منازع ديني ، وكان المسلمون قليلين في المنطقة الجبلية التي
تركز نشاط الكنيسة في الحبشة ، والفترة التي ظهر فيها الصراع الديني

(١) المصدر السابق ج الثاني ص ٩٠ ط ١٣٩٨ هـ .

بين المسلمين والنصارى كانت من أوائل القرن الثالث عشر ، واستمرت حدته
الى أوائل القرن السادس عشر .

بدأ الصراع بعد انتهاء عهد طوك الأيوبيين وارتقاء الملك ،
- يكونو أملاك - عرش الحبشة الذي هو من الأسرة السليمانية (*) ، تلك الأسرة
التي تروى الاساطير أنها تنحدر من نسل سليمان بن داود عليه السلام
ويلقب ملكة سبأ ، ولقد لعبت الكنيسة دورا هاما في انتهاء عهد الأيوبيين
وعملت على تسليم " يكونو أملاك " للعرش وكان على رأس رجال الدين
الأب " تكللا هيما نوت " وان الوثيقة المكتوبة بالعربية تبين أن الملك
يكونو أملاك جهز جيشا من عدة ولايات هزم به الأسرة الأيوبية ، والثابت
في كثير من الروايات أن الكنيسة ورجال الدين كان لهم الفضل الأكبر في
انتصار الطك الجديد ، واستتب الأمر للأسرة السليمانية (١) ، وبعد بدء
العهد الجديد تغيرت الأمور في الحبشة " إذ أن الطوك أخذوا يمززون
مراكزهم في ملكتهم على هضبة الحبشة بالصورة التي تمكنهم من الصمود أمام
المد الاسلامي الذي أخذ يطرق أبوابهم ، وعلى الأخص من سلطنة ايفات
الاسلامية التي زحفت على مقاطعة شوا ، وسرعان ما بدأ الصراع بين العالک
السيحية والاسلامية " (٢) .

ورغم أن الأخبار قليلة بالنسبة لانتشار الاسلام السريع قبل القرن
الثالث عشر الميلادي ، إلا أن الاسلام انتشر منذ مدة طويلة على الأرض

(١) فتحي غيث : الاسلام والحبشة عبر التاريخ ص ١٠٦ ط

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٧ .

(*) وقول ان هذه الأسرة من نسل سليمان عليه السلام كلام لا أساس له ، بل
النسب منه تمكنهم اليهود من التغلغل وسط السلطة اليهودية في
افريقيا ، وهذا ما حدث وخاصة في عهد الامبراطور السابق هيلسلاسي .

المعروفة اليوم بأرض الحبشة زحفا من الشمال ومن الشرق ، حتى وصل إلى أقصى الجنوب ، " ولكن انتشاره كان انتشارا عاما وزحفا طويلا تحته به القائل الاسلامي وتنتشر بانتها في كل مكان دون تنظيم أو تعاون بين منطقة وأخرى ، أو بين جماعة وأخرى ، وكان لاتساع الرقعة وتعذر المواصلات أكبر الأثر في ذلك ، ولم يكن منافسهم المشترك في تلك الفترة من القوة أو الخطورة بحيث يدفعهم إلى الاتصال أو توحيد الجهود ، أو ضم الدويلات الاسلامية المتعددة ، واستعروا في الاتساع حتى شملت مناطقهم أغلب مناطق الحبشة وسكانها في غير ما اتفاق أو تعاون أو حتى سياسة مشتركة ، ولكن تغلغل الاسلام في هذه المناطق كان من القوة بحيث أصبح انتزاعه من قلوب الناس في حكم المستحيل ، وأصبح وجوده حقيقة لا رجعة فيها ، وسارعت القبايل الوثنية إلى اعتناق هذا الدين الناشئ المنتصر ، وقويت بهم شوكة الاسلام ، تمت هذه المصليات في مدى القرون العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، وأصبح الاسلام يتحكم في جميع المناطق الساحلية من صوع إلى مناطق دناكل وبلاد الصومال وقبايل البججه في الشمال وسيداما في الجنوب وسلطنة ايفات في شوا وسلطنة سرر ، وزاد على ذلك أنه بدأ في تهديد الهضبة الجبلية التي تحصنت المطقة المسيحية بها وانعزلت فيها (١) . ومع اتساع انتشار الاسلام بتلك الصورة العذبة كانت الحروب بين المسلمين وبين النصارى متواصلة ، كانت تشتد أحيانا وتلين

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٣ - ٦٤ .

أحيانا ، وهذه الحروب ناهمة من الرغبة الاسلامية الجامعة في نشر الاسلام ،
 وخوف النصارى في الحبشة عن الديانة الجديدة ، ولم يكن هناك نصر حاسم
 لأحد الفريقين حتى القرن السادس عشر عندما تولى قيادة المسلمين فسي
 مدينة هرر ونواحيها شاب مسلم يدعى الامام أحمد بن ابراهيم ، واستطاع
 بقدرة الله أن يهزم النصارى هزيمة منكرة ، ويفتح بلاد الحبشة ، وهدى الله
 بأسبابه خلقا كثيرا حتى أصبح الاسلام منتشرا في ربوع بلاد الحبشة ،
 وصاروا أغلبية كبيرة حتى استنجدت ملكة الحبشة بالدول الأوروبية وخاصة
 أكبر دولة فيها ، وهي البرتغال ، وهرى لنا المؤرخين في قصة الامام^{أحد}
 قائلا : " وكانت الكفرة في زمان سعد الدين وفي زمان من تولى هرر بعده
 وفي زمان (جراد أبون) يفتنون الى بلاد المسلمين ، وقد أخربوها مرارا
 كثيرة حتى انه كان في بعض بلاد المسلمين ناس يسلمون لهم الخراج الى أن
 تولى الامام أحمد ومنهم من ذلك ، وفتح بلادهم وكان في أيامه يجلس
 ويلطف بالمساكين ، ويرحم الصغير ، ويوقر الكبير ، ويحطف على الأرملة
 واليتيم ، وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق الى مكانه ولا تأخذ
 في الله لومة لائم " (١) .

غاض الامام معارك متتالية ضد الامبراطورية النصرانية في الحبشة
 وحقق انتصارات باهرة لم يعرف الصراع من قبل ، فعند ١٥٢٩ الى ١٥٤٠ م
 كانت انتصاراته متصلة ، " وأصبحت الحبشة كلها من ممالك اسلامية ومسيحية

(١) شهاب الدين الشهير بمرب فقيه : تحفة الزمان أو فتوح الحبشة

تحت امره الامام ، وأصبح الاميراطور الحقيقي للبلاد ، وأخذت المسيحية في الانهيار تحت ضغط انتصارات المسلمين المتوالية ، وانتهت آخر مظاهر المقاومة في أقصى الشمال بين أعوام ١٥٣٨ - ١٥٤٠ م ، وعندما بلغ الاميراطور " لينا دنجسل " أقصى حالات اليأس ، وألح عليه الاجهاد والعرض ومات وهو في أسوأ حالات اليأس والهمز (١) .

واستمرت الحال على هذا المنوال حتى جاء الغزو البرتغالي الذي الحبشة لنصرة الاميراطورية التداعية ، واحياء النصرانية من جديد ، وكان لهذا الصل أبلغ الأثر لتغيير مجرى الأمور في الحبشة حيث تجدد الصراع بين القوات البرتغالية والقوات الاسلامية ، مما أعطى النصارى الذين أصبحوا تحت الحكم الاسلامي حماسا ودفاعا جديدا للمقاومة والوقوف على جانب القوات البرتغالية التي جاءت لنجدتهم وطرد الاسلام من بلادهم ، وهمد معارك عنيفة هزم البرتغاليون في مراحلها الأولى تمكن البرتغاليون من قتل الامام ، وانهزم الجيش الاسلامي ، وعادت الاميراطورية تحكّم البلاد المرتفعة من الحبشة ، بينما بقي نفوذ المسلمين في المناطق الشرقية والشمالية ، حيث انطلقوا منها ، ومع عذا أصبح من العسير أن يمسوا الملك النصراني كما كان لأن جماعات هائلة دخلت الاسلام ، واخراجهم منه ليس أمرا سهلا ، بالاضافة الى ما أصاب نفسيات النصارى من جمود وهبوط في الهمة " استطاعت الحبشة بمعونة البرتغاليين أن يخلصوا نيران الفزاة

(١) فتحي غيث : الاسلام والحبشة عبر التاريخ ص ١٥٤ .

وقتل الامام أحمد سنة ١٥٤٣ م ، ومع ذلك استقرت دعائم الاسلام في تلك البلاد ، وان حالة الطلق التي أصابت مرافق الحياة في البقية الباقية من القرن السادس عشر والذي يليه ، قد مكنت الاسلام من البقاء ، فقد كانت الكنائس المتنافسة مشغولة بعضها بالتنازع مع بعض انشغالا لم يمكنها من التفرغ بمدوها المشترك ، وكان هذا الشعور مؤلما حقا حتى بلغ من ألمه أن بعض القواد قد أطن صراحة أن من الخير لهم أن يخضعوا للحاكم المسلم من أن يظلوا على مخالفة البرتغالين .

ويمكن أن يقدر المرء مدى التقدم الذي أحرزه الاسلام في خلال هذه الفترة ما أثبتته رحالة عاش في القرن السابع عشر ان يذكر لنا أن منتحلي هذا الدين كانوا في ذلك الوقت منتبئين في جميع أنحاء بلاد الحبشة ، وأنهم يؤلفون ثلث جميع السكان ، ويلوح أن الاسلام قد كثر في خلال القرن الذي يليه عن طريق اسلام أفراد كانوا يعيشون في عزلة هنا وهناك (١) .

وهذا الجهاد المبارك انتشر الاسلام في كل بقعة من بقاع الحبشة بنسب متفاوتة ، ورغم هزيمة القوات الاسلامية بأيدي الأوربيين ، ومحاولة طوك النصرارى اخراج المسلمين من دينهم عنوة ، وبكل الأساليب ، إلا أن ذلك لم يحقق للنصارى ما أرادوه من رؤية الحبشة نصرانية بحتة .

فاستمرت الأوضاع على ما كانت عليه ، ولكن حركة الاسلام كدعوة تسرى بين الوثنيين لم تتوقف أبدا ، بل استمرت حتى تحولت الأجزاء

(١) سير توماس : الدعوة الى الاسلام ص ١٣٨ - ١٣٩ .

الجنوية الى الدين الاسلامي ، كما أن قبائل كبيرة مثل قبيلة جبالا
اعتنقت الاسلام بأعداد كبيرة بمحض خيارهم .

ويقول بعض النصارى : انهم دخلوا الاسلام مكرهين ، ولكن سير

توماس يقول : " ان عدم سلطة سياسية في أيدي المسلمين يدحض إمكان

القيام بأي نشاط في تحويل الناس الى الاسلام بالقوة ، وفي القرن الثامن

عشر قيل ان معظم الذين في الجنوب يعتقدون الاسلام " (١) ، ولم يكن

تتركز الاسلام في المناطق الجنوبية أو الشرقية^{فقط} ، بل الاسلام ثبت مع الاضطهادات

القاسية التي تلقاها بعد موت الامام أحمد الى يومنا هذا ، ثبت وجوده

في المناطق الشمالية كما يروى السيد بلودن قنصل انجلترا في بلاد الحبشة

من سنة ١٨٤٤ الى ١٨٦٠ م عندما تحدث عن قبائل حباب التي تنتمي الى

فرع التجسرى الواقعة في الشمال الغربي من صوع قال : " انهم اعتنقوا

الاسلام في خلال المائة سنة الأخيرة ، وكلهم ما عدا الجيل الأخير يحملون

أسماء مسيحية ، وقد غيروا ديانتهم لما كان للمسلمين الذين كانوا يتجسرون

معهم من تأثير متصل " (٢) .

فمنذ حلول القرن التاسع عشر تزايد النفوذ الأوروبي في العالم

وكانت الأوضاع تتغير لصالح النصارية في الحبشة لما تلقته من دعم وعون

مادى ومعنوى ، وفي الجانب المقابل لم يكن المسلمون يجدون من الدول

الاسلامية العون اللازم لمواجهة الصليبية الجديدة وقوتها اذا استثنا ما قام

(١) المصدر السابق ص ٣٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٠ .

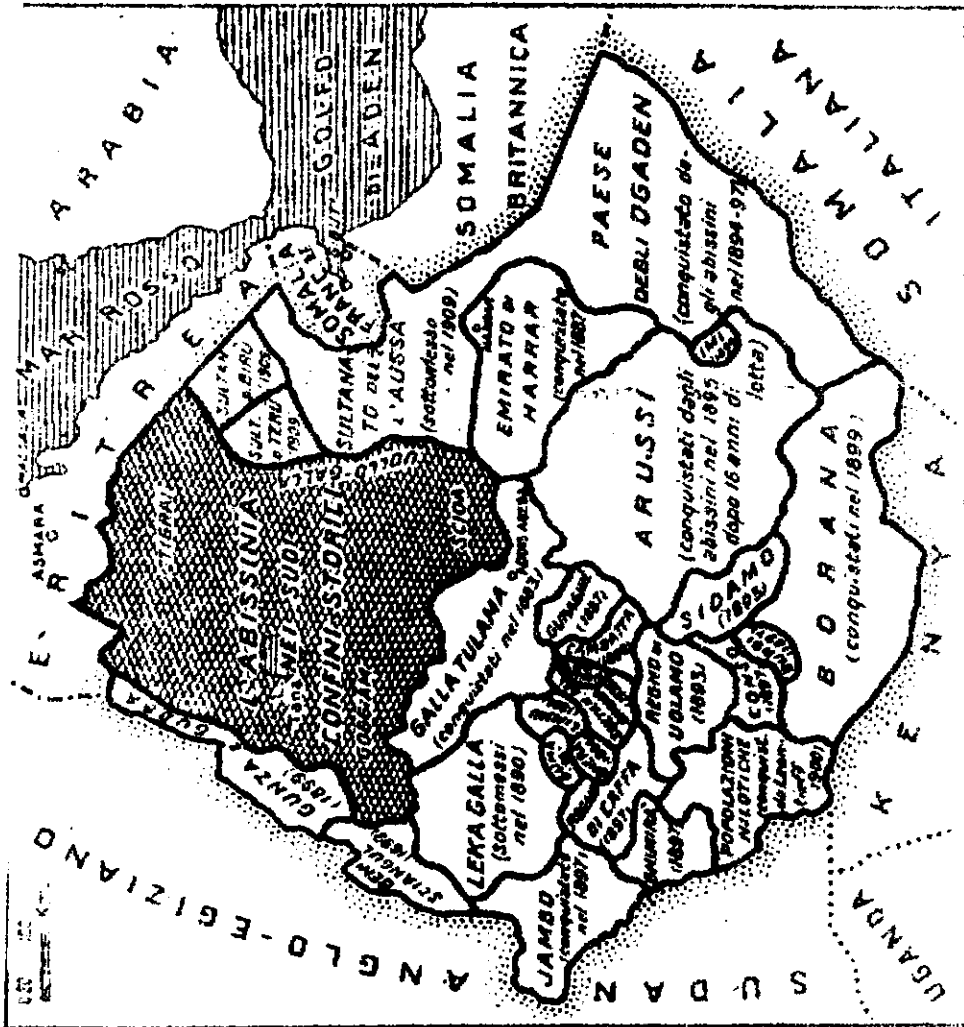
به المصريون في النصف الأخير من القرن التاسع عشر حيث جهزوا حملة عسكرية قوية لنجدة المسلمين في القرن الأفريقي ضد أخطار الحبشة ، ووصلت الحملة الى هرر مرورا بالساحل الصومالي ، ورغم الصاعب إلا أن الحملة تمت بترحيب حار من المسلمين في هرر سنة ١٨٢٥ م * وكان قائد الحملة رؤوف باشا ، وفي سنة ١٨٢٨ م عزل رؤوف باشا وتولى فيها عدة أمراء بعده الى أن قرر المصريون اخلاء المنطقة سنة ١٨٨٤ م وسلموها الى الأمير عهد الله ، فزحف اليها منلك الثاني ملك الحبشة من شوا واستولى عليها في ٢٦ نوفمبر ١٨٨٢ م فحازتها الحبشة بعد ٦٠٠ أو ٧٠٠ سنة من فتحهم الأول * (١) .

كانت مدينة هرر مركزا هاما من الناحية التجارية ، ومن ناحية موقعها القريب من البحر الأحمر ، وأكثر من ذلك كانت مركزا دينيا قياديا للمسلمين منذ فترة طويلة .

ولهذه الأسباب كان ملوك الحبشة يحاولون السيطرة عليها واخضاع أهلها الذين هم أكثر المسلمين ثقافة وحضارة في الحبشة ، فالصوامل التي ساعدت منلك في فتوحاته الكثيرة عديدة ، ولعل أهمها تلك الكميات الهائلة من الأسلحة الحديثة التي حصل عليها من الدول الأوروبية بعد توليته عرش الامبراطورية * وعندما انتصر المهديون على يوحنا وقتلوه في معركة التمة

(١) لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامي ج ٣ ص ١١٩ ط ٤

بتصرف يسير .



خريطة مملكة الحبشة حتى عام 1882 ، قبل أن يوسع الامبراطور ميلىك حاودما
 من طريق الفزو والفتوح ، ويسمى الامبراطورية الاثيوبية ، لتشمل كل مناطق الغالا
 والصومال والدناكل وغير ما من الشعوب .

عام ١٨٨٩ م تولى منسلك العرش الامبراطوري ، وورث معه الجيش الذي كان لدى سلفه يوحنا ، والكميات الضخمة من الأسلحة الحديثة ، والامتداد الذي أهدته بريطانيا اليه ، وتلك التي حصل عليها يوحنا من روسيا وتلك التي حصل عليها من إيطاليا ، وهذه الكميات المتزايدة من الأسلحة تمكن منسلك من تحقيق الانتصارات التي حدثت في عهده ، وتم له اخضاع جميع الأُمراء والسلاطين الذين لا يملكون السلاح^(١) .

وبالإضافة الى الكميات من الأسلحة ، فان الدول الاستعمارية أجبرت القوات المصرية على الانسحاب من عمرا لتتمكن الحبشة من احتلال عمرا وسط نفوذها على المناطق الاسلامية والقضاء على الاسلام .

كانت انجلترا هي التي تولت تدبير العمارة في جلاء المصريين عن منطقة عمرا لأنها أخذت كل المناطق التابعة للحكومة المصرية * ولم تكن الدول تتعارض مع انجلترا في هذه الأجزاء ، بل كانت تبارك حتى تتيح الفرصة للامبراطور ليقضي على الاسلام في تلك^{المنطقة} ، وكانت تلك الدول شديدة الاهتمام بمستقبل النصرانية بالحبشة شديدة القلق من انتشار الاسلام ، وكانت البعثات التبشيرية في الحبشة مؤيدة من حكوماتها ، لذلك كان الهدف مشتركا ، وهو اتاحة الفرصة للامبراطور منسلك لاتمام السيطرة على جميع الأقاليم الاسلامية والعمل على كسر شوكة الاسلام ، ويفضل خطط الجشيين والمستشارين تمكن من تحقيق انتصاراته^(٢) .

(١) فتحي غيث : الاسلام والحبشة عبر التاريخ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

ومنذ تلك الفترة كان نفوذ الدول النصرانية في الحبشة يشتد ويقوى بصورة مطردة ، وكان المسلمون في ضعف وتفكك حيث أصبحوا في قبضة الدول الاستعمارية التي اتفقت مع الحبشة على تفتيتهم وتمزيق أوصالهم وتقسيمهم بين الحبشة والدول المستعمرة ، ولذلك اشتركت الحبشة في مؤتمر بروكسل عام ١٨٩٠ م ، وذلك صار للحبشة حق الحصول على الأسلحة النارية ، فسمحت بريطانيا للملك منليك أن يستورد أسلحة عبر ميناء زيلنج الصومالي ، كما بعثت الطلقة فيكتوريا برسالة الى منليك تشاركه العطف في الصعوبات التي يلاقيها في محاربة أعدائه .

وهذا ازدادت الواردات من الأسلحة والمعدات الحربية على الحبشة بشكل مخيف ، والهدف الأساسي منها هو تدعيم الحركة التوسعية المسيحية التي يقودها منليك في شرق افريقيا والصومال ، وهذه الحركة التوسعية الصليبية مكاسب لنصارى أوروبا فوق كل اعتبار ، كما يقول أكثر المؤرخين الغربيين (١) .

وهذا الأمر ليس بغريب لأن الاستعمار الأوروبي كان يخطط فسي البلاد الاسلامية لاجراء تغييرات أساسية وجذرية فيها ، لأن الاسلام الذي ظل منذ قرون أمرا مزعجا لأوروبا أصبح في قبضتهم يتصرفون كيف يشاءون ، ويتعاملون مع المسلمين بطريقة لا تساعدهم على النهوض ، ولا تمكنهم من القيام بالدفاع عن أنفسهم في الحاضر والمستقبل ، وساعدة أوروبا للحبشة

(١) على أحمد نور : النزاع الصومالي الاثيوبي ص ٦١ ط عام ١٩٧٨ م .

رغم اختلافهم فيما بينهم يؤكد لنا بان الاستعمار الاوروبي صليبي ولا يختلف عن الحروب الصليبية السابقة في شيء ، ولذلك ، ادركت الامبراطورية النصرانية في الحبشة هذا الأمر واخبرت للدول الاوروبية ما تريده من بسط نفوذها على المناطق الاسلامية مثل الصومال والسودان وبقية المناطق الاسلامية التي خضعت بعد ذلك للحبشة بفضل هذه المساعدات ، ولقد اشار منليك هذا الأمر عندما قال : " وفي اتجاه الشرق يدخل ضمن الحدود الاثيوبية اقاليم بوران ، وجالا ، وروسا الى حدود الصومال بما في ذلك اقليم اجادين ، وفي اتجاه الشمال تتضمن الحدود هيراول ، وجدابورسي وعيسى صومال ، وغفار حتى مناجم ساحل البحر الأحمر ، وساحول ان أعيد اقامة الحدود القديمة لاثيوبيا اذا وهبني الله حياة وقوة حتى تصل الى الخرطوم ، لقد ظلت اثيوبيا خلال أربعة عشر قرنا كجزيرة مسيحية في بحر من الوثنية ^(١) " لقد وجد منليك كل عون من الدول النصرانية وحقق كثيرا من أمنياته واحلامه المتعلقة بتكوين امبراطورية اثيوبية تهيمن على البلاد الاسلامية وتحكم قبضتها على المسلمين ووسعت حدودها الى جميع الجهات وخاصة الى الشمال والشرق والجنوب ، واستمر هذا التوسع باشراف من الدول النصرانية وخاصة بريطانيا ، واستقرت حدود الحبشة في نهاية المطاف " عند ما وقعت بريطانيا مع الحبشة معاهدة ١٨٩٧ م ، وتنازلت الأولى للثانية عن كل الاراضي الواقعة في الصومال القريب بين هرر و حدود جمهورية الصومال حاليا ، وكانت بريطانيا بهذا العمل قد اقطعت للحبشة أرضا لم تحلم بها ومثلها ذات يوم وهذه الاتفاقية ضربت بعرض الحائط اتفاقيتي عام ١٨٨٤م وعام ١٨٨٦م اللتين

(١) على أحد نور - النزاع الصومالي الاثيوبي ص ٦١ ط ٠ عام ١٩٧٨ م ٠

عقدتهما مع ممثلى الشعب الصومال والتي نصت على تمهد بريطانى صريح بحماية الشعب الصومالى وصيانة استنلاله والحفاظ على اراضيه^(١) وهذه المؤامرات الاستعمارية النابذة عن الاحقاد النصرانية سيطرت الحبشة على أغلب الاراضى الاسلامية وحددت حدودا بينها وبين الصومال بعد استيلائها على أغلب الاراضى الصومالية حيث تصل حدود الحبشة حاليا فى الاراضى الصومالية الى مسافة لاتبعد عن البحر الأحمر سوى ٢٠٠ فى بعض المناطق ، وأخذت آخر جزء من الاراضى الصومالية والعروسية بعد الحرب العالمية الثانية ، وأما قضية ارتيريا وكيف أصبحت فى يد الامبراطورية الحبشة فلها قصة رهيبة اشتركت فى حياكتها الدول النصرانية وهيئة الأمم المتحدة .

" لقد سيطر الايطاليون على بلاد ارتيريا فى مارس سنة ١٨٨٢م هذه السيطرة تمت تحت اتفاقيات سرية بين الشركة " روبا تينو " الملاحة وبين الحكومة الايطالية تنازلت الشركة بموجبه للدولة الايطالية عن حقوقها المزعومة فى ساحل خليج عصب فى مقابل مبلغ ٤١٧ ألف ليرة ايطالية ، وفى عام ١٨٩٠م أصدر الملك " همبرت الأول " ملك ايطاليا مرسوما ملكيا بتأسيس مستعمرة ارتيريا بعد توحيد الأقاليم المختلفة على البحر الاحمر والمرتفعات التى احتلها الجيش الايطالى واجزاء من المنطقة الغربية حتى أغردات ، ثم حددت حدود ارتيريا بين السودان وارتيريا فى ١٥ ابريل سنة ١٨٩١م أبهم الطرفان مع انجلترا فى روما ، وفى ١٠ يوليو سنة ١٩٠٠م أمضى امبراطور اثيوبيا منليك

(١) على أحمد نور - النزاع الصومالى الاثيوبي ص ٧٣ .

الثانى مع ممثل الايطالى فى اثيوبيا فى اديس أبابا معاهدة بين ايطاليا
 واثيوبيا لتخليط الحدود بين اثيوبيا وارتيريا^(١) .

واستمر الحكم الايطالى فى ارتيريا حتى الحرب العالمية الثانية * وهزيمة
 ايطاليا فى الحرب العالمية الثانية احتلت قوات الحلفاء ارتيريا فى عام ١٩٤١ م
 وأحيلت ادارتها الى بريطانيا التى عينت حكما عسكريا لادارة البلاد وفق أنظمة
 عسكرية حتى انتهت الحرب العالمية الثانية بالقاء القنبلة الذرية على هيروشيما
 فى اليابان واستسلم دول المحور المانيا وايطاليا واليابان فى عام ١٩٤٥ م^(٢) .

وبعد الحرب وهزيمة ايطاليا وسيطرة الادارة البريطانية كانت بريطانيا
 تخطط بتقسيم ارتيريا على أساس دينى ليكون فيها عدة دول صغيرة كما
 أن اثيوبيا وجهت انتقارها الى البلاد الأرتيرية وكونت حزبا سياسيا بين النصارى
 هدفه الأساسى ان يسمى الى ضم ارتيريا الى المملكة الاثيوبية وكونت فرقا
 ارهابية مسلحة تستخدم القوة والعنف لاجبار ارتيريا على قبول الوحدة والاندماج
 مع اثيوبيا وكانت الحكومة الاثيوبية تبذل مجهودات جبارة لاقتناع النصارى للوقوف
 الى جانب اثيوبيا * وقد شهدت لجنة الأمم المتحدة أعمال العنف فى اسمرة
 وجاء فى تقرير وفدى الباكستان وغواتيمالا ما يلى فى فقرة ١٨٥ اقامة
 اللجنة فى اسمرة تناهى الى علم اللجنة بكل اسف وقوع العديد من الاغتيالات
 والمداهمات فى الطرق الرئيسية وجرائم الحرق المتمصدة وغيرها من اعمال العنف
 التى كان ضحاياها أنصار الكتلة الاستقلالية وفى فقرة ١٨٦ - وفى ٢١ فبراير
 سنة ١٩٥٠ م علمت اللجنة بالصراع الدموى الرهيب الذى وقع بين المسلمين والمسيحيين

(١) عثمان صالح سبسى - تاريخ ارتيريا ص ١٦٢ - ١٦٧ - ١٧٩ ط ٠ الثالثة .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٣ .

فى مدينة أسمرة نتيجة القاء قنبلة بالقرب من مركز حزب الاتحاد - التابع لاثيوبيا - على مكب جنائزى ضم رفات أحمد المسلمين المعارضين للاتحاد مع اثيوبيا والذي اغتيل فى يوم سابق بيد عصابات " شفتا " - العميلة لاثيوبيا - ودام هذا الصراع المسلح ثلاث أيام وأسفر عن مقتل ما يزيد عن خمسين شخصا بجانب أعداد كبيرة من الجرحى لقد تفضلت الادارة البريطانية على أعضاء اللجنة بتقارير سرية تتعلق بنشاطات " شفتا " وهذه التقارير التى لا يمكن الاعلان عنها بالنظر الى سيرتها تدل بوضوح على أن معظم هذه المصائب قادمة الى أرتيريا من اثيوبيا وان جرحها يمالجون فى المستشفيات الاثيوبية ^(١) وكانت أرتيريا تعيش فى أيام تمهيسة وفى وسط المؤامرات التى يدبرها النصارى عن طريق الخفية وبواسطة القوة أيضا وأصبحت أرتيريا قضية معقدة .

لقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها الفيدرالى رقم ٣٩٠ / ١ / ٥ فى ١٢ / ٢ / ١٩٥٢ م بارتباط أرتيريا فى اتحاد فيدرالى مع اثيوبيا فى سياق المناقشات التى دارت حول مصير المستعمرات الايطالية السابقة فى افريقيا وهى أرتيريا - ليبيا - الصومال كما أكدت الأمم المتحدة ان الاتحاد الفيدرالى بين أرتيريا واثيوبيا منطلق من مبادئ :

١ - استقلال أرتيريا كوحدة اقليمية وسياسية قائمة بذاتها لها دستور ديمقراطى وحكومة اقليمية .

٢ - ارتباطها فيدراليا مع إقليم اثيوبيا فى الشؤون الخارجية والدفاع ^(١) حدث هذا ارضا لمطامع اثيوبيا وتحقيقا لأهدافها التوسعية الستى لاحد لها ، وكانت هذه خطوة تمهيدية لما حدث بعد ذلك لأن المستعمرين كانوا يرون الحجة بأنها القاعدة النصرانية فى شرق افريقيا والتى يمكن ان تضرب

(١) عثمان صالح سبى - الصراع فى حوض البحر الاحمر عبر التاريخ ص ٥٣ ط ١

الاسلام في هذه المنطقة وتنتشر النصرانية في اقطارها وأمها ، " ففى اعقاب انسحاب القوات البريطانية من أرتيريا دخلت القوات الاثيوبية أرتيريا واحتلت المعسكرات التى أخلاها البريطانيون ولم تكف اثيوبيا بذلك بسبل اعلنت ان تواجد قواتها على اراضى الاتيرية هو تأكيد سادى وملمسوس لسيطرتها التاريخية على أرتيريا^(١) .

ولقد أراد المستعمرون النصارى اذلال الشعب الارتيرى وقهره والقبول لكل ما يخالف ارادته ومصالحه الدينية والوطنية وعانى المشقات منذ دخول الايطاليين ، والبريطانيين ، وتقلت بين مشكلة وأخرى حتى انتهى أمرها الى الاتحاد الفيدرالى مع اثيوبيا رغما على الأنف ، ذلك الاتحاد الذى لم يكن سوى مظلة أو غطاء للسيطرة الاثيوبية على أرتيريا ، وبمعد تحقيق الخطوة الاولى التى أعلنها الامبراطور هيلاسلاسى شرعت الحكومة الاثيوبية فى تنفيذ البقية بصورة تدريجية حتى أصبح الجومهايا قررت الحكومة الاثيوبية ان تضم ارتيريا وتجعلها اقليما من اقاليمها " وفى ١٤ نوفمبر من عام ١٩٦٢م فى الساعة ١١ر٢٠ صباحا تلا رئيس الحكومة وهو فى الوقت نفسه نائب ممثل الامبراطور فى اثيوبيا بيانا مكتوبا على أعضاء الجمعية وقال : ان البيان الذى سأتلوه عليكم هو آخر مسألة فى القضية الارتيرية وليس ثمة ما تستطيعون عمله سوى قبوله على علاته ، ولقد كان الاتحاد باطلا والفيناء واصبضا منذ الآن متحدين تماما مع وطننا الأم ، وفى نفس اليوم أذاع راديو اديس أبابا الفاء الاتحاد وضم أرتيريا الى اثيوبيا ، وانها الولاية ١٤^(٢) .

(١) عثمان صالح سبى - الصراع فى حوض البحر الاحمر عبر التاريخ ص ٥٤ .

(٢) وثائق الأمم المتحدة حول ارتيريا ترجمة جبهة التحرير الارتيرية ص ٥٨٠ .

وهذا الاعلان المشهور برهنت اثيوبيا على أن اطماعها وتوسعاتها مستمرة حتى الآن ، وهذا الاعلان اصبحت ارضها آخر جزء من المناطق الاسلامية التي سيطرت عليها الحبشة ودمرت ما استطاعت تدبيره من ممتلكات ، وأبادت ما أمكن لها ان تبني من سكان وهذه كانت الاطماع القديمة للمسيوك الحبشية عبر التاريخ حيث كانوا يعمرون دائما عن استيائهم الشديد من المسلمين الذين أحاطوهم من جميع الجهات كما قال منليك الثاني في القرن الماضي ان الحبشة منذ أربعة عشر قرنا أصبحت جزيرة وسط بحر من المسلمين ، ومن بين البقاع التي أشار منليك الثاني عند تحديد حدود دولته العاصمة السودانية والاراضي الصومالية ومناطق عروسا وسورن جنوبا ، وهذه الأمور تؤكد لنا ان اطماع الأباطورية متصل الحلقات ، وهذه السيطرة تحقق لها كثير من اهدافها ، وهذه الخطوة أصبح أغلب المسلمين في شرق افريقيا تحت سيطرة الدولة النصرانية ، وخاصة المناطق الواقعة في الشمال الشرقي المتاخمة للبحر الأحمر ، والمناطق الشمالية لهذه الحدود التي تمت بهذه الصورة هي المعروفة بالاراضي الاثيوبية .

أما حقيقتها المعروفة في التاريخ فهي بلاد صغيرة واقعة في المرتفعات الحبشية فيقول شكيب ارسلان في تعريف الحبشة : " اما الحبشة فبلاد من شرقي افريقية يحدها من الشمال النوبة والبحر الأحمر ، ومن الشرق بلاد الدناقيل والصومال ، ومن الجنوب بلاد الفالة ومن الغرب السودان المصري وهي بلاد جبلية ^(١) .

(١) لو شروب استودارد - حاضر العالم الاسلامي ٣ / ٢٨ .

نسبة المسلمين في الحبشة :

لقد انتشر الاسلام في الحبشة منذ مدة طويلة كما ذكرناه باختصار
 وعم ارجاءها منذ القرن السادس عشر الميلادى وكانت الدعوة الاسلامية تسلك
 في طريقين مختلفين طريق الفتوحات المعتمد على الحروب ، وطريق آخر
 ربما هو أفيد وأكثر نجاحا في نشر الاسلام وهو طريق التجارة والجهود
 الفردية الأخرى وهذه الأخيرة هي التي استطاعت ان تشق طريقها
 الى كل الأقاليم الحبشية بعيدة عن الاثار وردد الفعل الناجمة عن
 الهزائم والمخالبه ، حتى كاد الاسلام يقتلع جذور النصرانية في الحبشة في
 بعض المقود لولا الضعف الذي أصاب المسلمين في الأرض كلها وتزايد
 القوة الأوروبية واخضاعها العالم الاسلامى بأسره وتختلف نسب المسلمين في
 المناطق كثرة وقلة ، ولكن ما من اقليم من اقاليم الحبشة الحالية الا وفيه
 مسلمون كما شهد بذلك الأوروبيون الذين عاشوا في الحبشة فترة طويلة
 ليعرفوا أحوالها عن كتب ويدرسوا العلاقات بين النصارى والمسلمين كما
 قال رحالة عاش في القرن السابع عشر : " ان منتحلى الاسلام كانوا في
 ذلك الوقت منبهين في جميع أنحاء الحبشة وأنهم يؤلفون ثلث جميع السكان^(١)"
 وكون المسلمين اكثر ثقافة واعمق حضارة في تلك الفترة جعل الاسلام
 يجتذب انصاره بسهولة ، ويقول ريبيل : " انه كثيرا ما لاحظ في خلال رحلاته
 في بلاد الحبشة أنه عندما يراد شغل منصب من المناصب التي تتطلب أن يكون
 الشخص الذي يشغلها أمينا كل الأمانة موشوقا به تمام الثقة كان اختيارهم
 يقع دائما على شخص مسلم ، وان ماناله مسلموا الحبشة من هذا التفوق الأدبى
 على الأهالى المسيحيين ليفسر لنا الى حد بعيد ما أحرزه الاسلام من تقدم مستمر^(٢)"

(١) سير توماس - الدعوة الى الاسلام ص ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩ .

نصف القرن التاسع عشر الى هذه الايام تخيرت حدود الحبشة وامتدت الى المناطق المذكورة ، واصبحت شحوب اسلامية تحت السيطرة الحبشية ومن بينها اقليم هرر ، وارتييريا ، وغر ، وبالى .

وتختلف التقديرات الواردة حول تعداد المسلمين في الحبشة ولكنها تثبت بصورة لا تترك للقارىء اى شك ان اغلبيية السكان في الحبشة ينتمون الى الاسلام لان المركز الرئيسى للفسرانية في الحبشة هي المرتفعات التى لا تشكل سوى ثلث المساحة الاجمالية فيها ولقد اصدر " كولين ليجوم بالاشترك مع عيئة تحرير مكونة من اربعين احصائيا في شئون افريقيا مرجعا هاما عام ١٩٦١م وقال عن اثيوبيا : " عندما نفكر في اثيوبيا يتجه بنا الفكر الى تلك المناطق التى تقع على اعلى الهضبة وقد يكون السبب في هذا هو ان حكام هذه الدولة ينتمون الى قبيلة امهرة الذين يسكنون تلك المرتفعات علمنا بان تلك المرتفعات تشكل ثلث مساحة البلاد فقط - هذا قبل استيلاء ارتيريا عام ١٩٦٢م - كما انه الاكثر احتمالا ان يكون المسلمون بالحبشة وكذلك الوثنيون اكثر عدداً من المسيحيين ، ولقد حدد الكتاب في الخريطة ص ٤٦٤ ان المسيحيين في اثيوبيا يبلغون ٢١ ٪ من السكان ^(١) .

وهناك تقديرات اخرى في عدد المسيحيين ونذكر " ان الاحباش قسروا نسبة المسيحيين بالحبشة عام ١٩٢١م ب ٤٠ ٪ عندما بدأوا ينادون باستقلال كنيستهم عن الكنيسة المصرية ^(٢) .

(١) فتحى غيث - الاسلام والحبشة عبر التاريخ ص ٣٥٠ .

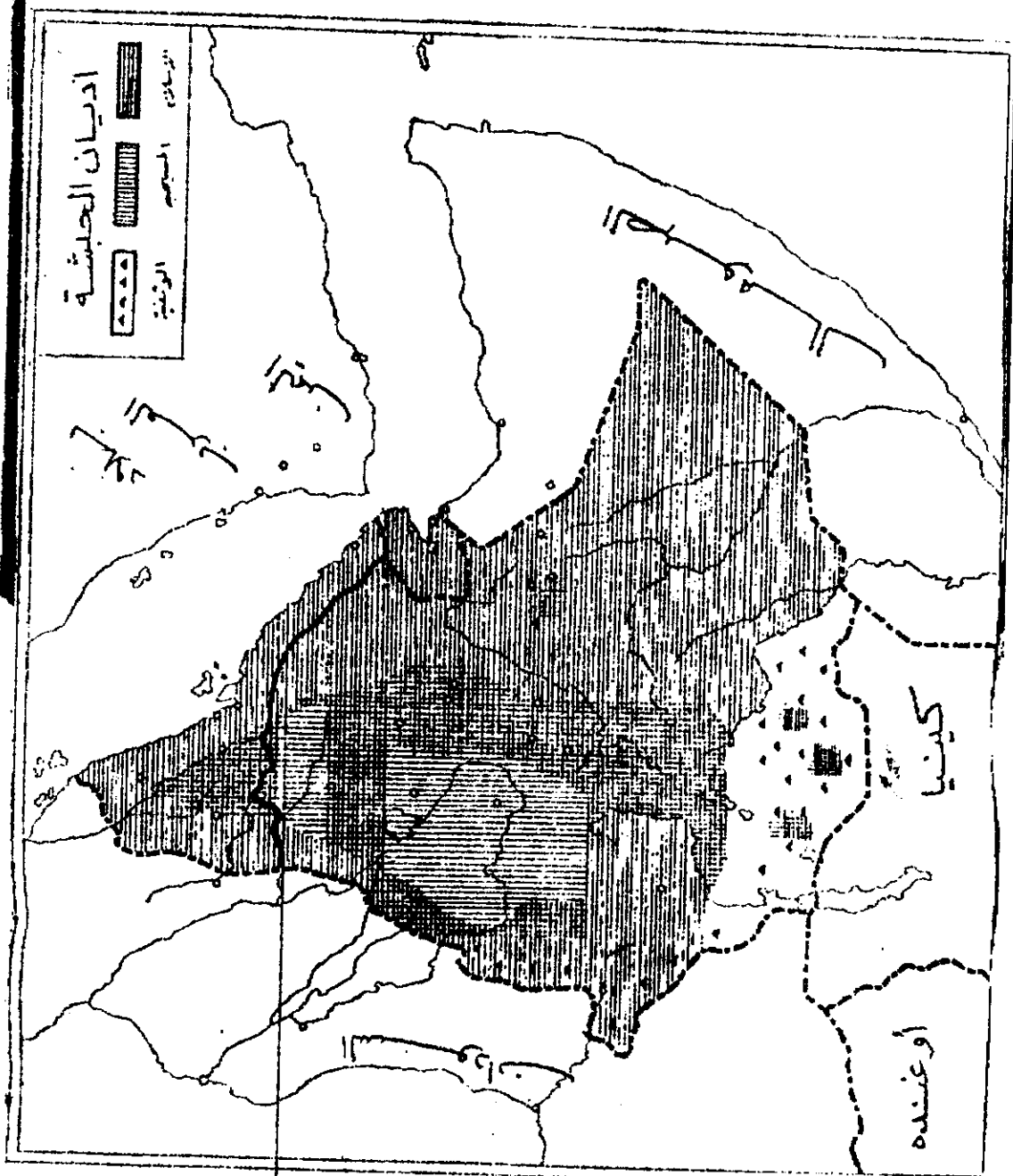
(٢) المصدر السابق ص ٣٥٠ .

١٤

١٥

١٦

١٧



أما نسبة الوثنيين فهي قليلة فقدرا الخبراء ما بين عشر ، واثنى عشر في المائة لأنهم أي الوثنيين يسكنون في الجنوب الغربي ويقدر كثير من الأوروبيين ان المسلمين هم الاكثريه في الحبشة كما مرنا فهي تتراوح بين ٦٠ % و ٧٥ % كما نفهم من تعداد النصارى والوثنيين ، وكما تشير كثير من البيانات الأوروبية بان المسلمين هم الاغلبية كما كتب بعض المسلمين مايلي : " ان الامبراطورية الحبشية تنقسم الى اثنتى عشرة مديرية ماعدا أرتيريا التي تبلغ تعداد سكانها نحو مليونين ونصف وثلاثة ارباعهم مسلمون ، ونسبة المسلمين في أغلب المديريات تشكل ٦٥ % وترتفع نسبتهم فتبلغ ٨٥ % لمديرية وللو ، وجما وكافا ، وجمعيرا . أما مقاطعا هرر وعدا ل فسكانهما ١٠٠ % وتخفض النسبة في بعض المديريات الى ٣٠ % كمديرية شوا ، وجوجام ، وعلى كل حال فان نسبة المسلمين اغلبية كبيرة تشكل في مجموعها ٧٥ % من مجموع سكان الحبشة البالغ عددهم عشرين مليوناً ، وهذه تقديرات عام ١٩٤١ م ^(١) .

أما الآن فتذكر التقديرات ان السكان يبلغون ثلاثين مليوناً وفي جميع ما تقدم من معلومات ندرك أن المسلمين أغلبية في الحبشة أي أنهم أكثر من النصارى والوثنيين مجتمعين ، وأن المناطق التي يسكنونها تبلغ مساحتها ثلثى مساحة البلاد ان لم تكن أكثر حسب الاعترافات التي قالها خبراء نصرانيون ولكن الحقيقة ان مساحة المسلمين أكثر من هذا بكثير وخاصة بعد سيطرة الحبشة على الاراضى الارتيرية والصومالية التي تمت بعد منتصف هذا القرن .

(١) أبو أحمد الانهوسى - الاسلام الجريح في الحبشة ص ١٣٢

ومع هذا فان الاقلية النصرانية تسيطر على الحكم بصورة دائمة وتتحكم بمقاييد الأمور في البلاد ولاحظ للمسلمين في شؤون البلاد ، بل ان الأمر الغريب ان الاسلام غير معترف لدى الحكام باثيوبيا ، بل يعتبر المسلمون أقلية اجنبية يجب التخلص منها بأسرع وقت ممكن ، وليس لهم اى اعتبار وان قلت وهذه كانت عادة ملوك الأمهرة عبر التاريخ •

فالمسلمون في الحبشة أصبحوا على هامش الحياة ولا علاقة لهم بما حدث في بلادهم فهم في عزلة تامة عن الحياة السياسية والاجتماعية ، فالأقلية النصرانية تعتبر نفسها أنها هي المسئولة عن أمور هذا البلد وان لها مطلق التصرف في شؤنه ، بل تحلن بين فترة وأخرى أن المسلمين أقلية هاجروا من الدول العربية لذلك ليسوا من المواطنين فذلك لا تعترف الاسلام كدين موجود في الحبشة حتى الآن والسؤال الذى يستحق الاجابة : ما هى الأسباب وراء سيطرة الاقلية النصرانية على الاغلبية بهذا الشكل الفاضح ؟ !!!

أولا : ان الاقلية النصرانية كانت مدعومة من قبل الدول النصرانية فسي اوروبا عبر القرون المتلاحقة ، وخاصة بعد ظهور الاسلام كقوة مؤثرة في القرن الافريقى قبل ستة قرون •

فعمدما اجتاحت القوات الاسلامية بالحبشة وسيطرت على جميع المناطق ووصلت الى الحدود السودانية وفتحت عاصمة النصرانية أكسوم سارعت أوروبا الى أنقاذ المملكة النصرانية فجردت برتغال حملة عسكرية قوية لنجدتهم ما وهزم المسلمون أمام القوات الاوروبية المستخدمة باحدث الاسلحة في ذلك الزمان فمالت الكفة لصالح النصرانية •

وعند ما تولى عرش الامبراطورية ملك مسلم وهو " لييج ياسو " عام ١٩١٣م بطريقة وراثية وأعلن اسلامه لم تقبل هذا الاجراء الدول

الاوروبية ، بل تأمرت مع أمراء شوا ومطران الكنيسة وتحفزت ضد القوات
المسكينة الفرنسية في جيسوتى ، والانجليزية في بربرة ، والايطالية في مصوع
حتى تم عزله بعد ثلاث سنوات فقط وإذا تتبعتنا كيفية استيلاء النصرانية على بلاد
المسلمين نجد أن الدعم الاوروبى كان وراء كل توسع قامت به الطائفة النصرانية
ومعنى هذا ان الامبراطورية في الحبشة جزء لا يتجزء عن الدول الاوروبية
من الناحية السياسية والدينية ، وانها كيان ترعاه الدول النصرانية لاضعاع
المسلمين ، وآخر أمثلة على ذلك قام المسلمون من الصوماليين والهرريين
والمروسيين في شرق البلاد بهجوم ضد الحبشة عام ١٩٧٧م لأخذ أراضيهم
وقام الأرتيريون بهجوم من الشمال وأخذوا جميع أراضيهم ولكن الدول
الاوروبية والامريكية رفضوا ذلك وساعدوا الحبشة بكل ما تحتاج اليه من جنود
وعتاد حتى كتب الهزيمة للمسلمين مرة أخرى بنفس الطريقة السابقة .

ثانيا : فبعد ان تمكنت الحبشة من تلك السيطرة القوية وسدلت نفوذها
مارست كل عوامل التفرقة والتشتت بين الأهالى واستخدمت بما لديها من
طاقات في احياء التعصب القبلى واثارة الخلافات والحروب الدمويسية
والهتبت شعور العداء في المناطق الاسلامية .

ثالثا : فالحكم ارهابى ودموى بصورة لاتقع على بال ، حتى لا يفكر الناس فى
المطالبة بحقوقهم الشرعية وحتى يسيطر الخوف على قلوب الأفراد .

رابعا : انقلاص المسلمين عن العالم الاسلامى ساهم فى اذلالهم اضعافهم
لانهم لم يجسدوا أى عون يذكر من الشعوب الاسلامية الأخرى فى صراعهم
مع الصليبية فى الحبشة ، وهذا عامل خلى اثر فى نفسياتهم وتفكيرهم
وشعروا أنهم وحدهم فى الميدان أمام قوة جبارة تملك كل وسائل الدمار .

خامسا : عدم تعاونهم فيما بينهم أمر لانسقطه عن الحساب فالمسلمون فى تفرق

ولا يطولون غالباً الوقوف في صف واحد بل كل طائفة عرقية تفكر وحدها في المصير وهذا هو الذي اضعفهم أمام قوة منظمة ومدعومة ومسلحة في آن واحد ، وهذا عامل له خلورته في مستقبل المسلمين لأن الحيشة تدمر كل الطوائف الاسلامية او القوميات الاسلامية جميعها ، ولكن بطريقة توفر لها جهدا كبيرا ، فعندما تقا تل ارتبها لا يشمرون المسلمون الآخرون ان ارتبها جزء من اجزائهم ، وأن قطعة يجعلهم يفقدون عضوا من أعضائهم وربما بعض المسلمين يرون قضية تافهة لأنهم ألفوا الظلم والمبودية والخسف المستمر ، وهكذا عندما تتدلع الثورات في مقاطعة عروسي ، أو مقاطعة هسرر أو عشر يتفرج الباقون على المساة ، ولعل المسلمين يعذرون لكونهم يعيشون في مقاطعات متباعدة بالاضافة الى الستار الحديدي الذي ضربته الحيشة على كل مقاطعة حتى لا يتصل بعض المسلمين ببعضهم في التشاور والتعاون .

سادسا : يمكن ان نقول ان جهل المسلمين وتخلفهم عامل من تلك العوامل وهو أمر له شئ من الواقعية ، ولكنه ليس خاص بهم فالنصارى أقل ثقافة من المسلمين بصفة عامة فالجهل متفش في الحيشة بطريقة لا يختلف المسلمون والنصارى .

فهذه هي الأسباب الظاهرة التي أدت الى الوضع الحالي للمسلمين . أما موقف الحكومة الحشية من الاسلام في العصر الحديث فهو موقف عداء ويندلق من المفهوم الصليبي القديم الذي لا يطبق رؤية الاسلام وأهله ، وهذا المفهوم تطرب الحيشة الاسلام بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، والأسلوب الذي كان شائما في الماضي كان اجبار المسلمين في دخول النصرانية أو قتلهم علنا وكشال على ذلك " ان الملك جون أرغم عام ١٨٨٠ م ما يقرب

من حسين الفنا من المسلمين على التعميد ^(١) " اما في القرن العشرين فقد تغيرت الأساليب لدى ملوك الحبشة وسلاطينهم ، ويستخدمون بدل المنسف لاختراع المسلمين من دينهم التبشير المنظم بالاشتراك مع الجمعيات النصرانية الأوروبية التي أطلق يدها في التبشير ، وطبعاً هناك مئات من المدارس التبشيرية باختلاف مستوياتها .

وتستخدم الحكومة لهذا الغرض أسلوب التجويع وإبقاء الفقرفنى المناطق الاسلامية بصورة تقتصر منها الابدان لشدهتها وفظاظتها فالمناطق الزراعية تؤخذ من المسلمين وتعلى النصارى وهناك هجرات متتالية لهذا الغرض في المناطق الجنوبية ، وما بقى منها يفرض المزارعين المسلمين ضرائب باهظة يصعب السداد عليها وهى غير خاضعة لأى قانون ، ولكنها تفرض تلبية لرغبة الأسياد وأطماعهم ، فهذه الطريقة هى الاقلامية التى سادت أوروبا في القرون الوسطى ومما يحدث أن أحد المزارعين يقوم بزراعة أرضه وفي موسم الحصاد يأتى سيد هذه المنطقة فيطلب منه الضريبة ويفاجأ بأن المحصول أقل مما يالبه ، ويمسك بأخذ المحصول تكون بقيمة الضريبة دينا عليه في الموسم القادم ، وهذا المسكين يكون فى دم دائم كيف يسدد هذه الاتاوات الثقيلة وكيف يعمل عائلته ، والبلاد المنقسمة بين مجموعات من النصارى فى كل منطقة يشرف عليها واحد ويفرض ما يريد . أما احتكار الوظائف فى أيدي النصارى فهو أمر يفرض البسلاء من شباب الاسلم بترك دينهم واعتناق النصرانية وهذا ما حدث كثيراً فى المناطق الوسطى مثل منطقتة واللسو القريبة للعاصمة لأن احتكار المناصب الحكومية لطائفة معينة أمر له خطورته فى المجتمع .

(١) سيرتوماس - الدعوة الى الاسلام ص ١٤٢ .

ولكى ندرك العداوة المستحكمة لدى ملوك وحكام الحبشة ننقل مقالا

قاله الامبراطور هيلاسلاس عند زيارته لامريكا فى احدى المرات :
 " وكان مما قاله اثناء زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ان أهم
 الأهداف التى تسعى اليها توحيد الدين واللغة فى بلادنا ويسدون
 ذلك لا يمكن ان تحقق شيئاً من التقدم ، وحين سئل عن المسلمين قال :
 نعم توجد هناك أقلية مسلمة فى الجنوب اعتنقت الاسلام بتأثير الأجنب
 وقد وضعنا لها برامج منذ اثنى عشر عاماً فلا يضى وقت طويل الا وقد
 عادت الى حظيرة دين آبائنا ^(١) " .

هذه الجمل توضح لنا الموقف الحقيقى لحكام الحبشة فى الهلاد وقول
 الامبراطور : " أقلية فى الجنوب " له مغزاة لأنه يريد ان يسدل على
 حقيقة المسلمين ستارا كثيفا من التعمية والتضليل وتشويه الحقائق
 أمام العالم ، أما قوله ؛ " توحيد الدين واللغة فى بلادنا " فان هذا
 يؤكد اصرار الحكومة على مطاردة الاسلام وإبادةهم بصورة جماعية
 اذا لم يعتنقوا النصرانية بمحض ارادتهم ، والامبراطور أعرف الناس
 بأن المسلمين لا يخرجون عن دينهم طواعية ، اذا فالطريقة الوحيدة
 هى التصفية الجسدية ، والابادة وهذا ما مارسه الامبراطور فى
 جميع المناطق الاسلامية كما مارسه الذين قبله وبعده ، فهى الطريقة
 الوحيدة التى لم تتغير يوما من الأيام لأنها متأصلة فى قلوب النصارى ،
 ويضمون لتفسيدها الخطط والبرامج الرهيبة عبر العصور وكل ذلك
 منصب لاخراج المسلمين عن دينهم ، لأنهم يعتبرون المسلمين أنهم

(١) محيى الدين الفضانى - حاضرم العالم الاسلامى ص ١٥١ ط٠ الاولى .

أجانب هاجروا من البلاد العربية ليحتلوا بلادنا ويغيروا ديننا ،
وهذه النظرة لا تختلف بين ملك نصراني متعصب وحاكم نصراني شيوعي
كما توضح لنا سياسة الحكومة الجديدة تجاه المسلمين وهم يدعون
الشيوعية وينفون بها ليل نهار فبعد الانقلاب العسكري في الحبشة
ظهر تقرير سرى أقره المجلس العسكري ، فما جاء في هذا التقرير
تحت عنوان " الأمن الخارجى " فقرة (ب) (ماهى القوى الأجنبية
التي يخطر أن تتدخل ؟ فكان الجواب مايلى :

١ - العرب بواسطة استخدامهم للأفضاليين وجاليتهم العربية الكبيرة
التي يعمل معظم أفرادها فى التجارة ، وقد تم استبدالهم
بمواطنين أثيوبيين^(١) هذه الجالية الكبيرة يعنى الحكام الاثيوبيين
بالمسلمين لأنهم اعترفوا بان هؤلاء يحملون الجنسية الاثيوبية
ولا وجود لجالية عربية كبيرة لأن الامبراطور الراحل هيلا سلاسى
قد طرد كل من عرف عرويته منذ أواخر الستينات وبلغ المطرودون
من أملاكهم وأولادهم الآلاف ، والهاقى قلعة لا وزن لها على
الاطلاق ، وليس هذا أمرا غريبا لان النصارى يجاهرون أمام
المسلمين بهذا المعنى قائلين أنهم أجانب جئتم من البلاد العربية
ولا حق لكم فى هذا البلد ، هذه ظاهرة عادية لا استغرب فيها فسى
الحبشة أبدا ، ومما يؤكد لنا بأن الحكام النصارىين لا تختلف
نظرتهم تجاه الاسلام ، ولا تجاه النصارى فى العالم ما حدث بعد الانقلاب
الشيوعى حيث ان العسكريين تعاونوا مع الامريكان الذين كانوا يحصون

(١) تقرير سرى اثيوبيين نشرته مجلة المجتمع الكويتية العدد ٢٦٢ الصادر

فى ربيع الآخر عام ١٣٩٦ هـ .

الامبراطور هيلاسلاسى والذين هم ضد الاشتراكية واجمعوا ان تعاوننا معهم ضرورى وجاء فى التقرير السرى ان هذا التعاون ينقذنا من الأخطار الاتية من الدول العربية رغم ان كثيرا من الدول العربية وقفت مع اثيوبيا فى حربها ضد الصومال وبقية المسلمين فى الحبشة كما وقفت معها فى حربها ضد الشعب الارتيرى ، وفى الفقرة " ب " رقم (٤) من التقرير السرى جاء ما يلى :

" الصوماليون ربما يقومون بمغامرة باستخدام الخونة ، وان الاحتفاظ بالارتباطات والصلات مع وكالة المخابرات الأمريكية ربما يكون مفيدا جدا فى نضالنا ضد الامبريالية العربية " ^(١) فنجد الحروب الصليبية الى يومنا هذا لم تتغير نظرتهم رغم ما حدث فى البلاد من تغيرات اجتماعية كبيرة حتى تحول معظم الوثنيين وكثير من النصارى الى الدين الاسلامى حيث أصبح المسلمون أغلبية كبيرة فى الحبشة ، ولكنهم لم يفكروا الا بتعذيب المسلمين وتشريدهم وابادتهم واحراق ممتلكاتهم بواسطة الاسلحة الفتاكة التى حصلوا عليها بكل سهولة من الدول النصرانية مثل أمريكا وأوروبا بما فيها الدول الشيوعية ، كما أن نظرة النصرانية لم تتغير وان تفوهت بالالحاد الماركسى ، وأظهرت رفضها كل القيم والديانات بما فيها النصرانية وأصبح ذلك جليا فى السنوات الأخيرة حيث ان المساعدات الأمريكية والاوربية لم تنقطع عن الحبشة وحتى السلاح كان يتدفق عليها من أمريكا التى تملأ الدنيا صياحا وعويلا ضد الشيوعية

(١) تقرير سرى اثيوبى نشرته مجلة المجتمع الكويتية العدد ٢٩٧ السنة السابعة

الثلاثاء ربيع الآخر ١٣٦٦ هـ .

وخلال عام ١٩٧٧ م ظل الامريكويون يمدون اثيوبيا بالاسلحة عبر الطرق التالية
 أ- شحنات ارسلت الى نيروبي عاصمة كينيا حيث تم اعادة شحنها في نيروبي
 بواسطة الدائرات الاثيوبية .

ب- قاعدة ايتزون الاسرائيلية حيث كانت الدائرات الامريكية تضع حمولتها من
 المتاد الحربي ، وبعدها يتم نقل المتاد جوا بطائرات اسرائيلية أو اثيوبية
 الى اديس ابابا (١) ومن الجانب الاخر عندما طردت الصومال خبراء الروس
 وطلبت اسلحة من الدول العربية كان موقف هذه الدول مطابقا تماما عما الفناه
 عبر القرون وكانت نظرتهم نظرة ملوثة اوربا للاسلام والمسلمين في القرون
 الوسطى ، نظرة صليبية بحتة مفادها يجب ان نحصى اثيوبيا النصرانية من
 المخاطر الاسلامية ، بل صرح أحد أعضاء الكونجرس في امريكا ذلك الامر
 وانطلاقا من هذه المفاهيم الدينية المبنية على العداوة للشعوب الاسلامية مهما
 بعدت عن تحكيم الشريعة وقل التزامها * قابل المستر دافيد آرون ميموث كارتر
 رئيس الولايات المتحدة السابق المقيد منجستو رئيس اثيوبيا في اديس ابابا
 في تاريخ ١٧/٢/١٩٧٨م وأعطى وعدا امريكييا نهائيا بعدم تقديم أى عون
 عسكري مباشر او عن طريق طرف ثالث للصومال مادام الصوماليون مسيحيين على
 اقليم الصومال الغربي ، وكان هذا بمثابة المسار الاخير في التمشى الذى
 حملت عليه آمال الصوماليين في الحصول على سلاح من الغرب (٢)
 والذي نريد أن يكون واضحا في الازهان هو أن الحبشة في هذا المصير
 تخارب الاسلام وتريد ابعاده عن البلاد بأى وسيلة ممكنة وتتعاون في تنفيذ
 مخططاتها مع الدول الكبرى ، فمطربة الاسلام ليس أمرا غريبا في اثيوبيا لان

(١) النزاع الصومالى الاثيوبى ص ١٩٣ تأليف : على أحمد نور .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ١٨٥ .

تاريخ الحكام وتصرفاتهم ، ومعاملتهم برهنت على هذه الامور ، فالامبراطور
هيالاسامى الراحل ، رغم ادعائه الكثير بأنه يحب المسلمين لكنه لم يريوما ممن
الايام تقدا في مجال الدعوة الاسلامية الا كشر انيابه وأظهر حقيقته ولم
يتمالك نفسه ووجه سهامه ضد الدعوة الاسلامية ودعائها ، كان هيالاسامى
في المنى بعد هجوم ايطاليا على الحبشة ، وعاد اليها تحت حماية البريدانيين
بعد أن تغلبت على ايطاليا ، وكان في غاية من الضعف لان البلاد تفككت
أوصالها وتمزقت هياكلها الادارية وانحدمت الثقة بين الناس ولم يعرف الامبراطور
المخدر من غيره ، وكانت معنويات المسلمين عالية الى درجة ما وأدركوا ضرورة
التحرك لايجاد مستقبل أفضل ، فتحرك المسلمون بتأسيس جمعيات دينية
وازاب سياسية في المناطق الاسلامية ، وكانت همر منبج تلك النشاطات لكونها
العاصمة التقليدية للمسلمين منذ قرون عديدة ، وكانت كثير من تلك النشاطات
تتمثل في بناء المدارس الدينية وفي عام ١٦٤٩م تأسست في همر الجمعية الوطنية
الاسلامية بقيادة علماء همر واعيانها ، ومنت هذه الجمعية مدارس كثيرة في همر
تعلم الناس العلوم المصرية والعلوم الدينية والقرآن الكريم واتسمت هذه المدارس
واستفاد منها المجتمع استفادة كبيرة وكانت أمنيات القائمين بهذه الجمعية بمحبة
المدى حيث أدركوا ضرر الجهل في مجتمعهم وضرورة التعليم ورفع مستواهم حتى
يبلغوا الى درجة المسؤولية التي يتطلبها العصر الحديث وليتمكنوا من استغلال
حقوقهم من الحكومة المصرية ، وبعد مرور الايام تبنت الحكومة الاثيوبية
للنشاطات الجارية في المجتمع فقامت بهجوم صاعق على الجمعية والدعاة الذين
اسسوها واعتقلوا ٨١ شخصا وهم الذين يمثلون لجان الجمعية والرؤساء ومن
بينهم رئيس الجمعية الطاج ابوبكر أبو الرئيس الاول ، والطاج ابوبكر أدوس
الرئيس الثاني والطاج عمر محمد ادوس رحمه الله تعالى مدير مدرسة الجمعية ،

وأحد المؤسسين للجمعية ، وتفوهم الى ثلاث مناطق وهم :

أ - جوجام ، ب - جما ، ج - لقت .

وسادت الحكومة أموال الممتلكين وممتلكاتهم ، كما صادروا أموال الجمعية
وأفلاكها جميعا ، وبهذه الطريقة وجه الامبراطور ضربة قوية للمسلمين واستداع
أن يقضى أهم نشاطاتهم وتحطمت كثير من الامال ، وبعد أن أودع أعيان هسرر
وعلمائها في السجون ، واغلق الجمعية والمدارس الاسلامية وأخذ أوقافها
أصبحت هسرر تخضع لسلطته ونفوذه ، كما أصبح كل من يحاول أن يقوم بساى
نشاطات مهددا بصورة تلقائية .

وبعد أن تمكن من تفتين مركزه في هسرر والمناطق الاخرى المجاورة مثل
بالي وغيرها بدأ ينفذ كثيرا من مؤامراته ومن ذلك ، ترجمة معانى القرآن الكريم
باللغة الامهرية ، وكان القصد من هذه الخطوة أن تحل اللغة الامهرية محل
اللغة العربية في كل شىء حتى يعتمد المسلمون عن الاسلام وعن مختلف التراث
الاسلامى وكان هذا البرنامج من اكبر البرامج التى نفذها الامبراطور في حربه
ضد الاسلام ، ورغم تنفيذ ذلك لم تكن ثمارها كما توقع لها الامبراطور وأنصاره
بل لم يكن بهذه الخطوة أثر يذكر .

ولم يكن المسلمون يوما من الايام مستسلمين للطفيان بل كانوا في جهاد
مستمر لا ينقطع بشكل أو بآخر ، فالدعوة الهادئة المتمثلة في التدريس والحلقات
الصلوية وتحفيظ القرآن والوعظ والارشاد وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر هذه
الدعوة لم تتوقف بل استمرت بصورة رائجة جدا ووقفت ضد التبشير الهائل الذى
يستخدم أحدث الوسائل المصرية من مدارس ومستشفيات ومساعدات للفقراء
بالانفاة الى الاعلام من انذات وجرائد وغير ذلك ، وقفت الدعوة أمام هذا

الخداع الزاحف من الغرب ، وهذه الطريقة المنتشرة في الاقاليم الاسلامية ان لم تحقق نصراً كبيراً في الاوساط الوثنية في العقود الاخيرة لاسباب سياسية قامت بها اثيوبيا فانها حققت نصراً كبيراً في الوقوف ضد النصرانية الزاحفة نحو المسلمين حينها لم ينتصر المسلمون بل تمسكوا بدينهم ورفضوا الاعتناق بالتالوث النصراني ، واذنا قارنا قوة المسلمين وقوة النصرانية فاننا نخلص بالنتيجة الاتية ، ان النصرانية بما لديها من دعم قوى من الدول الاوروبية والحكومة الاثيوبية تفوق على المسلمين بالآلاف المرات وليس هناك آية مقارنة ممكنة بينهما ، وهذه الظروف الصعبة استطاع المسلمون ان يحفظوا مركزهم الديني من حيث الكثافة ولم تتجح خطط النصرانية المعلنه الهادفة الى تحويل المسلمين من دينهم الى الديانة النصرانية ويمكن أن نقول ان هذا نصر بعينه اذا نظرنا ما تحققه النصرانية في كثير من الدول الاسلامية الاخرى .

وهناك طريقة اخرى لمواجهة اللغيان النصراني وهي الطريقة الحربية فنجد التوسع النصراني في اواخر القرن الماضي كانت هناك حركات تقوم وتخمد وكان العلماء يقودون هذه الحركات ويمثلون الجهاد ضد المعتدين الكفرة وتشتمل الثورة وتقاتل ما قدر ان تقاتل فعلى سبيل المثال :

١- كانت حركة نشيطة أعلنت الجهاد ضد اثيوبيا عام ١٩٦٣م في المناطق الجنوبية والشرقية ، وقاتلت ببسالة حتى عام ١٩٦٩م وهدأت الحركة ما عدا بعض الجيوب الصغيرة .

٢- بدأت الحركة مقاومة عفيفة ضد القوات الاثيوبية في نفس المناطق المذكورة عام ١٩٧٧م ، وكانت أقوى من المرات السابقة من الناحية التدريبية وامتلاك السلاح واستطاعت الحركة ان تضيق الخناق على اثيوبيا وسيطرت على أغلب المناطق الريفية والمدن الصغيرة واستطاعت الحركة بمساعدة من الحكومة الصومالية الاستيلاء على أغلب المناطق الاسلامية في اثيوبيا وخاصة مقاطعة

هرز وبالي ، وسدامو ، واستمرت الحروب حتى عام ١٩٢٨م الميلادى وبمسد انتصارات مذهمة استفرب بها العالم يومها تدخلت القوات الروسية والدول الشيوعية الأخرى لصالح الحبشة فحدثت الهزيمة للمسلمين مرة أخرى وانتصرت الحبشة بواسطة الدول الأوروبية كما دتها عبر القرون .

٣- أما فى الشمالى فقامت الثورة الاريترية الكبرى والى تأسست عام ١٩٦١م بقيادة مجموعة من العلماء الافاضل مثل الشيخ محمد داود ، وما زالت الثورة الاريترية تقاتل لاجل تحرير اريتريا عن طغيان اثيوبيا وأبلىت بلاء حسنا فى هذا السبيل كما ذاقت اريتريا الويلات تلوا الويلات من جراء الهجمات الوحشية من قبل القوات الاثيوبية ورغم التضحيات الجسيمة التى بذلها المسلمون والخسائر الفادحة التى منيت بهم ، والبطولات الفاتحة التى اظهروها فى جميع المناطق رغم كل هذا فقد فشل المسلمون حتى الان ولم يحققوا اهدافهم أبدا ، هل ذلك عائد الى ضعف المقاومة أو الخوف من الاثيوبيين ؟ لا أظن ذلك .

فمنذ عشرات السنين قاوم المسلمون وجاهدوا واستماتوا فى الدفاع عن دينهم ووطنهم وعرضهم ، فكم كانت بعض المواقف جريئة ، فأهل بالى يذكرون ذلك الشيخ المجاهد الذى قاد الجهاد فى منطقة معينة وبعد جهاد طويل استطاع المدوان يقتل اتباعه وبقى وحيدا فريدا فطلبت الحكومة الاثيوبية ان يستسلم وتمهدت بالمفو ولكن المجاهد أبى أن يستسلم للكفار وقال لهم سأقاتل حتى آخر رمق من حياتى وبعد حصار طويل مات الشيخ المجاهد فقطموا رأسه وربطوه فى عمود يقع فى الشارع العام فى احدى المدن الصغيرة وبقى هكذا مدة طويلة وأمثاله كثيرون ، والثورات المتتالية دليل على البطولات والشجاعة ، اذا هناك علل أخرى غير الخوف وضعف المقاومة ، ويمكن أن تكون الملل ما يلى

١ - التفرق وعدم الاجتماع .

فالمسلمون فى الحبشة متفرقون غير مجتمعين وليس بينهم التعاون المطلوب

ولا ينظرون الى الحبشة نذارة واحدة فمندا يقاتل فريق من المسلمين ضد
الحبشة يتفرج عليهم الفريق الاخر ما يساعد الحكومة الحبشية على الصمود امام
الثورات المتدلعة بين فترة وأخرى .

ب- التمصب والاقليمية :

هذا الوياء الخطير منتشر في المجتمع الاسلامي في الحبشة حيث أن
التمصب العرقى موجود بين المسلمين بشكل رهيب فالهرري يتمصب لهرريته ،
والمروسي يتمصب لمروسيته ، والصومالي يتمصب لصوماليته ، والمفرى يتمصب
لمفريته ما افقدهم القدرة على استرجاع حقوقهم بجميع اشكالها .

ج- الانحراف عن الهدف الاسمي :

ما لاشك فيه ان المسلمين في الحبشة قاتلوا قتالا مريرا عبر العقود
بل عبر القرون الطويلة ولكن يجب علينا أن نمتد اعترافا جازما بأن المسلمين
ضلوا عن الدريق وتكبوا عنه ، لان المسلمين في الحبشة يقاتلون في معانهم
الاحوال لتحرير الاراضى عن الحبشة وتكوين دولة يتولون امورها أو دولا صغيرة
لتتولى كل مجموعة زمام دولتهم الخاصة بهم ولا يقاتلون لاعلاء كلمة الله سبحانه
وتعالى وايجاد دولة اسلامية تتولى تنفيذ أحكام الشريعة وهذا هو الهدف
الاساسى لتشريع الجهاد وجميع المصالح الاخرى تندرج تحته ، ومسح أن
غالبية المسلمين يقاتلون ضد الحكومة النصرانية في الحبشة في المقود المتتالية
الا ان الهدف الاسلامي الكبير ليس واضحا في اذهانهم ، وخاصة ان أغلب
القيادات في الثورات المذكورة ليست اسلامية ، اما أنها لا تقاتل لاعلاء كلمة
الله بل الهدف تكوين دولة ديمقراطية أو اشتراكية او شعبية المهم دولة لا تخضع
للتعاليم الاسلامية ، ومع ذلك فهم يدعون الاسلام ، واما أنهم ليسوا بمسلمين
مثل كثير من القيادات الحالية لثورة اريتريا فهم نصرانيون .

وعلى كل حال ضاعت هذه الشموب ولم تهتد الى سواه الصراط ولم
تسلك طريق الخلاص الذى سلكه اجدادهم المسلمون (من قاتل لتكون كلمة الله
هى العليا فهو فى سبيل الله)^(١) ، واعتقد أن هذا الانحراف الخطير عن
الهدف الربانى الذى شرع الله الجهاد لاجله هو اكبر سبب أدى الى الفشل
الذى منى به المسلمون فى الحبشة فى المصر الحديث لان القتال من أجل
المصيبة والاقليمية لا يجمعهم أبدا بل يفرقهم وشقتهم وجعلهم لقمة سائفة
فى فم العدو . لانه مبنى على الاهواء الشخصية والرغبات النفسانية
وتحقيق أغراض دنيوية بحتة ، وكل ذلك يخالف الفرض الاساسى من الجهاد
فى سبيل الله ، وكل قتال لا يقصد به اعلاء كلمة الله فهو لا يؤدى الى النصر
ولا الى الشهادة والتالى فهو خسارة فى الدنيا والاخرة ، لان الاسلام
لا يبيح القتال بدون معنى ، بل شرع الجهاد لمصلحة الدعوة الاسلامية واقامة
شرع الله ، قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب
حتى يمدوا الجزية عن يد وهم صاغرون)^(٢)

ويكرر القرآن الكريم فى سياق الحديث عن الجهاد كلمة (فى سبيل الله)
ما يدل على أن كل قتال ليس مرغوبا فيه ، بل المرغوب فيه نوع خاص فالرايات
المرفوعة رايات اقليمية ودانية على أغلب الاحوال مما فتت شمل المسلمين ومزق
وحدتهم الدينية ، واضف مركزهم اقليميا وعالميا ، لانك لو تبيت الفرق
المقاتلة ضد اثيوبيا لاندحشت اندهاشا عظيما لكثرة القيادات والفصائل الثورية
حيث تجاوزت العشرات مما سبب أحيانا كثيرة نشوب معارك عنيفة بين هذه الفرق .

(١) رواه البخارى ، ج ٦ ، كتاب فتح البارى ص ٢٨ ، مكتبة الرياض الحديثة

بالطحا .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٩

د - الاوضاع الدولية :

ان مسلم الحبشة لا يمشون بميدين عن الاوضاع المؤسفة التي يجتازها المسلمون الان ، فالقوة الدولية المهيمنة على مقاليد الامور في العالم تتدخل دائما وأبدا في منطقة القرن الافريقي لصالح الاقلية النصرانية في الحبشة ، وتجميد الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على ما هي عليه وما من وقت تحرك المسلمون لاصلاح شئونهم ورفع الظلم عن كاهلهم ، ورد المدوان الاجاءت النجدة السريمة لانقاذ الدابقة الطاكمة في اثيوبيا ، وتحركت الاساطيل الجوية والبحرية العملاقة التي تمتلكها الدول المظلمى لهذا الغرض وفرضت هذه القوة الدولية ارادتها على المسلمين وابتقتهم على حالة من الضعف والتفرق والمجز التام ، وهذا عامل كبير لفشل المحاولات المستمرة والحروب الدولية التي خاضها المسلمون من أجل حقوقهم .

هذه العوامل التي أشرنا اليها هي التي أدت الى الاوضاع الحالية والاحوال المؤسفة ورغم أنها تماونت في ايجاد تلك الاوضاع الجامدة الا أن عدم وحدة المسلمين وتعاونهم تماونا مشرا وتمدد الجبهات المقاتلة والقيادات الفاسدة البعيدة عن القيم الاسلامية والمتأثرة بالتقاليد الاجنبية الوافدة هو العامل الرئيسي لاضعافهم وعدم قدرتهم على الصمود أمام الفسزو المالى المساند للحبشة وأطماعها التوسعية فعلى سبيل المثال ، فالحرب التي اندلعت في القرن الافريقي عام ١٩٧٧م بين الجبهات المحاربة وبين الحبشة والتي تم النصر للمسلمين في أول الامر كيف حصلت الهزيمة في النهاية وما هي الاسباب الحقيقية لهذه الهزيمة ؟

بعد ان حقق الثوار نصرا كبيرا في مقاطعة هرر ، وبالى ، وسدامو دخلت القوات الصومالية فجأة في أتون المعركة حتى اكملت تحرير ما بقى من الاراضى الاسلامية في ايدي الحبشة ، وبعد أن انتصر المسلمون وفتحوا البلاد

تامت جمهورية الصومال بحملة عنيفة ترمى الى نشر المبادئ الاشتراكية النفيضة وفرضت على المسلمين ، ولقد كان المسلمون في المناطق المحررة يمتقدون انهم سيحصلون على الحرية والاستقلال وسيتمنون نسيب الحرية الباردة بمسد هزيمة الحبشة وجلاء قواتها من اراضيهم ولكنهم فوجئوا عكس ما توقعوا تماما فالجيش الفاتح ليس أكثر رحمة من الجيش الاثيوبي واخلاقيات الجيش الفاتح اسوأ من اخلاقيات سلفه بكثير ، لان الانظمة الاشتراكية التي تربي الجيش تحتها لم تعلمه الاخلاقيات الاسلامية فبمجرد ان سيطر على الاوضاع قام بأسوأ عمليات شهدها الاهالي في تاريخها المديد ، القتل العشوائي حدث بصورة مذهلة وبشمعة وكان يجرى بلا تحقيق أى انسان يمكوه ولا يعرفون لفته لا بد من قتله مع ان كثير من المناطق الاسلامية لا تعرف اللغة الصومالية ابدا بل هناك لغات أخرى لاعلاقة لها بالصومالية وعمليات النهب كانت واسعة الانتشار بين الجيش الصومالي وكذلك انتهاك الاعراض والفسوق كان موجودا ضمن العمليات الفاسدة التي كان الجيش يقوم بها ضد اخوانهم المسلمين في المناطق المحررة والاسف كل الاسف لم يكن هناك اى فارق يذكر بين الجيش الصومالي والجيش الاثيوبي ، والسبب واضح كل الوضوح لان الجيش الصومالي لم يكن يقاتل لاعلاء كلمة الله ولم تكن لديه القيم الاسلامية الرضيعة التي تحدد عمليات الجند بصورة دقيقة وتعلمه حقوق الاخرين حتى يثمر القتال وينتج فنى المستقبل . ثم ان النام الصومالي يقاتل تحت راية الاشتراكية الملمية ، والقومية الصومالية وهذا خطأ فادح ، لان الاشتراكية الملمية مبنية على الالتاد المالح وقتال المسلمين تحت لوائها وتحت القيادات التي تمتقد صلاحيتها سيغلب للمسلمين خسارة لا تعوض لانها ضلت طريقها في البداية وانحرفت عن الضجج الالهى الذى يحقق لها النصر والثبات او الشهادة لان الهدف الكبير من وراء الجهاد

هو الوصول الى رضوان الله سبحانه وتعالى وهو غاية الغايات الذي تنتهسى
اليه الامام والامال ، ولاجله تكون النفس رخيصة والمال تافها في أعين المؤمنين
المجاهدين ورضوان الله والجنة هو الفوز العظيم كما تبين لنا الاية الكريمة
قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل
والقرآن ، ومن أوفى بمعهده من الله فاستبشروا ببيحكم الذي بايتمتم به وذلك
هو الفوز العظيم)^(١) . ولقد سمي الله الجهاد من بين أمور أخرى تجارة
تنجى الناس من العذاب ، قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا هل اذلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله
بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن
ذلك هو الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)^(٢)
عندما كان المسلمون يجاهدون بهذه المفاهيم الاسلامية لتحقيق تلك
الامال الكبيرة وبلوغ ذلك الفوز العظيم والتجارة المنجية كان النصر يتحقق
بإذن الله وهم اضعف من حالتنا هذه بكثير اما ونحن نقاتل في سبيل تحقيق
غرض من اغراض الدنيا وشهوة عابرة أو تحقيق اطماع شخص ما فان النصر لا يأتي
شئنا ام ابينا لاننا خالفنا سنة الله في الجهاد الذي لا يتحقق الا اذا كان
القصده لاعلاء كلمة الله فقط وأعلن ان الذي يقاتل شجاعة او عصبية دفاعا
عن قومه اهنون من الذين يقاتلون تحت راية الالطاد السافر وهو ما حدث فعلا .

(١) سورة التوبة ، الاية : ١١١ .

(٢) سورة الصف ، الاية : ١٠ - ١٣ .

اما اعلان الصومال انها تقاتل لاجل القومية الصومالية فهذا يغالف واقع المسلمين في القرن الافريقي فمعظم القبائل التي يريدون التحرير من اثيوبيا ليسوا من القبائل الصومالية ، ولكن الذي جمع بينهم وبين الصومال هو الاسلام فهم يقبلون قيادة الصومال تحت راية الاسلام ولكنهم يرفضون قيادة الصومال تحت راية القومية الصومالية وهو الامر الذي أدى الى الهزيمة في حقيقة الامر حيث ان المسلمين في منداقة هرر وعروسا شعروا بخيبة أمل كبيرة من تصرفات القيادة العسكرية الصومالية اثناء قتالها ضد الحيشة ، ولم يجدوا أية طمأنينة من قبلهم مما افقد الجيش الصومالي ذلك التأييد الهائل الذي منحه المسلمون في بداية القتال لان المسلمين في تلك المناطق شاركوا في القتال نفسا ومالا بدون تردد وان قل ، ولقد كان لتصرفات القيادة الصومالية بدأ بالمشاركة الحثيثة في القتال الامر الذي ألب الدول النصرانية والشيوعية ضدها ومورا بالتصرفات الطائشة وانتهت باعلان الانسحاب المفاجيء . لقد كان لتصرفات تلك القيادة آثار سلبية ومدمرة فسوى آن واحد .

١- ان اعلان الصومال مشاركتها في الحرب ضد اثيوبيا وهجومها الواسع قلب ميزان الحرب لصالح اثيوبيا ووجدت تعاطفا من قبل الدول الكبرى والقارة الافريقية ، وهذه الخدوة صورت الصومال أنها دولة معتدية ضد دولة مستقلة مما يوجب سداجة القيادة وعدم تخطيطها للامر بطريقة حكيمة وسليمة ولو اعدوا الحرية والاستقلال للمقاتلين غير النظاميين وأيدوهم تأييدا غير مباشر لطالت فترة الحرب وهذا الطول كان لصالح الجهات المحاربة ضد الحيشة .

٢- سوء التصرفات

في فترة الحرب كانت التصرفات للجيش الصومالي ضد الاهالي من جميع الجوانب لان التصرفات كانت عارية عن الاخلاق الاسلامية والانسانية مما اغضب الشعب وجعله ضد الحكومة الصومالية .

٣- قرار الانسحاب :

بعد أن حقق المسلمون بالتعاون مع الصومال النصر الساحق الذي أذهل العالم كله قرر الرئيس الصومالي فجأة وبدون مقدمات الانسحاب من المناطق المحررة وتركها لاثيوبيا ، وكان هذا القرار بمثابة نكسة موجعة ألمت بالمسلمين في القرن الاقريقي ونتج عن ذلك القرار المؤسف ما يلي :

أ- اقنع قرار الانسحاب العالم بأن ادعاء الصومال عن احتلال اثيوبيا على اراضي صومالية أمر لا يصدقه الواقع ، لان الانسحاب بهذه الطريقة يؤكد بيان الحكومة الصومالية لم تكن مستعدة للتضحية في سبيل الدفاع عن هذه الاراضي .
ب- بعد الهزيمة حلت الكارثة على شعب المنطقة ونزحوا باعداد هائلة الى الصومال والى جيبوتي ، ولقد فرت من منطقة القتال بعد الانسحاب الصومالي آلاف من البشر بلغ تعدادهم ما بين مليونين الى ثلاثة ملايين نسمة معظمهم في الصومال .

ج . لقد نشأت الهيئات التبشيرية داخل المخيمات مستفيدين من الظروف الصعبة وبلغ عدد الهيئات التبشيرية داخل المخيمات الواقعة في الصومال ٣١ هيئة حسب رواية مكتب رابطة العالم الاسلامي في مقديشيو ولا يوجد من بين هذه الهيئات اية هيئات اسلامية الا الرابطة التي لها نشاط محدود جدا ، ويمكن ان نتصور مدى الخطورة وحجم المواقرة الرهيبة التي تحدث هناك بواسطة قصة اطفال الصومال وهذه القصة تلخص كالآتي :

" ان قسيما بلجيكيا اسمه أندري سابي اتفق مع الحكومة الصومالية بتبني ٣١ ألف طفل يكون مسئولوا بتربيتهم وتعليمهم " وهذه القصة يعتبر اكبر صفقة واغريها في تاريخ المنطقة وهذه الخطوة من تصرفات الحكومة الاشتراكية في مقديشيو .

وهذه الاتفاقية تشكل منعطفا خدارا في تاريخ المنطقة ويبدو ان الدول الغربية تخطط لعملية تبديل واسعة النطاق لانها تدرك ان الخطر هو الاسلام واذا تمكنوا من تصير اعداد كبيرة من المتعلمين فان المداوة بين المسلمين والنصارى ستنتهى حتما اذا تحقق هذا الحلم لان القصد من وراء هذه الحملة المسعورة هو تحطيم الاسلام في القرن الاقربى ودعم مركز الامبراطورية النصرانية في الحبشة حتى تستطيع الهيمنة على المناقاة بدون عراقيل تذكر لان قضية اطفال الصومال المذهين تحولوا الى سلمة تباع في الاسواق العلنية والخفية والتي تجرى بين المسئولين الصوماليين وبين قسيس واحد لتبرهن لنا ان المخطط الكبير يشترك فيه اكثر من طرف ، والا كيف نتصور ان رجلا واحد يتحمل مسئولية آلاف الاطفال وحده ، بل ان كل الدلائل تؤكد ان الدول الغربية والجمميات الصليبية تشترك في الموضوع بصورة جذرية ، وان التبشير يسير جنبا الى جنب مع القواعد العسكرية الامريكية والمعونات الامريكية الاخرى للصومال وهذا ليس امرا مستغربا لان المبشرين كانوا رواد الاستعمار ومخبراته في الدول الاخرى بل الاستعمار كان في خدمة التبشير لان كل واحد يكمل الاخر ، واليوم وبعد نهاية الحرب الصومالية الاثيوبية عام ١٩٧٨م وبعد الضعف الذي اصاب الصومال والتعزق الذي حدث لجميع المسلمين في القرن الاقربى بعد هذا كله بالاضافة الى الكارثة التي المت بالصومال من جراء الحكم الاشتراكي ادركت الدول الغربية ان هذه الفرصة ذهبية لم تجد مثلها ابدا فاستغلت استغلالا عظيما وجندت جنودا لاجلها حتى وصل الامر الى ما وصل اليه ، والذي يساعد في نجاحهم هو الحكم الصومالي الذي يعطى القسم حق التملك لاطفال المسلمين وهو امر لم تنكره حكومة الصومال بل ان جريدة الطلبة الحكومية افتخرت بهذه الجريمة متصفه اياها بأنه عمل انساني راسع .

وبقية اللاجئين الذين فروا الى جيبوتي يلقون نفس المصير حيث ان المنظمات

الامريكية تعمل نشاطا مكثفا وتعمل هذه المنظمات التبشيرية في جيبوتي كالآتي :
تفتح ملفات لكل لاجئ * وتسجل جميع المعلومات من كل شخص وترسل هذه
المعلومات الى امريكا وبعد أيام أو شهر يأتي الجواب لبعضهم ويبلغون ان
الجمعية القائمية في امريكا وكندا وجدت مأوى لهؤلاء الاشخاص ومن شروطها
الا يكون متزوجا وحسب التقرير الذي اصدره بعض الدعاة المهتمين بالمنطقة انه
تم ترحيل ١٣٠٠ لاجئ في العام الاول من نهاية الحرب عام ١٩٧٨م وليس
نشاطات المنظمات مقتصرًا باللاجئين بل في كل مناعة ينتشرون في الاريفاف
والنطاق الفقيرة * وهكذا تحولت الممارك الى كارثة مدمرة للمسلمين والسياسة
الخرقاء والتدمير الذي اصاب المسلمين من الداخل والذي تسبب جزئيا كبيرا في
الحكم القائم في الصومال هذه الاسباب هي التي أدت الى التبشير وسهلت
له الدارق كما ان عدم وجود هيئات اسلامية تملوء الفراغ سبب كثيرا من المشاكل
الصعبة لان الفقراء الذين فقدوا كل شئ مضطرون الى الاستسلام لهذه
الهيئات تحت ضغط الحاجة الماسة والفاقة التي ترتبت عن حرب القرن * لانهم
لا يجدون بديلا عنها في الواقع الطوموس *

هذه التصرفات التي تحدثنا عنها أدت بمجملها الى هبوط المعنويات
في اوساط مسلمة الحبشة باختلاف مناطقهم كما أدت الى سوء التفاهم بينهم وبين
الصومال لانهم ما عدوا ان الممارسات العملية لدى الصومال لا تختلف عن اعمال
الحكومة الاثيوبية لان كلا النظامين اشتراكيان *

هذه هي الاسباب الرئيسية التي حالت دون تحقيق الاهداف والامواج
والتي كان المسلمون في الحبشة يأملون تحقيقها خلال هذا القرن وخاصة
ما في الامران المسلمين في الحبشة ما برحوا يكافحون ويجاهدون في نشر
هذا الدين وحفظه من الاعداء الذين يقومون بالهجمات الشرسة ضد المسلمين.

ورغم ما أصابهم من الانتكاسات المولمة في القرن العشرين والهزائم المتتالية التي لحقتهم ورغم القيادات المنحرفة التي قادتهم الى طريق مسدود والذروف الدولية التي تسير في الاتجاه المعكوس ، رغم كل ذلك ما زال أغلب الشعب في القارة الاسلامية التي تساعد على تمسك عقيدته ورفض المسالمة الهدامة والتيارات الوافدة التي تستهرف استئصال هذا الدين ومسحه من الوجود .

وبقاء عامة الشعب على القارة ويحده عن الفساد والانحراف الحضارى يجعلنا نعتقد ان منطقة القرن الافريقي ما زالت حيوية وملائمة للدعوة الاسلامية ولو تحرك المسلمون في حياتهم الى الاتجاه السليم ، ونشروا الوعي الدينى بين الجمهور وحركوا الشهور الاسلامى لا يمكن لهم توحيد صفوفهم ونبذ رايات الجاهلية المرفوعة هنا وهناك ، ولحققوا لها المذلة ، وهذا امر ممكن لو توفسرت اسبابه ، لان الشعب المسلم داخل الجبشة لم يتأثر بالحضارة المادية تأثيرا كبيرا حتى الان .

وهذه المسؤولية الجسيمة تقع على عاتق العلماء وخاصة ائمة المثقفين الذين يدركون بواطن الامور ويعرفون حقائق الاوضاع بصورة اكثر تفصيلا ، وعلى هؤلاء جميعا ان يعملوا متعاونين ومتكافئين ، دون ان تفرقهم الالسن ودون ان تباعدهم الانساب أو تأخذهم حية القبلية الجاهلية والاقليمية البغيضة ومهمسا يكن من امر فانهم امة واحدة دون سواهم من الوثنيين والنصارى وليس هناك ما يفرقهم وعلى المثقفين ان يرفضوا رايات الاقليمية التي يرفضها اعداء الاسلام لتدميرهم ، وكل فكر او قتال لا يعتمد على الاسلام فهو لا ينقذهم من الشر والويل والذين يشجعون الاقليمية مثل الهررية والعروسية والصومالية والعفرية والاريترية فهم شياءاين وان حملوا القاب الشيخوخة وان تناهروا انهم من العلماء العالمين لان هؤلاء جميعا يفرقون كلمة المسلمين ويشتمون شملهم بالعمى والعمى

الجاهلية التي أنكروا الا سلام أيما انكار ، لا نهم معتصمون بحبل الشيطان
 بدل حبل الله الذي أمر الله ان نمسك به (واعتصموا بحبل الله جميعا
 ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فاصبحتم
 بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله
 لكم آياته لعلكم تهتدون) (١) .

وهذا هو الداريق الذي يوصل الى بر السلام والحرية الكاملة وصيانة
 الشرف في الدنيا والفوز في الآخرة وهذا هو الفلاح الذي تشير الایسة
 الكريمة الذي يحصل ^{عليه} x الذين يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 كما قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
 عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٢) والفرق الذي أصاب المسلمين في الحبشة
 بواسطة الزعامات القبلية والاطلمية وسواسطة النفعيين من بني جلدتهم هو
 خسارة في الدنيا كما رأينا حيث تتحكم الاقلية النصرانية على شئون المسلمين
 وخسارة في الآخرة كما توضح لنا الایة الكريمة ناهية عنا ان نكون مثل الامم
 السابقة التي اختلفت في أمرها يقول الله عز وجل (ولا تكونوا كالذي يسمن
 تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (٣)
 وما دام الامر كذلك فعلى المسلمين في الحبشة ان يعيدوا التفكير من جديد
 ليعرفوا ما اذا كانت طريقهم لنيل الحرية والحياة الكريمة وتحقيق الامال
 واللموحات صحيحة فيستمرروا فيها أم هم في طريق معوجة لا يوصلهم الى
 الهدف فيبحثوا عن الطريق التي تتلاءم مع مقاصدهم وأهد افهم النبيلة .
 واعتقد ان الفشل الذي مني به المسلمون في كفاهم المبرو ضد
 النصرانية في هذا القرن كاف ان يقتضهم جميعا بأنهم في حاجة ماسسة

(١) آل عمران ، آية : ١٠٣

(٢) آل عمران ، آية : ١٠٤

(٣) آل عمران ، آية : ١٠٥

بالمراجعة مع انفسهم لتصحيح الازواج والمفاهيم التي هم فيها لان كسل
سبيل غير سبيل الاسلام سيؤدي بالمسلمين الى الهلاك المحقق
(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)
والله نسأل ان يوفق المسلمين لما فيه خير الدنيا والآخرة .

••• ***** •••

المجلد الثاني

((أوضاع المسلمين في كينيا))

=====

أوضاع المسلمين في كينيا

عندما نتحدث عن الاسلام والمسلمين في كينيا فأننا نتحدث عن ظروف وأوضاع شديدة الاختلاف والتباين عن تلك الأوضاع التي مرت بنا في الصومال والحبشة ، لأن الأجواء السياسية في كينيا تحمل طابع الحرية للسدعوة والدعاة ، وليست هناك قيود مفروضة من قبل الحكومة والسلطات الدستورية على أنشطة الدعوة الاسلامية بل الأديان متساوية جميعها أمام القانون حسب الظاهر ، ومقتضى هذه السياسة فان الحكومة الكينية لاتحارب الاسلام علنا بل تصرح بين حين وآخر بأنها تقوى الاسلام وتساند أنشطة المسلمين وهذه الأجواء الهادئة وتلك الحريات الموجودة في المجتمع يستطيع الدعاة أن يقوموا بأعمالهم بكل ثقة وحرية ، ولذلك تعتبر كينيا حاليا البلد الوحيد في شرقي افريقيا الذي يستطيع المرء ان يتحرك في مجال الدعوة بانطلاقه قوية ، وكل ضعف يظهر من المسلمين يعود الى ضعف نفسى انفسهم ، ولا يجوز لأحد أن يلوم الآخرين لانهم انجزوا أعمالا مهما كانت هذه الأعمال هدامه ، أو معرقله في طريقه ، لأن أعمال الانسان مبنية على التنافس ، وهذا التنافس موجود في كينيا ، وخاصة بين المسلمين والنصارى ، وهذا مانراه في هذا الفصل بأذن الله تعالى .

نسبة المسلمين فى كينيا

المسلمون فى كينيا قوة لا يستهان بها لأنهم يشكلون نسبة عالية من عدد السكان الاجمالي البالغ ١١ مليون نسمة ، " يقدر عدد السكان فى كينيا بأحد عشر مليوناً وتقدر نسبة المسلمين بينهم ٣٠% أى ٣٣٠٠٠٠٠ مسلم وترتفع هذه النسبة الى ٥٧% فى قسما العالم الاسلامى لمصطفى مؤمن^(١) .

وتكثر هذه النسبة فى المناطق الساحلية ، والمناطق المتاخمة للصومال وتقل فى المناطق الداخلية ، وأما كان التعداد الحقيقى قللة وكثرة فان المسلمين يمتقدون أنهم أغلبية بالنسبة للدوائف الموجودة أو الأديان المنتشرة فى بلاد كينيا ، فالديانة المنافة هى النصرانية وهى ديانة جاءت مع القوات الاستعمارية فى القرن الماضى ولم يكن لها جذور تسيديمة فى هذه البلاد ، ورغم أنها هى الحاكمة بفعل العوامل الاستعمارية الا أنها ليست ديانة شعبية فى حقيقة الأمر ، وليس كون الحاكم نصرانياً أنه يحكم شعباً نصرانياً فى القارة الافريقية ، بل الوضع السائد فى القارة يوضح عكس ذلك فالطبقة الحاكمة غالباً نصرانية والشمسوب المحكومة مسلمة فى معظمها .

والذى يؤكد هذا الاعتقاد وجود قبائل وثنية كثيرة مثل قبيلة الماساى ، والتوركانا وغيرهما ، والقبائل الأخرى التى تمتق النصرانية لا يتمدى اعتناقها المظاهر الخارجية .

(١) محمود شاکر - المسلمون تحت السيطرة الرأسالية ص ١٤٧ ط٠ الثانية .

سير الدعوة الاسلامية في كينيا .

تعتمد الدعوة على عدة أساليب مختلفة :

١ - حلقات المساجد وهذا أمر منتشر في كثير من المناطق الاسلامية بصورة قريبة مما هو موجود في الصومال والحبشة ، وهي طريقة فعالة لأن تكاليفها محدودة جدا ، لأن المشايخ الذين يتولون تدريس الحلقات فسي المساجد متطوعون ولا ينتظرون راتبا شهريا ، والقاء الخطب الوعظية والارشادات العامة يلعب دورا بارزا في المتوجيه والتربية فان العلماء يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر بواسطة خلبهم ، والعامل الذي يضاعف اهمية الوعظ والارشاد وجود حرية الدين ، حيث ان المرء يمارس نشاطه الدينى مادام بعيدا عن الأمور السياسية ، مثل النقد الموجه للحاكم وأمثاله .

٢ - من الأساليب التي يلاحظها المرء في نيروبي مثلا المناظرات بين المسلمين والنصارى ، وغالبا ما يقوم بهذه المناظرات علماء من المسلمين خرجوا من الدين النصرانى بعد أن بلغوا مراتب عالية في الكنيسة وهؤلاء المسلمون يحضرون القرآن الكريم ويحضرون الانجيل في مكان المناظرة ويجمعون النصوص المؤيدة للقرآن التي وردت في الانجيل ، ويقابلونها بالآيات القرآنية التي تذكر نفس المعانى وغالبا تتركز المناظرة حول نبي الله عيسى عليه السلام ، وأمه مريم ، وعمته رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد حضرت بمحض المناظرات وأعجبت بالطريقة الشيقة التي دارت المناظرات كما أعجبت بمقدرة المسلمين بالحجة والدليل واقناع النصارى بالاسلام والشئ العجيب في كل مناظرة اعلان اعداد كبيرة باسلامهم وهو شئ مفرح جدا ، ومحل مثل هذه المناظرات

في الشوارع العامة والحدائق ، وهذه الطريقة مفيدة الى حد ما لأنها
 تعطى عامة النصارى فكرة صحيحة عن قضايا اسلامية هامة لا يتمكنون
 سماعها في غير هذا المكان ، لان القسيس لا يذكرون لاتباعهم من
 الحقائق في الانجيل ، بل يخفونها عنهم .

٣ - المدارس الاسلامية والهيئات الاسلامية القائمة في مجال الدعوة توجد
 مدارس اسلامية وكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ، هذه المدارس منتشرة
 في المناطق الساحلية والشمالية الشرقية وهي المناطق التي يسكنها
 المسلمون بصفة خاصة ، ومن بين هذه المدارس مدرسة الفلاح الاسلامية
 في اسيلو وهي تابعة للمؤسسة الاسلامية في كينيا ، ومعهد
 كسوني الاسلامي في مباسا وهناك مدارس ابتدائية اواعدادية
 لاتخرج كثيرا من الطلاب ، وكل بلد توجد فيه مدرسة اسلامية ابتدائية
 اواعدادية وتعنى بالمناطق الاسلامية ، ولقد زودت دار الافتاء هذه
 المدارس ببعض المدرسين ، ويبلغ عدد المبعوثين الى هذه المدارس
 من قبل دار الافتاء والرابطة حتى الآن ستين مبعوثا تقريبا وهو
 عدد لا بأس به ، ولكن نشاطهم في مجال الدعوة تدرسا وارشادا
 قاصر جدا الانشيط بعض الدعاة القليلين ، لأن الحواس اللام لهذه
 الدعوة والتخليط لشئونها والحكمة المطلوبة كل هذه الامور مفقودة
 لدى الغالبية العظمى من هؤلاء الأساتذة .
 وتعانى المدارس الاسلامية مشاكل كثيرة جدا .

أ - قلة المدرسين الكفاء ما جعل بعض المدارس معرضة للاقتال نهائيا
 ب - ان أغلب هذه المدارس بنيت بجهود الأهالي وليس لها دخل مستقل
 يمول مشاريعها ويسد حاجياتها ، وهذه نقطة ضعف شديدة ولا سيما
 اذا ادركنا أن هذه المدارس تنافس مدارس التبشير النصارى المنتشرة

هنا وهناك والتي تجد كل عون لازم من الهيئات الدولية والدول النصرانية أيضا ، ولذلك أصبحت هذه المدارس عاجزة عن تقديم أى عون لتلاميذهم كما تفعل مدارس التبشير ، وبالتالي فانها تفقد فى كثير من الأحيان عنصر الاستمرارية والدوام .

ج - تمنى هذه المدارس من عدم الاستقلالية عن المدارس الحكومية والسبب فى ذلك ، أن المدارس الاسلامية بضعفها لاتستطيع ان تعلم طلابها المواد العصرية مثل الحساب والعلوم والتاريخ والصناعات اليدوية بالاضافة الى اللغة الانجليزية اللغة الرسمية فى كينيا ومعرفة الطالب للمعلم العصرية واللغة الانجليزية ضرورى جدا لتوظيفه أو مواكبة ما يجرى فى المجتمع ، لأن اللغة العربية لاتعتبر لغة مفيدة فى كينيا ، ولا أثر لها فى النشاطات الاجتماعية .

ولهذا أصبح لزاما على طلاب المدارس الاسلامية ، ان يدرسوا العلوم الاسلامية واللغة العربية مساء ، وان يذهبوا الى المدارس الحكومية صباحا حتى يجمعوا بين الثقافة الاسلامية رغبة فى تعلم دينهم ولفنتهم والثقافة العصرية رغبة فى رفع مستواهم الاجتماعى وهذه الظاهرة شتتت ذهن الطلاب وتفكيرهم ، وهى نقطة ضعف خطيرة لهذه المدارس ، وهى التى استفادت منها مدارس التبشير لوضعها منهاجا موحدا فى مدارسها وتعاوننا اكبر فى مجال التبشير .

د - ومن عوامل الضعف التى أصابت هذه المدارس عدم وجود التعاون المطلوب بينها ، واذا تتبعنا أوضاع هذه المدارس فانك تجد أن كل مدرسة قائمة بذاتها ، لاتعاون ولا علاقة ولا تنسيق بينها أبدا وبين سائر المدارس نظائرها ، وفى غالب الأحوال تخضع كل مدرسة لشيخ معين وهو

مدير تلك المدرسة ولا يقبل أية نصائح من أخواته الآخرين ، بل نراه يستبد برأية وينفذ رغباته وأهواءه فيها حتى تجمدت هذه المدارس ولم تأخذ تلجورعا الطبيعي ، أو تخضع لجمعية معينة كل غرضها دنيوى ولا يهتمها تقدم هذه المدرسة أو تلك بقدر ما يهتمها جمع الأموال بواسطتها ، ورغم ضعف المدارس الاسلامية بالاسباب المذكورة فانها تؤدى دورا لا بأس به حيث تسهم فى نشر معانى الاسلام وتوجيه الناشئة وتعليمهم اللغة العربية ، بالإضافة الى أنها مظهر اسلامى يحول الوقوف أمام موجات التبشير وتياراته الجارفة ، وهذه الأمور رغم ضآلتها أمام قوة التبشير ومظاهر الانحرافات الأخرى فهى تؤدى دورا مساهما والشئ أحسن من لاشئ .

أما الكاتيب القرآنية فهى تؤدى دورا تقليديا فى المنطقة ، انها المفتاح الحقيقى للدعوة الاسلامية فهى تعلم الاطفال القرآن ، والقراءة والكتابة فهى موجودة بكميات كبيرة فى المدن والقرى والبادى وطريقة الكاتيب متشابهة فى منطقة الشرق الافرقى بصفة عامة.

الجمعيات الاسلامية :
الجمعيات التى تعمل فى كينيا باسم الاسلام كثيرة جدا فهى تصل الى المشرات منها ، الجمعية الخيرية الاسلامية ، والاتحاد الوطنى للمسلمين وجمعية الشبان المسلمين فى نهروى ، والمؤسسة الاسلامية ، جمعية الدعوة الاسلامية فى مباسا ، وغير ذلك من جمعيات " والجمعيات الاسلامية تدخل تحت مجلس واحد يشرف عليها وتأسس عام ١٣٩٣ هـ ويعرف باسم : (المجلس الاعلى لمسلمى كينيا) ويزيد عدد الجمعيات على ٥٢ جمعية " (١)

وانتاج هذه الجمعيات فى مجالات الدعوة قليل لأن معظم الذين يديرون هذه الجمعيات ليسوا من رجال الدعوة ، بل معظمهم منتقمون أسسوها

(١) المصدر السابق ص ١٤٨ .

لفرض جلب الأموال من الشعوب الإسلامية هذا هو الشعور السائد بين المسلمين في كينيا ، فعلى سبيل المثال تأتي منح دراسية الى هذه الجمعيات مسن قبل بعض المؤسسات التعليمية ، وتطلب الجمعيات من الطلبة تقديم اسمائهم للنظر في شهاداتهم وارسال المستحقين الى الدول الإسلامية لاكمال تعليمهم ولكن شيئاً من هذا لا يتم ، وإنما تطرح المنح في المزاد ويبيعون المنح الى الطلاب يأخذون منهم أموالاً طائلة وأكثرهم دفعا للمال هم الذين يفوزون بالمنح ، ومعظم هؤلاء يتاجرون باسم الدين ويلطخون سمعة الدعوة في أعين المجتمع حتى أصبحوا عقبة كبرى في طريق الدعوة وسمعة سيئة يروجها اعداء الدعوة ويطحنون الاسلام بسننهم .

وهناك قلة من الجمعيات الإسلامية التي تقدم خدمة الى المسلمين وتقوم ببناء مشاريع نافعة ، وتأخذ جمعيتين ك مثال لهذا النوع .

١ - المؤسسة الإسلامية :

انشئت المؤسسة الإسلامية في عام ١٩٦٣م من قبل هدد ضئيل من الفيورين على الاسلام لنشر الدعوة الإسلامية في افريقيا وبعث الاسلام من جديد وحقت بمض الانجازات في محيط الدعوة ونذكر جزءاً من هذه الانجازات :

١ - تمكنت المؤسسة من اصدار ثلاث طبعات من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة السواحلية بلغ مجموع نسخها ٨٢٥٠٠ طبعت المؤسسة الإسلامية ثمانية وعشرين كتاباً من الكتب الإسلامية المتنوعة باللغتين السواحلية والانجليزية ، وقامت لمرضها وتوزيعها مكتبة باسم (مركز الكتاب الاسلامي في نيروبي وهي المكتبة الوحيدة في كينيا يرتادها كل شخص يحتاج الى كتاب اسلامي) .

ب - شرعت المؤسسة في اصدار مجلة اسمها الاسلام باللغة الانجليزية

على رأس كل ثلاثة اشهر .

والجمعية نشاط في الأذاعة الحكومية وتقوم ببث عدة لغات من بينها

الصومالية والانجليزية والبورانية لتمسح الناس صوت الاسلام

بواسطة الأذاعة الرسمية .

ج - قامت الجمعية ببناء مركز في مدينة اسيلو ويضم مايلي :

١ - جامع اسيلو الذي تم افتتاحه رسميا يوم الجمعة ١٣ محرم ١٤٠١ هـ

٢ - معهد تحفيظ القرآن الكريم .

٣ - دار للأيتام .

٤ - مدرسة الفلاح الاسلامية وتتولى الجمعية اسكان الطلاب ورواتب

معظم المدرسين وهي مدرسة اعدادية .

د - اقامت الجمعية في ممباسا مدرسة ثانوية اسلامية باسم معهد كسونسي

الاسلامي ، وهذا المعهد يعتبر أول معهد من نوعه في كينيا ، ولهذه

الجمعية نشاطات أخرى أقل مستوى مما ذكرناه من بينها توظيف بعض

المدرسين المحليين للتدريس في المدارس الابتدائية التي لاتشرف عليها

الجمعية .

وهذه الجمعية تعطي أهمية قصوى لنشر التعليم الاسلامي في كينيا

وتبذل مجهودات جبارة في خدمة هذا الدين وتستحق الشكر والتقدير

من قبل المسلمين في كينيا لما تبذله في سبيل الدفاع عن هذا

الدين واناة الطريق للمسلمين ومطربة الجهالة المنفشية في المجتمع

ونسأل الله ان يوفقها لما فيه خير المسلمين .

٢ - جمعية الشبان المسلمين :

هذه الجمعية تقوم بأعمال اسلامية لا بأس بها وتركز جل نشاطاتها على الشباب وتثقيفهم وحمايتهم من التيارات الهدامة المختلفة كما تركز نشاطاتها بصورة رئيسية على الاقليم الشمالى الشرقى من كينيا ، أما لماذا اختاروا التركيز على هذا الاقليم ؟ فان المسئولين عن الجمعية يقولون ان هذا الاقليم من أكثر الأقاليم عرضة للتصير لما تعرض له من حروب طاحنة خلقت آلاف من الأيتام المرضى لخطر التبشير بصورة مباشرة تحت ضرورات الحياة ولها مركز فى نيروبي ومركز الرئيسى ، ومركز آخر فى مدينة قارسا ويعرف هذا المركز باسم مدينة الأطفال وعلى كل حال فان مثل هذه الأنشطة المحدودة تغطى العمل الاسلامى دفعة متواضعة كما أن وجود جمعيات جادة مثل هذه الجمعية وسابقتها تنفرد الهيئات الاسلامية والمحسنين ببذل المساعدات الممكنة لمثل هذه الجهات تشجيعا لأعمالها الخيرية ، ومع ان الحرية الموجودة فى كينيا عامل هام جدا فى نشر الاسلام الآن هناك عقبات كثيرة فى طريق الدعوة بعضها يعود الى أسباب داخلية والبعض الآخر يعود الى أسباب دولية خارجية .

فالمسلمون فى كينيا يعيشون فى حالة ضعف شديدة ، فهم لا يستطيعون التنافس مع الآخرين ، فالوحدة الاسلامية مفقودة بينهم ، بل عوامل التفتت والاختلاف متوفرة ، بل تحدث حروب طاحنة بين القبائل الاسلامية لأنفسهم الأسباب وبدون أسباب أيضا ، فهم لا يشعرون بالخطر المحقق الذى يهدد كيانهم ، فانعدام التعاون وعدم الشعور بالمسئولية الملقاة على عاتقهم عقبة كأداء فى طريق نشر الدعوة .

والمسلمون ضعفاء من الناحية التعليمية حيث لا يمكن لهم الاستفادة من الظروف الطالية التي تتيح لهم تدريس الاسلام في المدارس الحكومية وهذا وضع يعطى الطوائف الدينية وخاصة النصرانية والاسلام حرية تدريس دينهم نفسى المدارس الحكومية " لأن الحكومة الكينية قد عينت لجنة تضم خير الأساتذة الجامعيين وغير الجامعيين من المسلمين لوضع مناهج اسلامية ، وقد فرغت هذه اللجنة من وضع هذه المناهج ، ولكن كيف يمكن تنفيذها ونحن نفتقر الى المدرسين المسلمين المؤهلين الذين تؤهلهم ثقافتهم للجمع بين التعليم المدنى والدينى " (١)

فإذا وجد بعض المثقفين وهذا نادراً فانهم يحتاجون الى اعاشة مالية وهذا مستبعد جداً لعدم توفر الأموال اللازمة لدى الفيورين ولعدم وجود هيآت تتحمل مسئولية المدرسين .

ومن المؤسف جداً ان الدول الاسلامية القادرة على تحمل المسئوليات تجاه هذا الموضوع من الناحية المالية لم تقدم المساعدة المطلوبة ، والهيئات الاسلامية التي ارسلت بعض الدعاة الى كينيا مثل دارالافتاء والرابطة العالم الاسلامى التابعين للملكة العربية السعودية تفتقر الى النظام بل يبدو ان الهدف الحقيقى والامر المطلوب للدعوة فى كينيا ليس واضحاً أمام تلك الهيئات ، لأنها ترسل دعاة من مختلف الجنسيات ومعظمهم لا يعرفون اللغة الانجليزية والسواحلية الرئيسيتين فى مجتمع كينيا ، ويربى كل واحد فى مكان ما ويهمل اعمالاً شديداً ، بل ليست هناك متابعة فى أعماله ونشاطاته وكثير منهم لا يجد راتبه الشهرى فى الموعد المناسب ، وأكبر القضايا التى

(١) تقرير عن أحوال المسلمين فى كينيا - جمعية الشبان المسلمين ص ٨ .

يشيرها الدعاة بين الناس في كينيا هي قضايا جانبية ، وسببها تحدث مشاحسات وحروب حقيقية تشتبك الأيدي أحيانا ، وفي أغلب الأحيان لاتخلو من أساليب عقيمة جدلية ، كان الدعاة في غنى عنها لو استخدموا الحكمة المطلوبة للدعاة والدعوة ، وهذه الأسباب لايقومون الدور الأساسي للدعوة ولا يخوضون المعركة الحقيقية ، بل يخوضون معارك وهمية لانتصار فيها فعلى سبيل المثال أعلن الرئيس الكيني دانيال عرب موسى بأن اللغة العربية أصبحت مادة مقررة في الجامعات والمدارس بصفة رسمية ، فهذا الأمر له أهمية كبيرة لأنه يكسر الطوق المفروض على اللغة العربية في كينيا ، ولكننا مع الأسف لم يتحس لهذا الأمر أحد ولم نزل له صدى في وسائل الاعلام في البلاد العربية ، ولم تقدم الدول العربية أية مساعدة تذكر في سبيل خدمة اللغة العربية في كينيا ، والمجيب في الأمر أننا نسمح ضجة كبيرة عندما يذكر معهد في أوروبا وأمريكا عرضا بأنه يقرر اللغة العربية على طلابه وتنهال عليه المساعدات السخية ، أما أقرب البلدان الى العالم العربي بنض النظر عن كونه بلدا اسلاميا بالمعنى الصحيح فانه لايعنيننا كثيرا كأن اللغة العربية لايجوز لها ان تنتشر في افريقيا الاسلامية ، ويبدولى ان المسلمين لا يستفيدون في تلك الفرصة النادرة التي تقدم خدمة جليلة للدعوة الاسلامية وهذه السطور التي ذكرناها تعتبر عقبة في طريق الدعوة وهي تابعة من داخل أنفسنا ، وهو جزء من المعجز الكبير الذي سيطر على المسلمين في انحاء العالم الاسلامي بأسره .

وهذا المعجز الخطير الذي نلاحظه في الأمة الاسلامية قد جرهم الى الاستسلام والخضوع للمخططات الفتاكة التي تفرضها الدول الأجنبية عليهم لأن المسلمين اليوم يعتقدون أنهم لا يستطيعون القيام بالنهضة المطلوبة لأوطانهم

وأمتهم ، ويرون الدول الكبرى القدر الذى اطاعته والانقياد اليه ، ونسوا رسالتهم السماوية وما ينهى تجاهها من أعمال ، بل فقدوا القيمة الحقيقية لوجودهم فى الأرض ، وهى الخلافة ودعوة الناس الى الاسلام حتى تفككوا وتمزقت أوصالهم وانعدمت وحدتهم فلم يعد جزء من أجزائهم يعلم حقيقة ما يجرى فى الجزء الآخر ، واذا علم بعضهم أخبار البعض أحيانا ، فذئبهم لا يقدمون المسون المطلوب الى البعض الآخر ولا يميرون الاهتمام المطلوب ، بل ان بعضهم يشمل الحروب ضد البعض الآخر ، بكل قسوة وجفاء وخف ، وتختلف معاملتهم مع الكفار ، وهم يعمدون عن الأوصاف المطلوبة من المسلمين وانعكس الأمر لان المسلم يجب ان يلين لأخيه ويشدد على عدوه كما قال الله عز وجل ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)) (١)

” وقد كان الدكتور (كريف) أول من دخل هذه الديار - شرقى افريقيا - وذلك أنه طرد من بلاد الحبشة سنة ١٨٤٤م فهبط الى ممباساة ثم تبعه آخرون من المبشرين أخذوا يطفون عرض البلاد فاتسمت أعمالهم على الشواطىء منذ سنة ١٨٧٤م ” (٢)

هذه هى البداية الفعلية للتبشير النصرانى فى شرق القارة الافريقية باقرار من المبشرين أنفسهم ، ومنذ قدومهم ووطأة أقدامهم على المناطق الساحلية فانهم كانوا جنودا لدولهم ، وأن الدول كانت تقدم اليهم كل ما يحتاجون اليه من مساعدات وارشادات ، وما يؤيد هذا الكلام مقاله ” السير بارسى خيروار ” حاكم افريقيا الشرقية الانجليزية فى المؤتمر الذى أقامه المبشرون على ظهر الباخرة ” عالف ” فى البحر الأحمر أنه يجب على الحكومة وعلى المبشرين أن يشتركوا فى العمل ضد الاسلام ” (٣)

(١) سورة الفتح : الآية : ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٨ .

وهكذا كان التبشير في البداية قوة استعمارية موجهة تريد تغيير الديانة الرسمية للافريقيين وهي الاسلام ، وتريد تغيير ثقافة الاسلام والتقاليد التي تأصلت في المجتمع الافريقي عبر دعاة الاسلام •

مخاطر التبشير في كينيا :

الحديث عن التبشير النصراني في كينيا مرتبط بالاستعمار الاوروبي في افريقيا ، وفي شرقى افريقيا بشكل خاص ، لأنه جزء لا يتجزأ عن الاستعمار ، فالتبشير يقدم أكبر خدمة للدول الاستعمارية لأنه يهد الطريق لنشر النصرانية بين الأمم المختلفة ولقد صرح بذلك اللورد بلفور رئيس الشرف في مؤتمر أدنبرج سنة ١٩١٠م عندما قال : " ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ، ولولاهم لتمذر عليها ان تقام كثيرا من المقبات ، وعلى هذا فنحن في حاجة الى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين ^(١) " ولذلك لم يكن التبشير قديما في افريقيا وانما جاء مع القوة الاستعمارية بصورة عامة ، فالقارة الافريقية لم تشهد تبشيرا نصرانيا من قبل القرن التاسع عشر ، ومعنى هذا ان النشاطات التبشيرية تزامنت مع النشاطات الاستعمارية الأخرى في القارة لأن كليهما يعملان لصالح الحضارة الغربية التي لا تقر حقوقا لغير الأوروبيين .

ولم يكن قبول النصرانية لدى الافارقة بصورة عامة مشجما ، بل النفور والكراهية وعدم قبول التحالف النصرانية كانت الأوضاع السائدة لدى معظم الافريقيين الوثنيين ، لأن هؤلاء عاشوا مع المسلمين واعتنق كثير منهم الاسلام وتزوج منهم المهاجرون من جزيرة العرب وتزوجوا منهم ، واختلط بعضهم ببعض بدون تحفظ ، وعندما جاء المبشرون وأعلنوا دينهم وأهدافهم وجد الناس صورة

(١) ل شاتليه - الحضارة على العالم الاسلامي ص ٤٨ .

تخالف ما القوة من تعامل المسلمين وليسوتهم وتواضعهم ، ولذلك لم يحدث تألف بين الافريقيين والمبشرين الاوروبيين وهذا ما اعترف به بعض النصارى ، والفضل ما شهد به الاعداء ومن بينهم الاستاذ وسترمان : " حينما يمتنع الزنجى الاسلام فانه يصبح عضواً فى هيئة اجتماعية أعلى ، ثم هو يبلغ بسرعة الى الشعور بالثقة بنفسه ، والى الشعور بمقامه كما يشعر انه قد أصبح عضواً فى منظمة منتشرة حول العالم كله ، ان الزنجى الذى كان يعيش فى الأدغال محتقرا يصبح بالاسلام ذاقسام ، أما اذا انتقل الوثنى الزنجى الى الجماعة النصرانية فان الذى يحدث هو خلاف ذلك تماما ، اننا نحن الاوروبيين نبقى دائما غرباء ، عن الافريقى ، وحينما هو يتبنى حضارتنا فىي ظاهرها فانه فى الحقيقة لا يفهمها ، اننا لم نكلف انفسنا عاء الاهتمام بفهم حضارته ، وفوق ذلك لانجد الزنجى المتدين بالمدينة الأوروبية يبلغ تلك المساواة الاجتماعية التى ييلفه اياها الاسلام

بطبيعة الحال ثم هناك نفر من الاوروبيين قلما كلفوا انفسهم عاء فى اخفاء حقيقة هى ان الأسود المسيحي^(١) لا يزال مقتصرا فى أعينهم كالزنجى الذى يسكن الأدغال ، كما انه ليس من النادر ان ترى هؤلاء ينتهزون كل فرصة يظهرون فيها تفضيلهم للـسود المسلمين على السود المتصريين ، تلك الحقيقة وحدها تفسر لنا بكل وضوح واقعا هو ان الافريقيين الذين تلقوا فى المدة الأخيرة تعليما نصرانيا قد انقلبوا دعاة للاسلام وبما ان الافريقيين لا يأملون أبدا ان ينالوا بالنصرانية مقاما اجتماعيا مساويا لمقام اخوانهم فى العقيدة من النصارى الاوروبيين فقد نشأ فيهم استعداد لأن يروا فى الاسلام الدين الوحيد للافريقى الحديث^(٢) هذا التعليق يوضح لنا اكثر فأكثر

(١) الأسود تصغير اسود كما ورد فى الكتاب الذى نقلت عنه النص وهى بالثقة فى التحقير .

(٢) الدكتور مصطفى خالدى - الدكتور عمر فروح - التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ط . الخامسة .

الصعوبات البالغة التي واجهها المبشرون في افريقيا كما وضع لنا حداثة عهد الاوروبيين في أعان القارة الافريقية وقلة خبرتهم لشموبها ، كما نلاحظ تلك الثقة الكبيرة التي يكنها الافريقيون للاسلام وتماليه ، وسرعة انسجامهم مع هذا الدين الخفيف لأنه دين الفطرة المبني على اليسر لا العسر ، وعلسى الرحمة لا القسوة ، وعلى الأخوة والمحبة لا على المدوان والكرهية ، ومع هذه الظروف واصلت الدول الاستعمارية والهيئات التبشيرية جنبا الى جنب جهودها المتواصلة التي لم تعرف الكلل والملل لتحقيق اهدافها المرسومة وهو تحويل القارة الافريقية الاسلامية الى قارة نصرانية أوروبية ، وجندت الطاقات الهائلة لهذا الغرض وربت أجيالا من الشباب الافريقى تحت رعايته الكنائس والقساوسة لتولى مقاليد الأمور فى القارة بأكملها بعد رحيل المستعمرين من القارة لينفذ الجيل النصرانى الجديد خطط النصرانية بكل هدوء واطمئنان ، وبطريقة بعيدة عن الشبه والشكوك التي تصاحب للمبشرين البيض عند تنفيذ أغراضهم وبرامجهم لأنهم غرباء فى القارة كما قال وسترمان فى كلامه السابق ، وهذه الخطة وضمت لتنفيذ ما عجز المستعمرون من تحويل الشموب الافريقية الى النصرانية ومع أن غالبية الشموب الافريقية مسلمة حيث يشكل المسلمون فى القارة ٥٢% من مجموع السكان^(١) والباقيون ينقسمون الى قلة نصرانية وثنية وهم أكثر من النصارى بكثير مع هذه الحقيقة المرة فان القارة الافريقية صورها الغرب بأنها قارة نصرانية لأن معظم الرؤساء الذين حكموا القارة بعد جلاء الاستعمار كانوا ممن تربوا بأيدي القس وتصوروا .

(١) محمود شاکر - المسلمون تحت السيطرة الراسمالية ص ١٨٣ ط ٠ الثانية

والأوضاع في كينيا لا تختلف عن بقية المناطق لأن الأقلية النصرانية تحكم البقية من الشعب ، وما دامت الحكومة نصرانية فلا بد من وجود تبشير قسوى فيها يجد التسهيلات اللازمة من الحكومة ومن الهيئات الكنائسية في العالم ، وكينيا من المناطق التي تعطي النصرانية اهتمامات واسعة وتعلق عليها آمالا عريضة ، ولقد عقد مؤتمر الكنائس العالمي في نيروبي عام ١٩٧٥ * وحضر في نيروبي ٣٠٠٠ مبشر حلوا في نيروبي ومعهم امكانيات مادية كبيرة وعقد المؤتمر الخاص للكنائس العالمية في نيروبي له دلالة على أن الخطر الصليبي بلغ أوجه في غياب الدعوة الاسلامية العالمية المنظمة ^(١) .

ان هذا المؤتمر الهام الذي عقد في نيروبي يعطينا برهانا قاطعا بأن التبشير قد أحرز انتصارا هاما في كينيا وحقق أهدافا كانت حلما بحيد النال بالأمن القريب ، ولا غرابة في ذلك ، لماذا ؟ لأن المجال خال من الدعوة الاسانمية الجادة والهيئات الاسلامية المنظمة التي تستطيع الوقوف أمام زحف التبشير ونشاطه الكبير ، فخلو البلاد من الدعوة الجادة أعطى التبشير أكبر فرصة ممكنة فاستفاد منها وكثف جهوده وأنشأ المؤسسات التعليمية والصحية وشيد الكنائس بطريقة منتظمة في انحاء البلاد ، وبفضل تلك الجهود الجبارة تحولت البلاد الى بلاد نصرانية شكلا ومضمونا فالحكومة نصرانية ، والكنائس منتشرة في نطاق واسع وجميع المظاهر مثل الاعياد الاسبوعية والسنوية تتمشى مع التقاليد النصرانية ، فالأحد هي الاجازة الاسبوعية ، كما أن أكبر عيد سنوي هو عيد الميلاد المسيحي .

(١) مجلة المجتمع الكويتي العدد الثلاثا ٢٩ ذ (القعدة سنة ١٣٩٥ هـ .

ومع ان الاسلام في كينيا قديم جدا وخاصة في المناطق الساحلية مثل ممباسا وملندي ولامو وغير ذلك الا ان وضع المسلمين اليوم من ايسة ناحية من نواحي الحياة لا يفرح صديقا ولا يحزن عدوا ، فهم ضمفا الى ابعاد الحدود بعيدون عن الحياة الحقيقية ، منمزلون عن الأنشطة المختلفة فهم يعيشون في هامش الحياة السياسية والاقتصادية ، ولا علاقة لهم بمجريات الأحداث والتغيرات الهامة التي تتجدد في حياة المجتمع بشكل أو بآخر ، فليس لهم وزن يذكر أو صوت يسمع ، فهم مشغولون بخلافاتهم الداخلية وخرابهم الجانبية ، ومجادلاتهم المقيمة التي لا تنتهى بحد معين .

فالتبشير ينطلق من تلك المفاهيم الواقعية التي يعيش فيها المسلمون ويضعف جهوده المضنية في القبائل الوثنية ويهاجم المناطق الاسلامية بين فترة وأخرى ويكسب بعض الجولات في تلك المناطق ، ويخسر أحيانا ولكنه لا ينسحب من المعركة بل يعيد الكرة تلو الكرة .

فالتبشير في كينيا نشيط جدا ويتعاونون فيما بينهم اى ان جميع المذاهب النصرانية الموجودة في كينيا تتعاون رغم كل شىء " ولهذا السبب تعتبر كينيا من البلدان القليلة في العالم التي تتضافر فيها جهود النصرانية وتتوحد بالرغم من اختلافاتها المذهبية ، ومن أجل هذا فانهم أسسوا مجلسا وطنيا يعرف باسم (المجلس الكنسى الوطنى الكينى) واهدافه كما يلى :

- ١ - مساعدة الكنائس للوصول الى كل مكان في كينيا .
- ٢ - مساعدة كل فرد في كينيا ، وذلك عن طريق مراكز التدريب المهني المنتشرة التابعة لها وتسهيل سبل العيش لكل فرد من القرى النائية عن المدن .
- ٣ - مساعدة الكنائس على جعل التعامل النصرانية تتسجم مع التطورات السياسية والاجتماعية طبقا لحياة البلاد اليوم ^(١) .

(١) المسلمون في كينيا - تقرير جمعية شبان المسلمين ص ٣ - ٤ .

ولهذا المجلس نشاطات واسعة في مختلف ميادين الحياة ومن بين تلك النشاطات ما يقوم به المبشرون من بث برامج عبر الاذاعة صوت كينها " فانهم يقدمون سنويا ٣٥٠٠ برنامج في الاذاعة اي معدل ١٢ ساعة ونصف ساعة اسبوعية باللغات الانجليزية والسواحلية واللهجات المحلية اما البرامج المخصصة للمسلمين فهي ٣ ساعات و ٥٠ دقيقة كل اسبوع باللغة السواحلية والصومالية والهورنية .

وللمجلس الكنائسي ادارة خاصة تشرف على جميع برامجها الازاعية ولها موظفون يتولون الاشراف واخراج هذه البرامج .

اما المسلمون فليس لهم برنامج محدد تنظمه ادارة معينة ، اما جانب التعليم فان الكنيسة الكاثوليكية قد بنت ٣٠٠ مدرسة ابتدائية وأكثر من ١٠٠ مدرسة ثانوية بالاضافة الى اعداد من كليات تدريب المعلمين . وفي الميدان الصحي فان الكنيسة البروتستانتية تقوم لوحدها بالاشراف على ١٥ مستشفى ، و ٢١ عيادة وتقوم الحكومة بتقديم المساعدات المالية لها للمحافظة على هذه الخدمة الصحية اما ما يتعلق بالاعانات المالية فان المجلس الكنسي قد صرف مبلغ ٢٠٠٠ر ٢٤٣ر ٢ شلن الى أكثر من مليوني شاب وذلك في عام ١٩٧٠م لبناء مراكز للتدريب واقامة ملاجئ للاطفال وتسهيل الخدمات الاجتماعية ، وانشاء مصانع محلية للشبان هذه بعض الانشطة التي يقوم بها المجلس الكنسي في كينها وهو ملخص موجز (١) .

(١) المصدر السابق ص ٤ - ٥٥ .

فمعظم جهود المبشرين كان منصبا على الوثنيين ولكنهم فى السنوات الأخيرة وجهوا مجهودات كبيرة الى المناطق الاسلامية وخاصة المناطق الشمالية الشرقية ، والشمالية الغربية بصورة اكثر تركيزا من أية منطقة أخرى فى البلاد ، اختارها المبشرون لما أصابها من حروب مدمرة ومجاعات شديدة ، ومنذ سنة ١٩٦٢م كانت المنطقة مسرحا لقتال خفيف بين كينيا وبين الاهالى واستمرت الحرب حتى عام ١٩٦٨م وخلفت الحرب عشرات من الأيتام الذين لا يجدون الرعاية المطلوبة كما خلفت فقرا شديدا ، بهذه الظروف القاسية التى مرت على المنطقة ودمرت كيانها وغيرت تكوينها الاجتماعى تدخلت الهيئات التبشيرية وأقامت مراكزها فى كل قرية أو بلدة وقدمت مساعدات للأطفال وهيئت ملاجئ لهم تقدم الواجبات الغذائية من خلالها ، " ومن المراكز التى أقامها الكاثوليك تلك التى أقاموها فى كل من اسيلولو ، ومارسابيت ، وواجير ، وموالى ، وسارتسى ، وما نظيرا ، وقاريسا ، وكانت جميع هذه المراكز التى بناها الكاثوليك تحت اشراف اسقف ميرو الكاثوليكى وبدأ الاطفال المسلمون الأيتام يتلقون تدريجيا التعاليم النصرانية فى هذه المراكز ، بل ان بعضهم نشئوا بواسطة هذه المراكز مسيحيين نظرا لنشئتهم داخل هذه المراكز التى يسيطر عليها الكاثوليك ، ويضم ملجئ الأيتام فى اسيلولو وحده حوالى ٤٠٠ يتيم ويشرف عليهم شخصا اسقف ميرو أما المرتى فيضم مركزها ٢٠٠ يتيم تقريبا .

أما المراكز الموجودة فى منطيرا فيضم ما يقرب من ١٠٠ طفل^(١) .

فالمبشرون يستخدمون الحيل لجلب الاطفال ثم يطولون بتدبير المخطوف من قلوب الاهالى بتقديم الخدمات الاقتصادية مثل تقديم الجرارات للمزارعين وأخذ أجره أقل من الأجرة الشائعة ، وفى بعض المناطق ينسبون

المساجد للأطفال وطلبوا العمون من الأهالي فأعطوهم الأموال لاكمال المسجد ومن الحيل ان المبشرين بعد أن بنوا مسجدا طلبوا من الأهالي ان يعينوا لهم معلما للأطفال المركز لتعليم القرآن الكريم ويدفع المركز للمعلم راتبا شهريا ، ويمثل هذه الطرق يكسبون سمعة طيبة لدى الناس ، وبعد تبديد المخطوف والشكوك يبدأون أعمالهم ويفرسون في نفوس الأطفال ما يريدونه من المبادئ الهدامة والأفكار المنحرفة والمقائد الباطلة ، والأمر الذي يستحق الإشارة ان المبشرين يعلمون الأطفال بمض الحرف المهنية والصناعات اليدوية مثل النجارة والخياطة وصناعة الاحذية وغير ذلك حتى يبعثوا الشكوك من قلوب الاطفال ، لان الأطفال يختلطون دائما مع اهاليهم ويسمعون منهم الأحاديث المتعلقة عن النصارى وخطورتهم كما يسمعون منهم التحذيرات المتكررة .

وعندما زرت في العام الماضي أحد هذه المراكز وطلقت حول المشاريع التي أقامها المبشرون رأيت أول ما رأيت مسجدا يتسع من مائة وصل وفي داخله بعض المصاحف وعلى مقربة منه تقع مساكن الأطفال والفصول الدراسية ، وفي جئت بأنهم يتعلمون القرآن الكريم بواسطة الألواح الخشبية ويصلون في ذلك المسجد ، وعلى بعد أمتار تقع مزرعة فخمة تنتج الأظعمة والفواكه للمركز ويعيش في هذا المركز بصفة دائمة أكثر من سبعين طفلا .

عندما رأيت هذه المناظر المتناقضة مسجد ، ومدرسة تحفيظ القرآن يربطهما المبشرون النصارى حزنت حزنا شديدا وقلت في نفسي ما الفرق بين هذه الصورة وبين مسجد الضرار في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

الفرق بينهما شيء واحد كان بناء مسجد الضرار من المنافقين أما بناء مسجدنا هذا ومدرستنا هذه فأنهم نصارى معروفون عقيدة وهدفا ، ومع ذلك فان المسلمين الذين يعيشون معهم لا يشعرون بأي خطر ، لأن الحصن قد تبدل ،



أطفال المساعدين في المنطقة الشمالية الشرقية يقفون في المركز النصراني في قاريا
و بعضهم للإسبون الصليبات «علما انه هذه المظنم الواقعة في الحدود الكينية جميع
كانا مسجونين»

MUSLIM CHILDREN FROM THE NORTH EASTERN PROVINCE OF
KENYA AT A CHRISTIAN CENTRE. NOTE THAT SOME ARE
WEARING CROSSES.



ومات الاحساس المرهف ، وحدث لهم انقلاب هائل في تفكيرهم وسلوكهم ، ولو انهم بذلوا جزءا من اموالهم أو من زكاة اموالهم وتولوا مثل هذه المشاريع ورسوا هؤلاء الاطفال بأيديهم لانتج هذا المشروع ولكن دور الدعاة واصحاب الاموال مفقود تماما ، فحق للمبشرين أن يصادوا أطفالنا بهذه الطريقة ويمرئهم ، ويسمع من المسلمين ، وهكذا استفحل أمر التبشير وشق طريقه الى المسلمين في هدوء ماكر ، وفي وسطامة اسلامية لاتدرك مخططه ولا تفكر في مستقبل اطفالها بالتفكير الجاد .

لقد حقق المبشرون انتصارات كبيرة ولكنها تخلف بين منطقة وأخرى وحتى ندرك حقيقة الأوضاع نأخذ مديرية اسيولوكمثال " عدد سكان المديرية ١٥٠٠٠٠ نسمة ويمتنق معظمهم بالدين الاسلامي اذ تبلغ نسبة المسلمين ٨٠ ر ٨٥ ٪ من مجموع السكان لأن دخول الاسلام فيها قديم وقد جاء بواسطة القبائل الصومالية وبعض التجار الذين سكنوا في عاصمة المديرية والمراكز الهامة فيها مثل مرتى وعريا تسولا .

أما النصرانية في المديرية فلم تدخل فيها الا بعد عام ١٩٥٩م فلم تعتمد من اسيولو الا بعد انتهاء الحرب المدمرة التي اشتملت في المنطقة ، وبظروف الحرب والعوامل الناتجة منها مثل الجوع والفقر وقلة الامطار فسئ السنوات الأخيرة حقق المبشرون انتصارات متلاحقة ، فسئ منطقة مرتى التابعة لاسيولو البالغ عدد سكانها ٨٠٠٠ نسمة قد تنصر منها عدد يقدر ما بين ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ شخص حتى الآن مع العلم أنهم كانوا مسلمين جميعا حتى عام ١٩٢٠م لان اهل مرتى تأثروا بالحرب المذكورة والجفاف الذي أنهكهم وأباد الحيوانات " (١)

(١) تقرير خاص أعده بعض الدعاة عام ١٩٨٢م ص ٣ - ٤ .

وما جاء في التقرير السابق في مديرية مرسا بيت المجاورة * اذا

نظرنا الى الاحصائيات الخاصة بالمدارس في مديرية مرسا بيت نجد ان اغلب

المدارس في المديرية ابتداء من الروضة تديرها الفرق التبشيرية .

١ - هناك ١٤ مدرسة ذات داخلية في المديرية ٩ منها تابعة للتبشير

٢ - ان الداخليات التي تديرها الفرق التبشيرية مليئة بالعدد المطلوب

٣ - ان اعداد الطلاب في الثانويات منخفضة جدا كما ان عدد المعلمين

المسلمين منخفض جدا .

٤ - ان الفرق التبشيرية المتعددة قد اشتركت في تلك الانشطة كل يهدف

الى تنصير المسلمين والوثنيين .

٥ - ومن الملاحظ أيضا ان نسبة عدد الطلبة المسلمين في الابتدائية عالية

جدا لأنها متمشية مع تعداد المسلمين بعكس المراحل الثانوية

لأن جزءا كبيرا منهم قد تنصر أو لم يتمكن من مواصلة التعليم للظروف

الاقتصادية الصعبة التي يعيشون فيها ^(١) .

هذه أمثلة موجزة عن النشاطات التبشيرية في كينيا ، ورغم أن معظم

المسلمين في كينيا يرون ان المبشرين لم يفلحوا في أعمالهم ونشاطاتهم

لغفلة في عقولهم ، وخصول في أذهانهم المتجمدة .

الا ان الحقيقة المرة غير ذلك والأرقام تنطق بحقائق مذهلة ومثيرة

ينزعج منها المسلم ويتحسر على حدوثها ، بل الدلائل التي لاتقبل الجدل

والمناقشة تؤكد لنا بأن هناك غزوا حقيقيا قد وقع فعلا في كثير من المناطق

الاسلامية المريقة بالاسلام مما أدى الى تنصير آلاف من أبناء المسلمين

(١) المصدر السابق ص ١٩ .

وارتدادهم عن دينهم الاسلامي ، كما يعتمد آلاف آخرون في حياتهم اليومية على الهيئات التبشيرية المنتشرة في كل المناطق الاسلامية المجهزة بمختلف الامكانات المادية مثل المدارس الحديثة والمستشفيات وعشرات من الموظفين المجندين لفرض التبشير مما يجلب اليهم أنظار المحتاجين والفقراء والمرضى ، وهذا الأمر وحده نذير الخطر في الموضوع ولا سيما اذا عرفنا أنه لا توجد جهود اسلامية مذكورة بجانب تلك الجهود الجبارة والامكانيات المتوفرة لدى الهيئات التبشيرية وهذا الأمر يستحق التفكير والتدبر واعادة تخطيط الدعوة من جديد لدى مسلمي كينيا بصفة خاصة ، لأنه اذا استمر الحال على ما هو عليه الآن ربما يشكل في المستقبل القريب تغيرا اجتماعيا ودينيا ، لان الردة الجماعية التي حدثت في منطقة اسيلو لا يستبعد حدوثها في مناطق أخرى لان الظروف القاسية التي هيئت جو الردة وسهلت مسجودتها ايضا في كثير من المناطق الأخرى الواقعة في شمال كينيا ، فاستمرارها بهذه الطريقة يبشر بمستقبل مظلم وحالك لمسلمي كينيا ما يوجب عليهم مضاعفة الجهود لنشر الدعوة والوقوف أمام التيارات الزاحفة التي ترمي الى استئصال الدين واقتلاع جذوره .

كما ينبغي على الشعوب الاسلامية الأخرى ان تعدد العون الذي هو لأ الضحايا الذين وقعوا بايدي اعدائهم ، واصبحوا تحت رحمة المبشرين الذين يريدون ان يبدلوا دينهم استغلالا لظروفهم السيئة التي أصابتهم ، لان هؤلاء المبشرين لم يأتوا الى هذه البلاد وغيرها من البلاد الاسلامية رحمة لشعوبها وشفقة على فقرائها ولكنهم جاءوا من اوروسا وامريكا لتنفيذ مخططاتهم الهادفة التي ينفقون هذه الأموال الطائلة لأجلها ، ألا وهي اخراج المسلمين عن دينهم او كسب شعوب بواسطة التبشير مثل الشعوب الوثنية التي يبشرون بها الديانة النصرانية ليجعلوها في صفوفهم دائما وأبدا ، وهذه الاطمساع

والاحقاد ليست أمورا جديدة بل هذا دأب النصارى واليهود عبر القرون
ولقد حدثنا القرآن الكريم عن حيث نيتهم وشدة كراهيتهم للمسلمين عندما
قال الله تعالى : ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد
إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق
فاغفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شئ قدير))^(١)
كما قال الله عز وجل فى آية أخرى : ((ودت طائفة من أهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشمرون))^(٢) كما تصدق عليهم هذه
الآية الكريمة يقول الله عز من قائل : ((ودوا لو تكفروا كما كفروا
فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله
فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذو منهم وليا
ولا نصيرا))^(٣) .

ورغم ان هذه هى حقيقة النصارى كما عرفهم العالم الاسلامى فى
القرون المتلاحقة الا ان الهيئات التبشيرية وكل من يقدم اليهم الدعم والمعونة
يعتليون تحت اسماء براقية تشمر الضحايا بأنهم كما سمهم يحصلون الرحمة والبشرى
ولم يأتوا الا لانقاذهم من الضياع الذى هم فيه ، وهذا الشمر الطيب مسن
قبل ضحايا التبشير هو الذى يوقعهم فى الفتنة فى نهاية المطاف ، لأن
تقديم خدمة كهذا الى مثل هؤلاء المحتاجين ليس أمرا يسيرا فى نفوسهم
ولا ينبغى ان ننظر الى هذا بمجرد مساعدة تقدم الى الفقراء والمحتاجين

(١) سورة البقرة : الآية : ١٠٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية : ٦٩ .

(٣) سورة النساء : الآية : ٨٩ .

بل هذا دليل الردة الذى يقود العرء الى اعلان الردة فى النهاية كما أن
شعور الحب والولاء الذى يكن لهؤلاء المبشرين الذين انقذوه من الضياع
يحل فى طياته ناقوس الخطر لأنه جسر بين المبشرين وبين هؤلاء الساكنين .
نشاط اليهود فى كينيا :

كما سبق أن اشرنا فان كينيا مفتوحة لجميع الدعوات مهما كان نوعها
ولا توجد قيود ظاهرة على النشاطات التى يقوم بها اصحاب العقائد والمذاهب
المختلفة داخل كينيا ، وفى هذا الجوال الذى اشرنا اليه سابقا تحركت جميع
الفرق ومن الفرق العاملة اليهود ومع أن اليهود ليس لهم وجود كبير فى كينيا من
الناحية العددية الا انهم نشطوا فى كينيا تحت مختلف الوسائل والظروف
ونجحوا فى تكوين فرقة يهودية من السكان الافريقيين علموهم بعض الشعارات
اليهودية وتقوم هذه الفرقة بنشر اليهودية وهذه الفرقة تلبس لباسا أبيضاً
رجالاً ونساءً ويخرجون يوم السبت الى الشوارع فى نهريى وهم يضربون الطبول
ويقراون أناشيد ويجوبون الشوارع فى العاصمة ، ويقوم اليهود بنشاطات أخرى
مختلفة فى مجالات كثيرة ، ومن الأمور التى يثير اليهود بين المعلمين قضية فلسطين
ويقولون ان القضية الفلسطينية هى قضية سياسية تخص اليهود وحدهم
والحرب ، لا اليهود والمسلمين وحتى تتمكن القوة اليهودية من التغلغل فى
داخل المسلمين ومن أجل ان تفرق بين المسلمين فألها قد أوجت الى بعض
أذنابها من المسلمين المحليين بتأسيس جمعية يهودية اسلامية تتولى مسألة
الإشراف على رفع المستوى الثقافى بين المسلمين وتقديم المساعدات المالية لطلاب
المسلمين الذين يعجز أهلهم عن دفع مرتبات المعلمين فى المدارس وفى تقرير
حول الدعوة الاسلامية والدعوات الهدامة جاءه :
يلى :

" ورغم ان الجالية اليهودية تعتبر من اصغر الجاليات في كينيا غير ان نفوذها قد بلغ حدا محيرا الاذهان ، وهذه الجالية تسيطر على كثير من الصحف المحلية وخاصة جريدة (استا افريكان استندر) ولها نشاط تجارى هام وكبير فى جميع المقادير وخاصة فى الشؤون السياحية كما انها تسيطر سيطرة تامة على الثروة السياحية وهى تمثل المصدر الثانى لكينيا بمقد البنى ، وما يجدر الاشارة اليه هو ان اليهودية ليست ديننا عالميا كالاسلام ، ولكن اليهود فى كينيا قد انشئوا لهم فرقة من الافريقيين المحليين وزودوهم بملابس خاصة ، يقومون بضرب الطبول فى الشوارع ويحملون معهم المشعلات اليهودية .

ويدعون الناس الى الدخول الى دين " اسراييل " كما يقولون والدعاية اليهودية فى القارة الافريقية غير خافية على احد ، وقد قام احد رجالهم فى كينيا وهو المستر جيك بلووك ويشرف هذا الرجل على جميع الفنادق المهمة فى كينيا لاستيعاب السواح ، قام هذا الرجل بتقديم مبلغ ٢٠٠٠ شلن لمدرسة روضة الاطفال الاسلامية فى ممباسا بواسطة احد عملائه ، كما ان السفير الاسرائيلى فى بداية السبعينات - قبل حرب رمضان المبارك عام ١٣٩٣ هـ - قام بتقديم مبلغ ٥٠٠٠ شلن للمساعدة لبناء مسجد فى وجير فى الاقليم الشمالى الشرقى من كينيا ، مما جعل أهمل الغيرة من المسلمين فى كينيا بالمطالبة برد المبلغ اليه ، وفى ممباسا وضع اليهود مبلغ ٥٠٠٠٠ (خمسين الف شلن على وجه التحديد) فى يد افراد من عملائهم المسلمين لمساعدة الجالية الاسلامية ، ويقوم هؤلاء العملاء بالتجول فى مختلف المناطق عن الطلبة المسلمين الفقراء ، ثم يطلبون من أهلهم توقيعا يمسرون عن شكرهم وثنائهم الكبير لدولة اسراييل ويدفعون مرتبات لابنائهم

الطلاب مقابل هذا التوقيع ، وتقوم بهذه المهمة الآن جمعية تعرف باسم " جمعية الجالية اليهودية والاسلامية في كينيا " ويشرف عليها بمنسوخ المتسردين على الاسلام ، ويقومون برحلات مختلفة بحضا عن الأموال مسن المصادر اليهودية لهذا القصد الخطير ولا شباغ رغباتهم ^(١) .

ان هذه الأعمال التي يقوم اليهود في كينيا جزء لا يتجزأ عن الكفاح اليهودي في العالم فاليهود بعد ان استقروا في فلسطين وكونوا دولتهم التي تهدد البلاد العربية وتقطع في كل عقد اجزاء واسعة من تراب الارض وتحتل آلاف الاميال وتدمر كل المنشآت التي تربدها أيا كان موقعها ، بعد هذا كله يخوضون معارك كبيرة في القارة الافريقية لأنهم يدركون تمام الادراك ان القارة الافريقية قارة اسلامية وان المسلمين في افريقيا متعاطفون مع اخوانهم في البلاد العربية ولذلك بذل اليهود مجهودات لا يستهان في افريقيا لتحقيق اغراض لا تبعد عن صراع الشرق الاوسط ولذلك يركزون على تشويه سمعة العرب في نفوس الافارقة وتنشئة القوميات في نفوس ابنائها كما يود القوميون العرب الذين يكرهون الاسلام ويقولون ان فلسطين قضية عربية لا دخل لها بالاسلام والفريب ان اليهود في كينيا يجندون الافارقة ليعملوا أنهم من اليهود مع ان هذا الأمر يظلف عادة اليهود التي اشتهروا بها حيث أنهم لا يسمحون للآخرين دخول اليهودية ، ويسدوأنهم يريدون تكوين هذه الفرق للحصول على ارضية ينطلقون منها ، لان ايجاد نسبة مامن الافارقة الذين ينتسبون لهذه الديانة علانية سيمكن اليهود من التخلخل في مجتمع كينيا بعد مسرور الأيام .

وفي الختام : ان الدعوة الاسلامية في كينيا تفتقر الى التنظيم والتعاون بين المسلمين لما تفتقر الى الشعور القوي بخطورة الموقف الذي تمر

(١) المسلمون في كينيا - أعدته جمعية الشبان المسلمين في كينيا ص ٦ .

به الدعوة والصعوبات التي تواجهها من قبل اعدائها والمراقيل التي تقف أمامها ليتمكن المسلمون من صد هذه التيارات والهجمات العاتية •
 وسماع صوت المسلمين لبقية المسلمين بالطرق المتاحة لهم ضرورة لأن المعركة غير متكافئة على الاطلاق ، فالمبشرون قادمون من شتى بقاع أوروبا وأمريكا مدعين تدعيما قويا من قبل الدول والهيئات الغربية ويجب أن ندرك جميعا أن هؤلاء المبشرين لم ينتصروا بسبب عقيدتهم ومبادئهم ولكنهم حققوا ما حققوا بسبب الأموال الطائلة التي يستخدمونها في شتى المجالات التعليمية والثقافية والصحية والاقتصادية وغير ذلك ، لأن الذى لا يجد لقمة الميش اليومية لا يرفض تناولها من أيدي المبشرين ، والمريض الذى لا يحصل على الدواء المطلوب الا من المبشرين لا بد وأن يحضر مستشفياتهم وعياداتهم ، وهكذا فان التبشير يأتي عن طريق الخدمات اللازمة للمجتمع بينما الدعوة عاجزة عن تقديم أى عون للمحتاجين بل الدعوة كثيرا ما يجزون عن اعالة أسرهم ، والجهود القليلة جهود فردية يقوم بها الأهالى وبعض المنظمات الاسلامية ولا تقارن مع جهود المبشرين وإمكاناتهم المادية الضخمة والمسلمون جميعا مدعون بتقديم المون لسلمى كينيا • والله المستعان وبالله التوفيق •



الفصل الثالث

((أوضاع المسلمين في فلانيسيا))

=====

•• ((أوضاع المسلمين في تانزانيا)) ••

مرت منطقة شرقي أفريقيا صراط طويلا بين الاسلام والدول النصرانية
فمنذ الهجرات المتتابعة من الجزيرة العربية الى ساحل شرقي افريقيا في القرون
الاولى للدعوة الاسلامية ، وانتشار الاسلام في طول الساحل الايتري من
البحر الاحمر الى ساحل تنزانيا من المحيط الهندي منذ ذلك التاريخ شهد
هذا الساحل صراط ميرا ، ففي عام ١٥٠٠ الميلادي دخل البرتغاليون جزيرة
زنجبار واستمروا في حكمهم الى عام ١٧١٥م حين نهض سعيد بن سلطان امام
مسقط وعمان فاخرج البرتغاليين من زنجبار ومبعا ، وساحل اثريقيا الشرقي
واردهم من تلك الاصقاع ^(١) .

هكذا بدأ الصراع ولكنهم واجهوا مقاومة جملتهم لايتجاوزون من الساحل
رغم أنهم مكثوا مدة تزيد عن قرنين من الزمان ، واستقر حكم الممانيين وازدهرت
التجارة وانتشر التعليم حتى اصبحت زنجبار من اكبر المدن الاسلامية واكثرها
استقرارا وحيوية ولقد نشدت الدعوة الاسلامية بين القبائل الوثنية الساكنة في
الاراضي المجاورة للساحل حيث نجحت الدعوة وكسبت شعوبا افريقية تحولت بعد
ذلك الى جزء اصيل من الشعوب الاسلامية حتى توغلت الدعوة في عمق الاراضي
من المنطقة المجاورة للمحيط .

وعلى مر الايام تغيرت الموازين ، واصاب الممانيين حكام شرقي افريقيا
بعد البرتغال ضعف شديد وهبط مركزهم هبوطا شديدا ، ولم يكن الضعف
قد اصاب الممانيين وحدهم وانما كان هذا ضعفا عاما اصاب الامة الاسلامية
بصورة كاملة وبرزت أوروبا كأكبر قوة في الارض ، وبدأ نفوذها يشتد ويبدأ

(١) الدكتور/ عبدالرحمن زكي - المسلمون في عالم اليوم ١ / ١٧٠

وبدا التافريين دولها في اقتسام العالم بأسره .

وفي أواخر القرن الثامن عشر بدأت علاقة بين الدولة العمانية والحكومة
الانجليزية والتي كان نفوذها آنذاك يقوى وتشتد طموحاتها الاستعمارية تجاه
الشعوب في آسيا وأفريقيا ، وكانت هذه العلاقة بواسطة شركة الهند الشرقية
الانجليزية والتي كانت يد الاستعمار الانجليزي لضرب الشعوب واستغلال خيراتها
ونهب الثروات وتجويج الشعوب وبواسطتها ملك شعوبا بأكملها وأذل أخرى وكانت
هذه العلاقة بمثابة معاهدة استعمارية وبداية غير سارة لمنطقة الشرق الأفريقي
لأنها جرتها في نهاية المطاف الى السيطرة الانجليزية في عمان وشرق أفريقيا
" فأول معاهدة بين عمان والانجليز هي التي عقدها السيد سلمان بن الامام
أحمد والد السيد سميد مع الشركة الهندية الشرقية الانجليزية في سنة
١٧٩٨ وغرضها - في الظاهر - التعاضد ضد المقاصد الفرنسية في الخليج
الفارسي " (١)

وما ان شرق أفريقيا كانت في يد العمانيين آنذاك فهي لا بد أن
تتأثر بكل معاهدة تدخل عمان مع أية دولة أجنبية . لأنها كانت جزء من
حكومة عمان .

وعلى مر الايام ازداد نفوذ الدول الاستعمارية على منطقة الشرق
الأفريقي كبقية العالم الاساسي حيث رضخت الشعوب لنفسها حقوقا على
الشعوب الاخرى وامتيازات لا أساس لها وبموجب هذا الامر وقعت امريكا
أول معاهدة مع العمانيين وكانت فاتحة جميع المعاهدات الاوربية ، وكانت

(١) سميد بن علي المغيري - جبهة الاخبار في تاريخ زنجبار : ١٦٢ /

طبع عام ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٦ م .

هذه المعاهدة سنة ١٨٧٩م ، ووقعت البرتغال معاهدة نفس العام ووقعت
 ألمانيا معاهدة مع الممانيين سنة ١٨٨٥ ، ووقعت النمسا سنة ١٨٨٧ م .
 ووقعت روسيا معاهدتها سنة ١٨٩٦م وهذه المعاهدات لا تحسب
 على بنود رسمية غير انها تضمن لرعايا تلك الدول التي أمضت هذه المعاهدات
 الحقوق التجارية والسكن في زنجبار بلا مانع ولا رادع وتشمل أيضا اغفـاء
 الاوروبيين من الرسوم " (١)

ورغم أن هذه المعاهدات ركزت على جوانب مالية وأخرى لرعاية أفراد
 الدول الأجنبية الا انها لم تكن خالية من التبشير النصراني ونشر الثقافة
 الأوروبية وانها كانت تمهيدا لفوز اوسع نطاقا في مختلف شتى العلوم والمعادن
 بواسطة القوة العسكرية التي لجأ اليها المستعمرون في آخر الامر واحتلوا بها
 أغلب الدول الاسلامية وغيرها من الدول الاخرى .

واذا نظرنا الى هذه المعاهدات وما تحويه ندرك أنها تعنى السيطرة
 الجزئية لزنجبار والمناطق التابعة لها ثم انها ثبتت للدول الأوروبية والامريكية
 تدخلا سافرا ومكشوفاً للشئون الداخلية لزنجبار حيث ان حكومة زنجبار آنذاك
 لم تكن قادرة على منع الرعايا الاوروبيين مما يقومون به بموجب المعاهدات وهذا
 الامر هو الذي أدى الى السيطرة الانجليزية لجزيرة زنجبار والمناطق التابعة
 لها " وبعد أن توفي السيد برغسن عام ١٨٨٨ م ، خلفه أخوه السيد على
 ابن سعيد وفي أيامه اعلنت الحكومة الانجليزية الحماية على زنجبار ومبـدا
 ١٨٩٠/١١/١ م ، وعينت سير لويد مايشور كبير الوزراء " وزير المالية " (٢)

-
- (١) سعيد بن على المغيرى - جبهة الاخبار في تاريخ زنجبار من ١٦٤ .
 طبع عام ١٣٩٩ هـ .
 (٢) الدكتور / عبدالرحمن زكى ، المسلمون في عالم اليوم ، ٢٨/١ ، ط ١ .
 عام ١٩٥٨ م .

وبعد أن أعلنت بريطانيا حمايتها لهذه الجزر انتقلت السلطة الفعلية لهذه المنطقة إلى أيدي البريطانيين في جميع الجوانب سواء الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية لان اعلانا كهذا يعنى ان لبريطانيا حق الدفاع عن تلك الجزر اذا ما تعرضت للاخطار الخارجية ويعنى أيضا انها هي المسئولة في تصريف شئون البلاد بصورة شبه كاملة .

وبهذا يعتبر السيد برغمن آخر سلاطين زنجبار اسما ومضمونا حيث اشتهر في خدمته لبعض الجوانب في الدعوة الاسلامية ومن أعماله الخيرية (ان جعل مركبين من مراكبه الدخانية تحملان الحجاج الى بيت الله الحرام من جميع انحاء مملكته حال كونهم محمولين من جميع المصاريف كلها فهي على نفقته ذهابا وايابا) (١)

وبهذا لم تعد زنجبار دولة مستقلة ذات سيادة بل تحولت الى السيطرة الانجليزية والتي أدت الى انتشار النصرانية ومفاهيم الحضارة الغربية فسي شرق افريقيا .

• • • ❦ • • •

- ((التبشير في قرايتها)) -

عندما يسمع المرء كلمة التبشير التي تمنى بالدعوة الى النصرانية فإنه لا بد أن يتصور أن التبشير جزء لا يتجزأ عن الاستثمار بل يكون أحياناً أقوى أدوات الاستثمار وأشدّه فتكاً حيث يظهر المبشرون لمن يتعاملون معهم الرحمة والحنان والانسانية ويستغلون حاجيات الانسان ويستفيدون من مشاكله في أوقات الضعف والعوز فينخدع كثير من السذج او ينقادون لهم تحت ضغط الظروف القاسية والحاجة الملحة فيؤمن البعض بصدقهم واخلصهم في معاملاتهم وخدماتهم لذلك لا يمكن أن ينجح التبشير وينتشر في المجتمعات الاسلامية الا بمساعدة الحكومات الاستثمارية وما شابهها ، فهنا الفرق بين الدعوة الاسلامية والدعوات الاخرى مثل النصرانية فالدعوة الاسلامية انتشرت في أغلب البلاد بمجهودات فردية بسيطة رغم انها اعتمدت البهتان مع السيف عند الضرورة في الصدر الا ان عندما وقفت بعض القوى امام الدعوة ولم تسمح لصوت الحق أن يشق طريقه الى قلوب الافراد والامم .

اما الدعوة النصرانية فانها اعتمدت على قوة السلاح في اغلب الاحيان وفي قوة المال حيث تحشد طاقات العائلة ومنافع مادية لجلب الانصار ويدرك النصراني أن دعوتهم بدون هذه لا يمكن أن تصل الى الشعوب وتجد معتققيهم جدداً ، كما يصرح أحدهم (يقول الكونت دي كاستري ان الاسلام لم يكن له دعاة مخصوصون يقومون بالدعوة اليه وتعليم مبادئه كما في المسيحية ، ولو أنه كان للاسلام أناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب في انتشاره السريع ، فقد شاهدنا الملك شارلمان ليصحب معه على الدوام في حروبه ركبا من القسس والرهبان ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بعد أن يكون هو قد باشر فتح المدن والاقاليم بجيوشه التي كان يصلح بها الامم حرباً لاهوادة فيها ، ولكننا لانعلم للاسلام

مجما دينيا ولا رسلا وأخبارا وراء الجيوش فلم يكره عليه أحد بالسيف ولا
باللسان (١)

وهذه سمة بارزة للدعوة النصرانية المحرفة حيث انحصرت اهدافها
ومراميها في حرب الاسلام وابادة المسلمين بشتى الوسائل مرة بالحروب
المقدسة ومرة بالاستعمار ، ومرة باغاثة اللاجئين • واختصار فانها تخدم
الانظمة السياسية وأهواء الحكام حيث اصبحت تتغير بتغير الحكام والقوانين
الوضعية وبهذه الروح الفاسدة والاهداف البعيدة عن التدين الحقيقي
والخدمة المتفانية للدول الاستعمارية دخلت النصرانية في افريقيا بشكل
عام وجاءت الى شرقى افريقيا بشكل خاص ولا تختلف الانشطة النصرانية فى
مضامينها وانما الاختلاف يأتى من الاساليب المتبعة فى الهيئات المختلفة
ويرتبط مدى قوة التمسك والفهم الدينى فى المناطق التى تعمل فيها الهيئات
التبشيرية كما يرتبط فى الظروف المائدة من حروب وكوارث طبيعية ومجاعة •
فالمناطق التى انتشر فيها الاسلام بقوة وتعمق فيها وتسود فيها ظروف عادية
من الاقتصاد والثقافة • من الصعب ان تحقق النصرانية شيئا يذكر وربما تفشل
فشلا ذريعا • أما المناطق التى يوجد فيها الوثنيون أو أقلية اسلامية أو أن فهم
الاسلام فيها قاصر جدا تسود فيها ظروف قاسية • فالنصرانية تنتشر وتبذل
مجهودات ضخمة لنيل اهدافها •

ان جزيرة زنجبار وبما تشكلان حكومة محلية لها اتحاد فيدرالى مع
تانكيا وهذه الدولة مسلمة وتبلغ النسبة المئوية اكثر من ٩٥ % والنسبة الباقية
تنقسم الى ديانات أخرى مثل النصرانية والهندوكية والسيخ وما شابه ذلك
فالنصرانية غير موجودة كدين شمسى ولكنها جاءت مع الحكومة البريطانية فى

(١) المسلمون فى عالم اليوم ١ ص ١ • دكتور عبدالرحمن زكى •

القرن الماضى ولكنها لم تتجاوز على الشكليات والمظاهر الخارجية كثيرا .
 حاول الانجليز أن يكسب اتباعا فى زنجبار ولكنه فشل فى اخراج المسلمين
 عن دينهم سوى بعض الافراد الذين لا تأثير لهم فى المجتمع ، ومد ذلك
 عدوا الى بناء الكنائس وحتى الان يوجد ما يزيد عن عشرة كنائس يقع بعضها
 فى وسط العاصمة وعندما زرت بعض هذه الكنائس وتجولت فيها لم أجد أثرا
 للمباداة وبعضها مقبول بصورة شبه دائمة وعندما سألت أحد الشيوخ الذى عاصر
 الانجليز عن شئون هذه الكنائس ، قال لى : انه لا يوجد مبرر حقيقى لبناء كل
 هذا المدد ، ولكن المبرر هو تشجيع أفراد النصارى والاطهار لهم أن عدد
 النصارى كثير فى هذا البلد .

وحتى يظهروا للعالم الخارجى أن جالية نصرانية كبيرة تمسخر فى زنجبار ، وهذه
 الفكرة تمسخر عن نواياهم الخبيثة . وما زال بناء الكنائس مستمرا رغم انها مهجورة
 وخرابة من الناحية الحقيقية وانما عندهم اهداف بعيدة وطموحات يرجون نيلها
 يوما من الايام .

وفضلا عن ذلك أن الهيئات النصرانية يرمسون حتى الكنائس الخرابية
 من جديد ليكون مظهر الكنائس فخما وعظيما لانهم يطولون جلب الناس بواسطة
 تلك المظاهر .

ثم هناك أساليب غير بناء الكنائس وتربيتها :

١ - هناك هجرة مقصودة ومخلطة من قبل الحكومة الاتحادية الى زنجبار
 وهذا المخطط هو ارسال مجموعات من الموظفين النصرانيين حتى يصبح أغلب
 الموظفين من العناصر النصرانية وهذه ظاهرة مكشوفة هناك ، وهى خطر حقيقى
 على اسلام أهل الجزيرة وهو خطر من الناحية الاقتصادية حيث ان الجزيرة
 تعتمد على الوظائف الهامة والمراكز الحساسة فى اقتصادها وهو تفتيس

للادوية والالبسة حيث تأثر بعض الفقراء الذين لا يجدون من يساعدهم على حاجيات الحياة ومؤوناتها ، لان المال له دور خطير في نشر المذاهب ولذلك فرض الاسلام قسما من زكاة الاموال للفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم وغير ذلك من ذوى الحاجات الضرورية (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والفارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) (١)

فرض الله سبحانه وتعالى قسما من الصدقات الواجبة على الاموال لسذوى الحاجات الذين ليس لهم اموال تكفى مؤونتهم وتسد عوزهم وفقوهم حتى لا ينقسم المجتمع الى طبقات يسود الحقد والحسد فيما بينهما وتعم الكراهية بين افرادها لان دفع المال الى الفقراء يخمد جذوة نار الحقد في نفوسهم وتتقلب الكراهية الى المحبة ، والجفوة الى المواساة والمواصلة فبذلك يصبح المجتمع هادئا مطمئا وتظهر فيه قوة التماسك والتراحم ، وهذا معنى الاية الكريمة

(خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) (٢)

وعندما فقد المسلمون هذه الصفة المباركة التى تزكى النفوس والتى فسرها الحديث (صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد الى فقرائهم) (٣)

عندما فقدوا هذا التوجيه الربانى أصبح الفقراء عرضة للمجاعة المدمرة وبالتالى يقومون فى ايدى أعداء الاسلام الذين يتربصون بهم الدوائر فيرتد كثير منهم عن دينهم بواسطة الخدمات التى يجدونها من الهيئات النصرانية المنتشرة فى كل البلاد الاسلامية لان هذه الهيئات التبشيرية تبدى للفقراء عذفا ورحمة لم يألوها من قبل اخوانهم المسلمين وهذه هى الدائمة الكبرى

(١) سورة التوبة ، آية : ٦٠ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ١٠٣ .

(٣)

اجتماعى حيث ترتب منه زواج غير شرعى لان بعض المسلمات تزوجن رجالا من

الموظفين النصارى لمجرد ضغوط من الظروف الاقتصادية .

٢- والشئ الثانى هو ارسال المرتدين من تانكانكا وهذا الامر يشكل عنصرا

هاما فى نشر الدعوة النصرانية هناك ، لان النصارى يجمعون مثل هو لاه المرتدين
دليلا وحجة فسى ان النصرانية حق لان هـ و لاه
المرتدين خرجوا من الاسلام عندما علموا انه غير صحيح ، وفعلا انهم يكررون

مثل هذه الاقوال وغيرها لاقناع الجهلاء من المسلمين الذين لا يعرفون عن دينهم

سوى الاسماء واللبسة التقليدية لانهم لا يستطيعون الادراك سوى المظاهر

الجوفاء .

ثم هناك أنشطة أخرى مثل الكتب ، فالنصارى يوفرون الكتب النصرانية

المكتوبة باللغات المحلية واللغات الاجنبية حتى يجد كل قارئ ما يتناسب معه

وما يتلاءم فى لغته وفى مستواه العلمى ، لذلك كونوا مكتبة ضخمة تجمع الكتب

المسيحية ويسمى هذا البيت مجمع الكتب المسيحية ، وكل من يعرف خط

الساحلية فانه يجد الانجيل بلغته الساحلية وبوفرة هائلة ، وهذا الامر

يجعل البعض يقرأون الانجيل ويفهمون معانيه قبل ان يعرفوا القرآن

وتفسيره لانهم لا يعرفون العربية ولا توجد بسهولة وسر ترجمة القرآن بلغته

الساحلية او الانجليزية لان الكتاب الاسلامى باى لغة يعتبر نادرا فى تلك

الاصقاع ، وندرة الكتاب الاسلامى عامل مشجع فى انتشار النصرانية بشكل او

بآخر ، لانه بسبب جهل المسلمين عن دينهم وبالتالى يعطى أعداء

الاسلام فرصة نادرة لان الجوا أصبح خاليا لهم من الناحية الثقافية على الاقل

وخلاصة القول ان التبشير لم يحقق اغراضه النهائية المتمثلة فى التغيير الاجتماعى

الجذرى واعتناق الناس بالنصرانية ولكنهم حققوا بعض الانتصارات التى من

اهمها بناء الكنائس الفخمة واغراء الفقراء بالوسائل المادية مثل توزيع الهدايا

المالية فى يوم الاحد والعيد المسيحى برام السنة الميلادية وايجاد مراكز

حيث انعدمت الرحمة بين المسلمين .

ورغم ان الزنبارى ليس لديهم رحمة حقيقية الا أنهم يتظاهرون لدى المحتاجين من المسلمين والوثنيين ليكتسبواهم عند الحاجة لانهم جزء من الحكومات المستعمرة لان أى فرد تكسبه الهيئات التبشيرية سينتقل فجأة الى مويد للدول المستعمرة لذلك عمد المستعمرون لنشر النصرانية بصورة مباشرة فى جزيرة زنجبار كما نشروا الملمانية وجميع الافكار الهدامة كما عمدوا احتكار البضائع والحياة التجارية وتفضيل جنسهم عن المواطنين فى البلد .

(ولقد فضل المستعمرون المواطنين الاوروبيين على غيرهم ويقومون بالاحتكار ومنها رواج مخترعات تلك الدولة المستعمرة من حديد أو ثياب أو فخار أو خشب وغير ذلك ، ومنها نشر الدين المسيحى بواسطة المبشرين والبشرات ، وان الرحمة التى عملتها هذه الجماعات والجمعيات بواسطة المدارس والمستشفيات والحنان والرأفة التى تظاهر رجال ونساء لهذا العمل تحصلت على نجاح كامل بين أم الزنوج فصاروا يدخلون فى النصرانية افواجا) . (١)

وهناك مشكلة خطيرة اسهمت كثيرا فى نجاح النصرانية فى البر الافريقيى وفى سواحل افريقيا ، وهذه المشكلة هى " تجارة الرقيق " ان تجارة الرقيق كانت رائجة فى زنجبار قبل هذا القرن كما كانت رائجة فى أجزاء كثيرة من افريقيا ولكن الفرقى كبير حيث ان الذين قاموا فى تجارة الرقيق فى زنجبار وسواحل شرقى افريقيا كانوا من المسلمين وبحماية دولة تسمى نفسها دولة اسلامية وبهذه الحرفة الدينية المحرمة فى الاسلام تلطخت سمعة المسلمين قاطبة فى اعين الافارقة واصابت الدعوة الاسلامية وانتشارها فى مقتلها وكانت بمثابة كارثة

(١) سميد بن على المغيرى ، جبهة الاخبار فى تاريخ زنجبار ، ص ٢٩٣

دمرت الكيان الاسلامى من الاساس لان الاسلام لم ينتشر فى شرقى افريقيا بواسطة القوة العسكرية ولم ينشر بسياسة دولة ذات نفوذ وانما انتشر بواسطة دعوة فردية لامساندة لها من الدول الاسلامية آنذاك ، ولم يمتنع أهل ذلك البلاد الاسلام بواسطة المساعدات المادية أو بأية اغراءات أخرى ، ولكنهم أسلموا وأختاروا الاسلام لاجل تلك الاخلاق المثالية والامانة الفائقة والمعاملة الانسانية التى وجدوها من التجار المسلمين ومن أفراد الدعاة الذين هاجروا اليهم بسبب أو بآخر ، وتلك الصفات الاسلامية هى التى فتحت قلوب الوثنيين بدون مجهودات جبارة وتحولت القارة الافريقية الى قارة اسلامية ولكن مع الاسف كل ذلك النجاح والسمة الحسنة التى كسبها الدعاة المخلصون تأكلت اليوم وتبخرت عبر السليبات المتراكمة والتى استمرت قرنا بحد قرن وان كان الرق أسوأ من غيره بكثير لانه جريمة كبيرة ارتكبت فى حق الانسانية بغض النظر عن الاسلام الذى حرم تلك القملة الشنيمة .

ثم ان الاوروبيين الذين قاموا بتجارة الرقيق بصورة لم يسبق لها مثيل حتى بلغ عدد الذين كان اصلهم من افريقيا الى عشرين مليوناً على الاقل ، بذلوا مجهوداً دعائياً ضخماً يصور العرب أنهم وحدهم هم الذين قاموا بتجارة الرقيق وانهم انقذوا افريقيا من ويلات الرق الذى قامت به العرب ، واذا زرت الان متاحف زنجبار فأول ما تراه هو صورة رجال من العرب تملو عليهم عمامة ضخمة والمسبحة فى ايديهم واللحية الطويلة ظاهرة على ذقونهم وأمامهم حشد متراكم من المبيد الذين يموتون لاجل الزحمة وقلة الغذاء وسوء المأوى وهذا المظهر الذى صوره الاوروبيون بأيديهم يشير الاشمئزاز فى نفوس الزائرين فما بالك بالافريقيين الذين عانوا من الرق كثيراً ، ثم ترى فى المتحف المخصص لحفظ التراث صور الانسانية الرائعة التى قام بها البريطانيون ضد المبودية وتجارة

الرقيق والمدالة الفاخرة التي لا تعرف الظلم هذه هي الصورة التي تطبع بالزائر وهناك مقررات مدرسية حتى الان ونظمها البريدانيون تتحدث باستفاضة عن أعمال العرب حول الرق حتى تتوارث الاجيال بكرهية العرب والدين الاسلامي الذي أتى اليهم العرب كما يقولون ، ولقد نجح الاستعمار ان يخفى عن أعين الافارقة وخاصة التلاميذ والدايقة العامة حقيقة الدور الذي قام به الاوروبيون في تجارة الرقيق في القارة الافريقية ، لانك ترى اليوم أن جميع الطلاب في مختلف المراحل يؤمنون أن العرب وحدهم هم الذين تاجروا بالافريقيين لانهم قرأوا ذلك في المقررات المدرسية ، بالاضافة الى ذلك هناك أفلام وأغانى ومسلسلات تلفزيونية تعرض على الناس وكل هذه تفرس كراهية شديدة ضد الاسلام وتحجب الناس الى الاوروبيين المنقذين ثم تقودهم بالتالى الى اعتناق النصرانية دين المستعمر الذي انقذهم من ويلات المبودية حسبما أملى لهم المستعمر ومن هنا ندرك ان تجارة الرقيق وماسيها اللانسانية التي باشرها بعض المحسوبين على أهل الاسلام وما رافق ذلك من حملات التشهير والتضليل التي قام بها المستعمرون ضد الاسلام وأهلها وأشارتهم المريحة أحيانا وتلميحاتهم أحيانا أخرى بأن الدين الاسلامي هو المسئول عن ذلك حيث أباح الرق والمبودية والمداوات بين الافارقة والجنم العربي ، كل هذه الامور المصاحبة بتجارة الرقيق أدت الى قبول عام بالنصرانية لدى الوثيين في شرقى افريقيا وبالتالى ارتداد بعض المسلمين عن دينهم واعتناقهم النصرانية في زنجبار وهم قليلون حتى الان . - التبشير في سانجانيتا -

ان حركة التبشير هنا وهناك متشابهة ولكنها تختلف من حيث الحجم والانتشار ، وما ترى في بلدة او قرية من قرى تانجانيقا الا فيها مركز ضخم يحتوى على كيسة ، ومدرسة ، ومستشفى ، وهذا اقل التقادير حيث أن الكنائس فاقت على المقادير المقولة ومما يثير الدهشة ترى قرية لانحتوى على

أكثر من عشر بيوت نصرانية ومع هذا فيها كنيسة ومدرسة ومستشفى تابعان لها
ولذلك اشارت احصائية لبعض الكنائس أن عدد الكنائس يبلغ ٣٦٠٠ كنيسة
مع أن النصارى لا يتجاوزون عشرين في المائة في أغلب التقديرات وهذا الحجم
لا يتناسب مع حجم عدد الكنائس وخاصة اذا علمنا ان نسبة المسلمين هي خمسة
وسبعون تقريبا ، وأن عدد المساجد بما فيها بعض المساجد التي هي تحت
الانشاء في الوقت الحالى ٥٦٣٨ مسجدا ، وهناك عشرات من الكنائس لا يلقى
فيها أحد لكونها التي فاقت عن عدد النصارى حتى انك عندما تمش هناك
تمتد اعتقادا جازما انك في بلد مسيحي شكلا ومضمونا . وللتبشير نفوذ
قوى في البلاد في جميع المجالات وله أنشطة كثيرة تحمل بصورة مباشرة وأخرى
تمارس نشاطها سرا وبواسطة أجهزة الدولة باختلاف أنواعها .

الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية تعملان بكل جد في نشر
النصرانية في البلد وهما ينسقان نشاطاتها في غالب الاحيان الا أن لكل هيئة
نشاطها في الجهاز التعليمي لما للتعليم من أهمية قصوى في التغيير الاجتماعي
لان هذه الجهات هي التي تغذي جميع الاجهزة الاخرى من الناحية التوجيهية
والتربوية ، ومن جهة التوظيف في جميع الادارات مدنية وعسكرية . فنفس
الاستقلال وحتى الان لم يتغير وزير التعليم في تنزانيا من الناحية الدينية
فالوزير نصراني في جميع التغييرات الوزارية ولم يتقلد هذا المنصب مسلم حتى الان
فهذه ظاهرة فريدة في التغييرات الوزارية حيث ان المناصب الوزارية الاخرى
تنتقل بين المسلمين والنصارى ، ولذلك يشتكى المسلمون من الناحية التعليمية
سواء من ناحية المنح الخارجية او المحلية وساء في المرحلة الجامعية أو ما دون
ذلك من مختلف المراحل فعلى سبيل المثال هناك جامعة واحدة وهي جامعة
دار السلام لا يدخل فيها الا الطلبة المسيحيون تقريبا ، وان نسبة المسلمين
لا تتجاوز عشرة في المائة ١٠% فلقد اخذت الجامعة في العام الدراسي

١٩٨٢ - ١٩٨٣م ما مجموعه ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) طالبا وأن عدد المسلمين في جميع طوائفهم بها فيهم بعض الطوائف الكافرة مثل القاديانية - لانهم فسى عدد المسلمين لدى الحكومة - ٣٠٠ طالب ، واذنا قارنا عدد المسلمين الذي هو الاغلبية بهذا العدد نجد الفرق هائلا بين النسبتين .

أما المدارس الثانوية والاعدادية فهذه المشكلة ظاهرة فيها لان الطلبة يشعرون ضعفا قويا من ناحية مدرسيهم في تصحيح امتحاناتهم وخاصة في المراحل النهائية في الاعدادية والثانوية لان أغلب المدرسين من النصارى وبهذا السبب يتزايد عدد الراسبين بين أبناء المسلمين مما أدى الى تغيير الاسماء الاسلامية لبعض الطلاب الى أسماء نصرانية ، وتلقائيا يتفوق هؤلاء الطلاب الذين غيروا اسماءهم الى النصرانية على غيرهم من المسلمين ، وهذه ظاهرة خطيرة تهدد الاسلام من الناحية التعليمية لان الضغط الذي يودى الى تغيير الاسماء ليمر امره سهلا بل هو خطير للغاية لان في حالات أدى ذلك التغيير الشكلي الى ارتداد حقيقة التي ابتدأ من الدائب وامتدادا الى عائلته التي تتأثر بالدائب لما له من مركز هام فسى نفوسهم .

أما المنح الخارجية فهي محصورة بين المسيحيين في غالب الاحيان والسبب أن نسبة المسلمين الذين ينجحون من المدارس الثانوية بدرجات توفى لهم بدخول الجامعات قليلة جدا وهذا أمر مقصود لدى ادارة التعليم هناك ، كما تعتقد الغالبية التي تحدثت معهم في هذا الشأن .

والذي يقوى الجهاز التعليمى لدى النصارى هو الكنائس القوية التي تسند ظهورها الى سند قوى تجد منه كل ما تحتاج اليه من مساعدات مادية ومعنوية . فلدى هذه الكنائس ستة وعشرون مدرسة ثانوية متطورة ومعترفة لدى وزارة التعليم ، وهذه المدارس الثانوية تخرج الآفا من الطلبة النصرانيين ويجدون

الطلاب يتلقون الدراسة النصرانية بصورة عامة فكثير من ابنا الاسلام الذين لا يعرفون عن الاسلام الا شيئا قليلا يتأثرون مما يتلقونه من الديانة النصرانية التي يجدون كتبها بسهولة ووفرة .

وهذا الموضوع مما يجعل التبشير يتسرب الى الطلاب بدون ان يشعروا

أحد ، لان التبشير مادة مقررة في المدارس ومعلنة للجميع .

فهذه عوامل كثيرة تعاونت وتكاثفت واندمج بعضها بعضا حتى كونت حملة قوية لصالح التبشير النصراني لانه وجد جوا شبيه خال لا يزاخمه فيه شيء يذكر اذا قارنا النشاطات الهائلة التبشيرية والجهود المتواضعة النادرة التي يبذلها افراد مسلمون لا يجدون أية مساعدة من اخوانهم في العالم الخارجي فهذه الاغراء المادية جعلت بعض الطلاب المسلمين يغيثون اسماؤهم ثم ارتد جزء من هؤلاء الطلاب لاجل التعليم الذي أصبح محتكرا لدى الائمة معينة . فنورد اسما لبعض هؤلاء الذين خرجوا عن دينهم لاجل تلك المضايقات الرهيبة التي وقمت عليهم واقمتهم بتغيير ديانتهم لاجل معيشتهم ومواصلة تعليمهم :

١- ومن هؤلاء دست نوما ، كان مسلما وارتد عن دينه لاجل مواصلة تعليمه وارتدت امرته تبعا لابنهم ولمع نجمه بعد ذلك حتى عين اول سفير في لندن
٢- بيتر كيمو ارتد لاجل التعليم واصبحت عائلته بعد ذلك نصرانية لاجل ابنهم هذا وأصبح من كبار الموثقين في البلد .

٣- بوب مكاسدني من اسرة مسلمة ابا وأما وخرج عن دينه بنفس السبب المذكور وجوزى بعد ذلك ان عين نائب مدير البناء الاعلى في تنزانيا .

وهؤلاء الاشخاص من بين كثيرين ممن ارتدوا عن دينهم لاجل الضغوط التعليمية ، أما الذين نبروا اسماؤهم ليوهبوا انهم من ابنا الكنيسة وليسلموا من المضايقات وأخذوا حقهم في التعليم والحياة الاجتماعية فلا يعرف لهم

عدد لكثرتهم وهذه المشكلة ناتجة من اسباب :

- ١- عدم وجود مدرسين مسلمين يتولون تدريس الاسلام في المدارس الحكومية ووجود المدرسين النصارى الذين يتولون تدريس النصرانية للطلاب .
- ٢- عدم وجود مدارس اسلامية تخرج طلابا يحملون الاسلام في رؤسهم .
- ٣- عدم وجود تكافؤ الفرص في المنح الدراسية حيث ان ابناء المسلمين الذين يتمكنون الالتحاق في المدارس الثانوية لا يحصلون التعليم الجامعي في غالب الاحيان ^{وهي} المشكلة التي تجعل المسلمين لا يتزودون من التعليم العالي الضروري للحياة الاجتماعية هناك .

— ((الدعوة الاسلامية واهمية المسجد)) —

لاتخفى اهمية الميآجد فى أى مجتمع اسلامى لان المسجد منذ ان أسس فى المدينة المنورة مسجد رسول الله و قبله مسجد قبا منذ ذلك كان المنارة والمشعل وكان مأوى لمختلف الطوائف كان مسكنا للفقراء وطلبة العلم وكان بيتا للضيافة ومكانا للفرمان الذين لا يصرفون عن هذا البلد أو ذلك ، ورغم انه فقد بعض اوصافه ولكن لا يزال محتفظا ببعض سماته البارزة ايضا .

وعندما تزور فى بلد من بلاد شرقى افريقيا تجد ان المسجد يلعب دورا كبيرا فى بث الوعى الاسلامى ومن بين اساليبه الحلقات الدينية فمثلا ترى فى تنزانيا ان الحلقات العلمية مستمرة هناك درس بعد المصرب وآخر بعد المغرب وربما ترى فى بعض المساجد ثلاث علوم وغالب ذلك النطق والعلوم العربية أما دراسة الحديث النبوى الشريف وتفسير القرآن فهى تأتى فى المرتبة الثانية لقللة الطميين فى معرفة دراسة الاصول وهذه عادة منتشرة فى منطقة شرقى افريقيا لان الفقه وخاصة الفقه الشافعى منتشر بصورة كبيرة فى تلك المجتمعات ولعل ذلك السبب هو وصول الحضارة الى المنطقة حيث درسوا الفقه الشافعى اول ما درسوا .

فالمساجد منتشرة فى تنزانيا رغم انها تحتاج الى وسائل فى خدمتها ورعايتها وليس لديها اموال كافية فى اصلاحها والقيام بشئونها فابتداء من الموءذنين والامام وانتهاء الى فرش المساجد كل ذلك يعتمد اعتمادا كليا على الصدقات القليلة التى تأتى من بعض المحسنين وهذه الصدقات لاتأتى للمسجد الا فى مواسم محددة ومناسبات قليلة ولانجد اغلبية المساجد مساعدات خارجية ، ولذلك ليست حالة المسجد هناك مستقرة تماما وينتج ذلك تعدد الائمة والموءذنين لان الحياة الاسرية لاتسمح لبعض المشايخ ان يقوموا فى خدمة المساجد بالطريقة المناسبة ومن الامور التى تلاحظ فى المساجد فى غالب الامر هى عدم وجود

فرش كافية أو أن فرشها قد يمه ورثة وليس هذا غريبا لان المسلمين فقراء لا يستطيعون ان يطوروا مساجد هم ومدارسهم الاسلامية بالشكل المناسب ، وهذه ظاهرة تضر سير الدعوة الاسلامية لان المساجد تنافس الكنائس ولكن الفرق بينهما كبير فالكنيسة حديثة البناء ولديها جميع مرافق الحياة وموثقة بصورة جميلة تجذب الانتظار اليها وخاصة هؤلاء الوثنيون أو عامة المسلمين الذين لا يدركون الحقيقة البحتة الخالية من المظاهر والزخارف .

وهذه المشكلة المتمثلة في فقر المساجد وعدم استطاعة القيام باحتياجاتها المالية وكون مظهرها دون مظهر الكنائس كل هذا اصبح مادة خصبة لى الهيئات التبشيرية هناك فهم يروجون بين الشباب ان دينكم لا يتلائم مع العصر الحديث ولا يستدعي المواكبة مع التطور الحضارى الذى يمشيه العالم فهذه مساجدكم غير مفروشة بفرش مناسب كما أن بناء بعضها لا يصلح لانه قديم ، وهذه الدعايات الرخيصة تؤثر بعض السذج من المسلمين وتؤثر بعض الوثنيين .

ويمكن أن نلاحظ المشكلة من خلال هذه الارقام فى زنجبار فعدد المساجد فيها ٢٩٥ مسجداً يقام فيها الصلاة بين جامع كبير ومسجد صغير والاهالى يخططون لبناء ٦٥ مسجداً يحتاجون اليها ولكن الامكانيات محدودة لى بهم ولقد رأيت فى احدى احياء زنجبار مسجداً كبيراً يضم قسماً للرجال وآخر للنساء استمر بناؤه وتشيدته اكثر من عشر سنوات ولم يتم بناؤه حتى الان رغم انهم وجدوا بعض المساعدات من المملكة العربية السعودية وهذا دليل ان الامكانيات محدودة جداً ونضيف الى ذلك أن هناك عدداً كبيراً من المساجد الخربة تحتاج الى اصلاحات كبيرة ويصل عدد هذه المساجد الخربة ١٠٤ مسجداً واذا سألت ان مسؤل عن المساجد لماذا لم تقوموا باصلاح هذه المساجد ، فالجواب ان الاهالى لا يستطيعون دفع الاموال اللازمة لاعادة بنائها وتصليحها من جديد ولا غرابسة

فى ذلك لان الظروف الاقتصادية محطمة ومتدهورة لدى المسلمين ثم انه لا توجد
 جمعيات حقيقية لرعاية المساجد والاهتمام فى شئونها وكل ما هو موجود لا يقسم
 بشئونها فى حقيقة الامر ولا يتمدى مجرد مظاهر وهمية تخدع الناس فى ظاهرها
 بل بعض هذه المظاهر تحمل لغير صالح المساجد وهذه حقيقة يدركها الناس
 جميعا ولا تخفى على أحد فى البلد والمساجد تقوم فى التوعية بواسطة الدرس الذى
 ذكرته وهناك وسيلة الوعظ والارشاد التى يقوم بها بعض العلماء هناك وللواعظ
 حرية الى حد ما فى توجيهاته وارشاداته وليس عليه قيود مفروضة من قبل الحكومة
 التزائية فيما لا يمسه لان الحكومة اعطت حرية ظاهرة فى نشر الاديان فهى
 لاتمنع اى واحد مادام لا يتدخل فى أمور الدولة وشئونها .
 وهذه ميزة طيبة يستدعيح المسلمون أن ينشروا الدعوة من خلالها ويستفيدوا اعظم
 الاستفادة الان قدرة الواعظ والدارس فى المساجد فى توجيه كلمته على ما يرى
 مناسباً بدون قيود تحدده فكره أو رخصة تجمله لا يستطيع الكلام أو التدريس الا باستطها
 أمر عظيم لا يستهان به لاننا جميعا ندرك أن هناك دولا كثيرة لاتسمح لهكذا
 الامر بل هناك دول عديدة تحرم التدريس الدينى فى المساجد وتقيدها بتقييدات
 لاتسمح لأحد أن يتجرأ على القاء الوعظة على الناس خوفا على نفسه او على
 مصالحه العامة .

واذا أراد المسلمون فى تنزانيا ان ينهضوا ويدوروا أساليب دعوتهم
 وينشروا التوعية الاسلامية فهم قادرون على ذلك مادامت الحكومة متسامحة معهم
 فى التدريس والوعظ وغير ذلك مما يقومون به من أنشطة دينية ، ولكن الشئ
 الخاير هو نقص الوعي الاسلامى لدى الغالبية العظمى من المسلمين وهذا أمر
 خطير لايساعد على الصمود امام التيارات الاخرى والزحف المستمر المنهال عليهم
 من الشرق ، ومن الغرب .

المدارس الاسلامية

فالتعليم الاسلامى بواسطة المدارس الاسلامية والمعاهد الدينية غير منتشر فى تنزانيا بصفة عامة ، فالبلاد كانت منعزلة عن البلدان الاسلامية منذ الاستعمار البريطانى ، ولقد زادت هذه العزلة بعد الانقلاب الدموى الذى حدث فى جزيرة زنجبار والذى ادى الى الاتحاد الفيدرالى بين الجزيرة وتنزانيا فجزيرة زنجبار التى حكمت سواحل شرق افريقيا مدة طويلة بما فيها مباسا ومقديشو ومكا لا توجد فيها مدارس اسلامية متطورة بل هناك معهد اسمه " معهد الاسلام " ولقد فتح هذا المعهد عام ١٩٧٢م ويصل عدد طلابه حاليا ١٥٧ طالبا ، ويمنح المعهد شهادة ثانوية. يتخرج منه سنويا ما يقارب ٤٠ طالبا والتعليم فى المعهد مجانى ، اما المدرسون فيصل عددهم فى الوقت الحالى ١٥ مدرسا ، فالزهر الشريف ارسلت اليه اربعة مدرسين ، وثلاثة من قبل دار الافتاء والبقية محليون ولقد التحق بعض المتخرجين منه بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة والمعهد فى حاجة ماسة الى المساعدة .

والمدينة التى اشتهرت بكثرة علومها وعلمائها وكثرة التأليف فى مختلف الفنون انحصرت نشاطها بمعهد لا يوجد فيه اكثر من ١٥٧ طالبا ، اما مدارس تحفيظ القرآن فهى موجودة فى الجزيرة بكثرة ولله الحمد والمنة فهناك نهضة جديدة فى مدارس تحفيظ القرآن الكريم حيث ان المسلمين شمروا الحاجة الى حفلة القرآن واهميته الكبيرة فى مسيرة الشباب ومستقبلهم ولذلك ارتفع عدد الاطفال الذين يتعلمون من هذه المدارس فقد بلغ ١١٦٧٣ طالبا .

اما طريقة حفلة القرآن فغالبا ما تكون من المصاحف حيث ان المعلم يقرأ من المصحف ويقرأ التلميذ بعده ثم يتركه المدرس ليردد الدرس من المصحف اما طريقة اللوح المنتشرة فى الصومال والحبشة وغيرها من اهل المنطقة فهى نادرة فى الجزيرة ، وهناك أمر لاجلته اثناء زيارتى فى الجزيرة وهو ان مدارس

تحفيظ القرآن الكريم تشمل دروساً أخرى مثل النحو ، والفقه ، والتفسير والحديث ، والسيرة النبوية فهذه المواد تدرّس للطلاب مع القرآن وهي طريقة ممتازة لا توجد في الصومال أو الحبشة أو كينيا إلا بصورة ضيقة جداً ، وعلى كل حال فإن هذه الأنشطة تعتبر جديدة وجديرة بالاهتمام لأن الجزيرة فقدت كيانها وذاتيتها بعد الانقلاب الدموي الذي استهدف العرب بصفة خاصة ، ولذلك يعتبر أهل الجزيرة أنهم وجدوا هذه الأيام جواً من الحرية النسبية بالمقارنة مع السنوات الماضية .

أما في دار السلام فيوجد معهداً لحرمين الذي تتولى دار الافتاء شئونه فيقع في قلب العاصمة فهو معهد متواضع فطلابه دون المائة ، أما المدرسون فهم ما بين ستة وثمانية كلهم من قبل دار الافتاء .

وهناك معهد أزهري أعدادى له نشاطات أكثر من معهد الحرمين وفى مدينة عروشا توجد مدرسة أعدادية يشرف عليها أحد الأزهريين ، وهذا المعهد تقع ضمنه مشروع كبير يستمر بناؤه حتى الآن ويعتبر أكبر مشروع إسلامى فى تنزانيا ويتكون من مسجد ضخم تم بناؤه ، ومساكن للمدرسين والطلبة ومستشفى للمدرسة بالإضافة الى مجموعة دكاكين تابعة للمدرسة وتكلفة هذا المشروع تبلغ ١٦ مليوناً من الشلنات وهى كبيرة اذا لم يوجد مساعدات من الهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى لإكمال المشروع وتشتكى المدرسة من قلة المدرسين المؤهلين لتدريسها .

ورغم قلة المدارس الإسلامية فى تنزانيا فإن وجودها ظاهرة طيبة ويشعر المسلمون بنوع من التحسن فى الأونة الأخيرة مع ان الزائر لا يرى شيئاً يستحق الذكر فى مجال الدعوة الإسلامية سوى سماح الوعظ فى المساجد كما أشرنا اليه سابقاً .

الاشتراكية والاسلام في تانزانيا

الحكومة التانزانية حكومة اشتراكية يحكمها حزب اشتراكي واحد بقيادة
رئيس الجمهورية وهذا الحزب هو الذي يخطط كل شيء سياسة واقتصاد ،
فالاقتصاد الاشتراكي يسرى في البلاد مما جعل التجارة والزراعة ومرافق الحياة
جميعا في يد الحكومة وحدها وتحت الجميات التماونية التابعة للحزب ، ولقد
أمنت الحكومة جميع المصانع والمزارع في أوائل الستينات ، ولذلك أصبحت البلاد
متخلفة عن مثيلاتها هذا من الناحية الاقتصادية ، اما من الناحية الاجتماعية
فالارهاب والتسلط وكل ما هو معروف بالحكومات الاشتراكية من قمع وكبت للحريات
الدينية والسياسية كل هذه الامور سائدة فيها ، والاعتقاد المنتشر في تانزانيا
هو ان الحكومة تستخدم الاشتراكية كغلاء للمصرحة التبشيرية الكبيرة التي تخوضها
ضد المسلمين لان الشباب الاسلامي يشتركون في اعمال الحزب وتنفيذ برامج
الاشتراكية التي لاتتعدي قشور لدى الدولة ، وبينما المسلمون ينهمكون في
بناء الاشتراكية التي تهدم الاسلام في نفوس ابنائهم ، يعمل النصارى بجهد
واجتهاد لاجل بناء نصرانية قوية في تانزانيا ، ومعنى هذا ان الاشتراكية سلاح
خطير في يد النصرانية لتفريق كلمة المسلمين واضعاف عقيدتهم لان رئيس الدولة
من الذين تربوا في يد الكنيسة وهو رجل متعصب للنصرانية وكل خطاه تتبعحت
من هذا المنطلق ، وهو من اكثر الشخصيات المؤثرة في افريقيا ولذلك أيـد
حكومة بيفرا الانفصالية في نيجيريا في الستينات كما خان حوبا ساخنة ضد
عيدى أمين رئيس اوغندا السابق لكونه مسلما حتى وصلت تانزانيا بعد سقوط
عيدى أمين درجة الافلاس وما زالت تمعش في حالة سيئة من جراء غزوها اوغندا
هذه هي الذخيرة السائدة في أوساط المسلمين ، ولذلك لاتسمع من العلماء
والطلاب وعامة الناس أمورا تتعلق بالاشتراكية ومخاطرها أبدل بل كلهم سيكون
دما عندما يحدثوا عن النصرانية وافاعيلها ومواقف الحكومة من التبشير والكنيسة ،

والخوف الموجود هنا ليس من الاشتراكية التي طبقتها الحكومة على البلاد ولكنه من النصرانية التي تسيطر على الأمة وتخطط ببسط نفوذ الكنيسة بين المسلمين وما أشرنا إليه في الصفحات الماضية يؤكد هذه المفاهيم والاطماع الكنسية .

فالمسلمون هناك كثرة كما هو معروف حيث يشكلون اقلية ساحقة من مجموع السكان ولكنهم لا يشكلون من الناحية العملية اقلية لانهم يعيشون في هامش الحياة وليس لهم وزن يذكر في الحياة السياسية والتعليمية وهذا أمر مؤسف وهذه ظاهرة عادية وطبيعية في مسلمي افريقيا حيث ان الاقلية النصرانية تتحكم على مقاليد الامور في معظم البلدان ، وهذا اثر من آثار الاستعمار النصراني فيجب على المسلمين في تانزانيا والحبشة وغيرها أن يكافحوا لاجل البقاء ولاجل الاسلام المستهدف من قبل اعدائه لان اعدائنا لا يمنحون لنا حقوقنا الثابتة الا عندما يرون أننا جادون في تحقيقها ها دفون في اعمالنا مستعدون للبذل والتضحية فالامة الذليلة القائمة بأتفه الحياة وأحقها لا تكسب الاحترام من أعدائها .

واليأمر ليج من دأب المسلمين مهما تفاقت الاحداث وعظم التقصير " قلل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقطعوا من رحمة الله " (١)

(قال ومن يقطع من رحمة ربه الا الضالون) (٢)

فالمسلمون يجب ان يطردوا اليأس من قلوبهم ويفكروا بتحقيق الهمم العالية التي لا تتحقق الا بالمجهودات القوية وعلى قدر الهمة والعزيمة والاخلاص تتحقق النتائج الباهرة كما يقول

المتنبى :

على قدر أهل المزم تأتي المزائم • • • وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها • • • وتصغر فى عين العظيم المظالم •
والله ينصر جنده وييسر أمرهم اذا بذلوا ما فى وسعهم وطاقتهم •

(١) سورة الزمر ، آية : ٢٣

(٢) سورة الحجر آية : ٥٦

(١)
فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَّا فَسَبَّوهُمْ سَبَلْنَا أَنَّهُمْ لَمَّا جَاءُوا لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ عِلْمٌ)

- وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَّا فَسَبَّوهُمْ سَبَلْنَا أَنَّهُمْ لَمَّا جَاءُوا لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ عِلْمٌ)
- وَأَخْرَجُوا دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

••• ❦ •••

((الخامسة))

.....

((الخاتمة))

لقد تطرقت في هذا البحث ارتواضع الى الدعوة الاسلامية في القرنين الافريقي والمنطقة المحيطة به المتأثرة باحداثه وتقلباته عبر التاريخ ، ودار البحث حول السلبيات التي تمتعرض أمام الدعوة وتقف دون نجاحها وتحول بينها وبين تحقيق أهدافها السامية وآمالها النبيلة ، كما دار البحث حول الايجابيات والأمر المشجعة والتي تغرس الحياة في النفوس وتحرك الهم وتحارب اليأس والقنوط فلا يتسرب شيء من هذا الى النفوس ، كما دار البحث حول كثير من الأحداث خلال القرن الرابع عشر المنصرم وتناول اجزاء من التقلبات والتغيرات التي طرأت في هذه المنطقة ومعروف أن القرن الافريقي من المناطق الساخنة دائما والتي لاتعرف الاستقرار والسكون ، لأن الصراع كان قائما منذ وقت طويل بين الاسلام والكفر ، وكما تتجدد الاحداث وتتصاعد الأمور وتتفاقم المشاكل في القرن الافريقي بين المسلمين وغيرهم تتجدد التدخلات الدولية لصالح الكفر وبنسبة مما يقرب الموازين في كثير من الأحيان ، ويوقف المسلمين على موقف الضعف أمام الأمر الواقع .

فالاستعمار الاوربي جاء الى القرن الافريقي كقوة صليبية غازية واحتل أرضها بقوة السلاح ومزق المسلمين شر تمزيق ، وقسمهم الى مناطق صغيرة جدا وصنع الحدود الظالمة بين هذه المناطق ، وبعد التمزيق المهين تعاون مع القوة الصليبية في المنطقة .

وقبل ان يسرحل الاستعمار ويمود الى أوروبا أعطى أغلب المناطق الاسلامية الدول الصليبية القديمة والجديدة منها كهدية قيمة وترك المنطقة هذه الحالة ما أوجد توترا عنيفا وحررها لاتهدأ عبر السنوات بين المسلمين الممزقين وبين القوة النصرانية المدعومة من قبل اخوانهم

النصارى والتي تتلقى الحماية والحراسة بصورة دائمة حتى لا تتعرض للانهايار أمام هجمات المسلمين التي لا تتقطع ، وهذا هو الوضع القائم حاليا ، دول نصرانية متحالفة بزعماء اثيوپيا تحكم معظم المسلمين في هذه المنطقة البائسة وبعد رحيل الاستعمار استقلت جمهورية الصومال وهي أول دولة تحصل اسم الاسلام ، وكانت أملا كبيرا في نفوس المسلمين قاطبة في القرن الافريقي لان هذه الدولة من القبائل الصومالية السلمة تلك القبائل التي نشرت الاسلام في شرق افريقيا عبر القبائل الوثنية المنتشرة في المنطقة ولكن هذه الآمال لم تتحقق ولم تعد الصومال الدولة الاسلامية المرتقبة التي تقوم بالواجبات تجاه المسلمين في المنطقة ، ولكنها سرعان ما تحولت الى دولة علمانية لا تقوم على أساس الاسلام وتحكيم شريعته الفراء ، بل تتطرق مفاهيمها من النظرة العلمانية التي لاعلاقة لها بالدين ولا تهتم بشئون المسلمين ، وكل ما قدمت الصومال الى هذه الشعوب فهو لا يتعدى بعض الخدمات العادية مثل ايواء اللاجئين وتقديم بعض المعونات المادية .

أما أن تفكر تفكيرا اسلاميا تجاههم فهذا أمر لا يحدث في الظروف الحالية ، والمتتبع لاحوال الحكومة الصومالية يدرك تماما ان مواقفها العلنية واتجاهها الذي لاغوض عليه كلها ضد الاسلام ومصلحة المسلمين بل مازالت الحكومة حتى الآن تنفذ خططا وبرامج تهدم الاسلام وتقضى على الحياة الاسلامية وتتحدى مشاعر المسلمين فقانون الأحوال الشخصية ذلك القانون الذي أصبح بلاء على الصومال وعلى بقية المسلمين في المنطقة مازال معمولا بصفة رسمية لدى المحاكم الحكومية وهو القانون الذي قتل لأجله عشرة من أفاضل العلماء في البلاد وسجن الآف آخرون لأجله واختفت عشرات من الشخصيات البارزة ولم يعرف لهم أثر بعد سجنهم ، ولقد أسرنا الى هذا القانون وما ترتب منه ، ومن الأمور الخطيرة التي اقدمت عليها

الصومال في سبيل الاسلام فرض اللاتينية على الصومال ومحو اللغة العربية ومسحها من البلاد حتى وصل الأمر الى تشكيل لجان عديدة لتتقية الجمل العربية والكلمات العربية من اللغة الصومالية امعانا باستئصالها وبالقوة في حربها وهكذا تحولت الدولة التي انتظر المسلمون ظهورها الى دولة تعارب الاسلام وادله وتعلن الاتحاد السافر متحدية مشاعر المسلمين وحقيدتهم ، وهذا الموقف مؤسف جدا وهو ما اضعف المسلمين .

كما أن الامبراطورية النصرانية وتعاونها الدائم مع أوروبا وأمريكا كان له تأثير سلبي لموقف الاسلام ودعائه ، وكل الجهود الاسلامية الستى بذلت لأجل تحرير المسلمين من القبضة النصرانية ، والحصول على بعض الحقوق لم تكفل بالنجاح بأسباب داخلية وخارجية .

ولقد توصل البحث الى ما يلي :

(١) المنطقة تواجه غزوا تبشيريا قويا :

هذا الغزو ليس جديدا في المنطقة بل وجد التبشير النصراني منذ الغزو البرتغالي في بداية القرن السادس عشر الميلادي عندما احتل أجزاء واسعة من سواحل شرق افريقيا بعد هزيمة الامارات الاسلامية في كهر من المناطق الساحلية وانقطع أثره بعد هزيمة البرتغاليين بيد العمانيين ، ولكنه ظهر مرة ثانية بعد الغزو الاستعماري الجديد الذي سيطر على المنطقة برمتها ومازال التبشير يعمل بنشاط وهممة بعد بجلاء الدول الاستعمارية الاوروبية معتمدا على الدول النصرانية الافريقية التي خلفت الاستعمار في علم المسلمين وخاصة في اثيوبيا وكينيا وتنزانيا وهي الدول التي تحيط بمنطقة القرن الافريقي .

ولكن الشيء الجديد في القضية ان التبشير قد ضاعف جهوده فى السنوات الأخيرة وخاصة فى الصومال وكينيا مستفيدا من الظروف العالية التى تجتازها المنطقة بالحروب التى حدثت بين حكومة كينيا وبين الصوماليين الخاضعين لكينيا والتى أستمرت حوالى خمس سنوات متتالية ابتداءً من ١٩٦٣ - ١٩٦٧ م خلفت هذه الحروب المدمرة بؤسا وشقا لسكان المنطقة المتمثل بألاف من الاطفال الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم ، فألاف من العائلات التى فقدت أموالهم لأن الحرب أبادت الحيوانات بصورة بشعة لا تقبل النفوس السلمية حيث حصدت ألاف من الابل والبقر والخم بنيران الجيش الكينى والسبب ان هذا الجيش يعرف ان سكان المنطقة يعتمدون على الثروة الحيوانية بصورة رئيسية ، وبعد انتهاء الحرب وحلول السلام ظهرت جيوش من الاطفال المشردين البائسين الذين فقدوا آباءهم وأقرباءهم ، ونزحوا الى المدن بحثا عن لقمة العيش وفى هذا الجو نشط المبشرون واستغلوا الفرصة الغالية ، ونوا مدارس التبشير وساكناً للفقراء وعيادات طبية ومزارع كبيرة يشتغل فيها هؤلاء الفقراء واليتامى ، وبعد تأسيس هذه المدارس والمؤسسات الاقتصادية تجمعت لديهم أعداد وفيرة من الأطفال والمرضى ، وفوق ذلك يدفعون للأسر الفقيرة قدرا من المال ليأخذوا أولادهم الى مراكز التبشير وهكذا أصبح المبشرون خطر عظيم على ابنا المسلمين فى كينيا ، أما الظروف التى ساعدت التبشير على إنجاز أعماله فى الصومال فهى كثيرة .

أ - النظام الاشتراكي وأثره فى التبشير :

لقد ساعدت الاشتراكية العلمية على التبشير لأنها هيئت ظروفًا معينة وأجبت صالحمة للأفكار الهدامة ، لأن الاشتراكية حطمت الأخلاق الاسلامية والقيم الاسلامية بفضل جهودها المنظمة خلال خمسة عشر عاما

تقريبا ، فالانحلال اخلقى والأفكار الالحادية والفقر والجوع كل هذه الأمور المصاعبة للاشتراكية في الصومال كانت تمهدا لقبول الأمة الافكار والتيارات الهدامة الوافدة مهما اختلفت اشكالها وتباعدت منابهما ، لان المقيدة الاسلامية والتزام الأمة بها ومقتضاها هي السياج الواقى والحصن الذى تحمى به الأمة من اعدائها المهاجمين ، وبعد ان ضعف الالتزام وانحلت الاخلاق وتفسخت جماع التبشير النصرانى واستفاد من هذه الظروف القاسية ونشرا افكاره وأراءه بين الناس .

ب - اللاتينية وأثرها في التبشير :

بعد ان قررت الحكومة الصومالية كتابة الحروف اللاتينية ونشرها بصورة واسعة جدا ، بدأت الحكومة تد - مؤلف كتبا بهذه اللغة الجديدة ونشرتها بين الصوماليين في المدن والبادية على السواء ومن الذين يعيشون في الدول المجاورة ، وبعد ان عرف الشعب كتابة اللهجة الصومالية المكتوبة بالحروف اللاتينية استغلت هيئات التبشير في شرق افريقيا واطبقوا يعلمون الصوماليين كتابة اللاتينية وفتحوا مدارس في كينيا وفي الحبشة لهذا الغرض ، وفي النهاية ترجموا كتاب الانجيل الى اللهجة الصومالية ويوزعونه بين المسلمين الناطقين بالصومالية ، وهكذا أدت اللاتينية دورها الخطر لمساعدة التبشير بين الصوماليين .

ج - الحرب بين اثيوبيا والمسلمين في القرن الافريقى وأثرها في التبشير :

بعد الحرب التي حدثت في القرن الافريقى والتي انتهت لصالح اثيوبيا عام ١٩٧٨ هاجر الى الصومال آلاف من المسلمين بعد ان فقدوا أملاكهم فراراً من الإبادة التي يتعرضون لها من قبل اثيوبيا وحلفائها من الكويين

والروسين وغيرهما ، وبلغ تعدادهم في نهاية المطاف أكثر من مليوني نسمة ونزلوا في معسكرات خاصة تشرف عليها الحكومة الصومالية والأمم المتحدة ، وتأتي المساعدات الغذائية والطبية من الأمم المتحدة واليهود المهاجرين كما أن هيئات كثيرة تقدم المساعدات مثل غوث اللاجئين التابع للأمم المتحدة والصليب الأحمر ، وعشرات من الهيئات التبشيرية يودون واجههم تحت هذه الأسماء وغيرها مما جعل المهاجرين معرضين لعطبات تبشيرية واسعة النطاق غير مأمونة المواقب .

لأن المشيرين عندما رأوا ضعف الحكومة الصومالية ومعاربتها للإسلام عرضوا عليها أمورا خطيرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة ونجحوا في تنفيذ بعضها وأهم وأخطر قضية اتفقوا مع الحكومة الصومالية تلك الصفقة الكبيرة والمربحة التي تم الاتفاق بين الطرفين والتي تقتضى بيع الحكومة الصومالية ما يقارب ٣١ الف طنل لقسيس بلجيكي ، ونرى ان حرب اتفاقية بيع وشراء سمعته وأعتقد أن الجميع مثلى في هذه القضية .

٢ - المد الشيوعي في المنطقة :

فالمدا الشيوعي قد تغلغل في المنطقة منذ استقلال افريقيا الشرقية عن طريق المنح الدراسية وتصدير الاسلحة وتدريب الضباط والجنود لبعض الدول مثل الصومال وتنزانيا ، ولقد اعتقدت الصومال بالذهب الاشتراكي عن طريق الانقلاب العسكري واستفعل شره في الصومال حتى أصبح يهدد الاسلام فيها بل تجاوز الذهب الاشتراكي الى الدول المجاورة وأثر تأثيرا قويا حتى اشتركت الصومال بالانقلاب العسكري الذي أطاح بالامبراطور هيلا سلاسي ، واليوم أصبحت الاشتراكية خطرا عظيما

فى القرن الافريقى ، فبعد ان احترق الصومال نارها ونال من شرهما
 وهلائها ما نال تعولت الامبراطورية النصرانية الى دولة اشتراكية
 تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى .
 ولقد جر هذا التحول كوارث مذهلة الى مسلى الحبشة ، حيث
 ان النظام الاشتراكي الجديد فى الحبشة قد أذاقهم الويلات وأذلهم
 كل الانزال ، فالنصارى هم الحاكون فى العهد الجديد كما كانوا
 سابقا ، ولكن السكين التى تذبح بها المسلمون اليوم تحمل
 اسم الاشتراكية العلمية والقاب التقدم والتطور ، وإشارات العدل والحرية
 والمساوات بدل النصرانية والكنيسة والاقطاع ولكن الحقيقة لم تتغير ،
 والمسلمون هم تلك الطبقة المظلومة التى لاعلاقة لها بما يجرى فى
 بلادهم ، تلك الفئة المنفذة بما خطط لها أسيادها واليوم يتعرضون
 للإبادة الجماعية فى بعض المناطق حيث يقتلون بدون أسباب ، وأحدهم
 يموت لأجل أن قريبا له سافر الى الخارج ، أو ان قريبا له رفض الاشتراك
 للانضمام الى الجيش الشمي ، أو قريبا له فربنفسه الى الدول المجاورة
 وأكبر دليل تلك المذبحة العروسة التى حدثت فى منطقة عروسا ومفادها
 أن طالبا فى دار الحديث المكى سافر الى اثيوبيا فى أجازة عام
 ١٤٠٢ هـ ولما فتشوه فى المطار وجدوا أنه يعمل رسالة الى بلده ولما
 فتحوا الرسالة عرفوا أن المرسل غير مرغوب فيه فى اثيوبيا وسجنوا
 الطالب المسكين وقبضوا على كل من له صلة بالمرسل او الطالب وأعدوا
 عشرين شخصا من بينهم هذا الطالب وهذه يعرفها طلاب اثيوبيا
 فى المملكة العربية السعودية .

والخطر الشيوعي في المنطقة خطر لا يستهان أبدا لأنه خطر
تتبعه حكومات المنطقة وتتغذى بقوة السلاح وكل مالهدها من نفوس
وامكانيات ورغم ان حدته قد خفت نسبيا في الصومال الا ان النظام
مازال يرفع راية الاشتراكية العلمية وان كوادر الحزب الحاكم مازالت تعمل
بكل همّة ونشاط لتنفيذ الاشتراكية العلمية بكل دقة واسرار وهم يناقشون
علنا ضرورة الاشتراكية العلمية ، ويرون أن من الواجب ايجاد اشتراكية
قوية بين الصومال واثيوبيا ترتبط مع الاتحاد السوفيتي بعلاقات الصداقة
والأخوة ، وهذا عين الخطورة التي تسترعى الانتباه واليقظة من قبل
المسلمين كما تسترعى مضاعفة الجهود والاعمال الجادة .

٣ - ضعف الحكومة الصومالية وانحرافها :

لقد أدى انحراف الصومال عن خطها المعتدل سابقا وعلانها
الاشتراكية العلمية وتحمسها الشديد للماركسية الى ضعف شديد للمسلمين
والسبب واضح فالصوماليون منذ قديم الزمان كانوا مشعل الهداية في
القرن الافريقي وكانوا دعاة لهذا الدين حيث أسلمت على أيديهم قبائل
وثنية كثيرة في شرق افريقيا ، فاذا تمسكوا بهذا الدين يترك
هذا أثرا طيبا في نفوس المسلمين الآخرين ، اذا انحرفوا يترك أثرا سيئا
ومثال على ذلك ، بعد اعلان الصومال قانون الأحوال الشخصية
فان حكومة كينيا أعلنت بدورها قانونا جديدا للأحوال الشخصية قانونا
يوحد الأرت بين اهل كينيا قاطبه سواء المسلمون وغير المسلمين وعندما
احتج المسلمون باصدار مثل هذا القانون لأنه يخالف الاسلام فان من
بين ما قالت الحكومة لهم لتقنعهم ، ان الحكومة الصومالية المسلمة قد
طبقت قانونا جديدا للأحوال الشخصية على الشعب المسلم فكيف ترفضون

أنتم هذا القانون ، ورغم ان حكومة كينيا اوقفت القانون فان هذا يعدل مدى التأثير السىء الذى تركت الخطوات الصومالية على مسلمى المنطقة بصفة عامة .

الاقتراحات .

- ١ - على المثقفين فى المنطقة أن يكتبوا أبحاثا علمية حول الدعوة الاسلامية المعاصرة والمشاكل والعقبات التى تعترض سبيلها وتقف أمامها ، لأن منطقة القرن الافريقى وما يجرى فيها من الأحداث والمتغيرات التى تأثر فى سير الدعوة غير معروف لدى أهل المنطقة بالقدر الذى يتطلبه الموقف فى الوقت الحاضر أما العالم الخارجى فهو أكثر جهلا عما يجرى فى تلك المنطقة ، ولذلك أصبحت من الضرورى كتابة أبحاث تبين حقيقة الوضع هناك لتكون هذه الابحاث ركيزة قوية ينطلق منها الدعاة والمهتمون بشئون الدعوة فى المستقبل .
ولتكون رأيا اسلاميا فى العالم .
- ٢ - توثيق الصلات بين الدعاة العاملين فى المنطقة وتقوية الروابط الأخوية فيما بينهم ، وبدون هذه الروابط الاسلامية لن يكون هناك التعاون المطلوب والمثمر .
- ٣ - البعد عن الخلافات الجانبية والمجادلات العقيمة بين القائمين باعمال الدعوة لان ذلك يضع الفرص أمامهم ويضعف موقفهم أمام أعدائهم .
- ٤ - ترغيب طلاب الجامعات فى كتابة بحوث عن الدعوة الاسلامية الحديثة فى بلدانهم ، وهذا أكثر فائدة عن كتابة التاريخ الماضى والاشتغال بأحداثها وتاريخها وتطوراتها المتنوعة ، لأن الانشغال

عن الأحداث الحاضرة والأمور المصرية لا ينهض للمسلمين ولا يخدم لمصالحهم في عصر تتلاطم فيه موجات الأحداث ، فدراسة شئون الدعوة في العصر الحديث ضرورة ، لأن تخطيطنا للمستقبل ونجاح ذلك التخطيط مرعون بمدى معرفتنا للأحداث الجارية واتجاهاتها المختلفة ، أما ونحن نجعل كل الجهل عن الأرضية السني نقف عليها ومواضع الضعف فيها ومالدي اعدائنا من قوة فلا يمكن أن نؤدي الدور الضوط بنا ، وأن نحقق شيئا يخدم للدعوة الاسلامية في عصرنا هذا ، فعلى الجامعة الاسلامية وخاصة قسم الدراسات العليا أن يوجه طلاب شعبة الدعوة الى كتابة تاريخ الدعوة من بلدانهم المختلفة حيث تتوفر لدينا في المستقبل القريب كمية كبيرة من الموضوعات المختلفة المتناولة بشتى جوانب الدعوة الاسلامية .

٥ - طبع هذه الرسائل والبحوث وتوزيعها على الهيئات المعنية بشئون

الدعوة والدعاة ، لتكون هذه الرسائل رصييدا تستفيد منه الهيئات الاسلامية لوضع برامج المستقبل حول الدعوة .

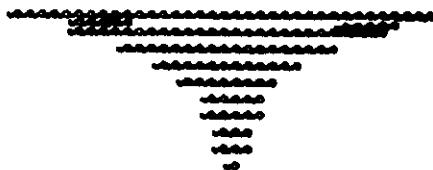
٦ - على الهيئات الاسلامية مثل الجامعات الاسلامية والمؤسسات المهمة

بأوضاع الدعوة أن تواجه مخاطر الشيوعية والصلبية في تلك المنطقة وغيرها بمزيد من الجهود المتواصلة ، ومنطقة القرن الافريقي في حاجة الى دعم المسلمين بشتى الصور وليتمكنوا من الوقوف أمام الغطر الزاعف .

٧ - المسلمون في اثيوبيا يمشون في وضع حرج للغاية لانهم يتعرضون

لمضايقات غاية في السوء والقسوة وليس لهم وزن يذكر في البلاد وهم

مقترحون عن بقية المسلمين بسبب الظروف الداخلية في اشيوسيا والمقصود
في اخفاء اوضاع المسلمين في اشيوسيا عن العالم ، ولذلك يستحق المسلمون
في الحبشة عناية خاصة ، مثل ارسال الوفود الى اشيوسيا للتعرف على اوضاع
المسلمين ، وزيادة المنح الدراسية للطلاب الذين يصلون الى البلدان
الاسلامية ليتسلحوا بالعلوم الشرعية والعلوم العصرية على حد سواء
وهذا الدعم العميد عن الضوضاء هو الذي ينفع المسلمين هناك ويوجد
الترايط اللزم مع المسلمين في العالم الخارجي .
وفي الختام : أرجو من الله ان يجعل هذا البحث في ميزان
الحسنات يوم القيامة ، كما أرجو أن يمكنني من المواصلة والمتابعة في
كتابة بحوث حول الدعوة الاسلامية انه على كل شيء وبالاجابة جدير
وأخسر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .



((الفهرست))

~~~~~

- ( فهرس المراجع ) -

=====

- ١- الله أو الدمار . . . / ط . الثالثة / المختار الاسلامي  
سعد جمعة .
- ٢- الاسلام في الحشمة عبر التاريخ . ط . الاولى / فتحي غيث .
- ٣- الاسلام في الصومال / ط عام ١٣٩٣ هـ / مطابع الالهام التجارية  
الشيخ / عبد الرحمن النجار .
- ٤- الاسلام على مفترق الطرق / ط الثانية / محمد أسعد .
- ٥- الاسلام الجريح في الحشمة / ط عام ١٩٦٤ م / ابو احمد الاثيوبي .
- ٦- التوسع الاستعماري / ط . الاولى / وزارة الشؤون الصومالية .
- ٧- الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر / ط . الرابعة / مؤسسة  
الرسالة / الدكتور / محمد محمد حسين .
- ٨- اسباب النزول / ط عام ١٣٩٥ هـ / دار الكتب العلمية للبنان .  
ابى الحسن الواحدى النيسابورى .
- ٩- الصراع فى حوض البحر الاحمر عبر التاريخ / ط الاولى / عثمان صالح سبى
- ١٠- تاريخ اريتريا / ط . الثالثة / عثمان صالح سبى .
- ١١- الدعوة الى الاسلام / ط . الثالثة / مكتبة النهضة المصرية  
سير توماس .
- ١٢- الصومال / ط . الاولى / مكتبة دار الفتح بدمشق / محمود شاكر .
- ١٣- كشف السدول عن تاريخ الصومال / ط . الاولى / الشيخ احمد عبد الله  
رايواش .
- ١٤- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار / دار الكتاب اللبناني المصري  
بيروت
- ١٥- تاريخ الصومال / ط . الاولى / معلم جامع عمـــــــر .

- ١٦- فتوح الحبشة / ط . عام ١٦٢٤ م / الهيئة المصرية العامة للكتاب  
شهاب الدين ( عرب فقيه )
- ١٧- موسوعة التاريخ الاسلامى / ط . الاولى / مكتبة النهضة المصرية .  
الدكتور / أحمد شلبي .
- ١٨- قادة الحرب يقولون / ط . الثالثة . جلال عالم .
- ١٩- الخارة على العالم الاسلامى / ط . الثالثة / مسيو شانلى .
- ٢٠- فى افريقيا الخضراء / ط . الثانية / دار العلوم - الريـــــــــــــــــــــــــــــــــاض .  
محمد ناصر المبودى .
- ٢١- بيان الحزب الشيوعى / ط . الاولى / دار الداليةة - بيـــــــــــــــــــــــــــــــــروت .  
الحزب الشيوعى .
- ٢٢- قانون الاحوال الشخصية / ط . عام ١٦٢٥ م / وزارة العدل الصومالية
- ٢٣- دراسة الادب العربى فى الصومال / ط عام ١٦٨١ م / علوى على آدم .
- ٢٤- مشكلة القرن الافريقى وقضية الشعب الصومالى / ط . عام ١٦٨١ م . /  
الدكتور / جلال ، والدكتور / ن مهنا .
- ٢٥- خطر التعصب على الصومال / ط . الاولى / السيد احمد موسى  
الازهرى .
- ٢٦- تاريخ الشعوب الاسلامية / ط . الخامسة / كارل بروكلمان .
- ٢٧- السيرة النبوية لابن هشام .
- ٢٨- المد الاسلامى فى افريقيا / ط . الاولى / المختار الاسلامى .  
محمد جلال العباس .
- ٢٩- رحلاتى الى الديار الاسلامية / ط . الاولى ، دار القرآن الكريم /  
محمد محمود صواف .
- ٣٠- حجة القراءات / ط . الثالثة / مؤسسة الرسالة / الامام ابو زرعة .
- ٣١- تقرير خاص أعد به معنى الدعاة .
- ٣٢- المسلمون فى كينيا / جمعية الشبان المسلمين .

- 
- ٣٣- المسلمون في عالم اليوم / ط١ . الاولى / الدكتور / عبد الرحمن زكسى .
- ٣٤- جبهة الاخبار في تاريخ زنجبار / ط١ . عام ١٣٩٩ / سعيد بن عيسى  
المنجوى .
- ٣٥- المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية / ط١ . الثالثة / محمود شاكر .
- ٣٦- التبشير والاستعمار / ط١ . الخامسة / الدكتور / مصطفى خالدى  
دكتور / عمر فروخ .
- ٣٧- قصة الصومال / ط١ عام ١٩٧٢ م . / حمدى الطاهرى .
- ٣٨- الجنس العربى / ط١ . الدابعة المصرية للدابعة والنشر - لبنان  
محمد عزة ، د روضة .
- ٣٩- الروضى الانف / ط١ . عام ١٣٩٨ م دار المعرفة للدابعة والنشر - بيروت  
ابو القاسم عبد الرحمن .
- ٤٠- حاضر العالم الاسلامى / ط١ . الرابعة - دار الفكر للدابعة والنشر  
بيروت / لوشروب ستودارد .
- ٤١- النزاع الصومالى الاثيوبى / ط١ . عام ١٩٧٨ م / على أحمد نوري .
- ٤٢- وثائق الام المتحدة حول اريتريا / ط١ . الاولى / جبهة التحرير الايتيرية .
- ٤٣- حاضر العالم الاسلامى / ط١ . الاولى / محيى الدين القضانسى .
- ٤٤- صحيح مسلم للشرح النووى / الدابعة المصرية .
- ٤٥- صحيح البخارى . . الحسقلانى / مكتبة الرياض الحديثة .
- ٤٦- أبوداود .
- ٤٧- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير / دار الفكر - بيروت / جلال  
الدين السيوطى .
- ٤٨- مجلة المجتمع الكويتية .
- ٤٩- مجلة صوت المسرب
-

( ٣٨٢ )

- ٥٠- مجلة الدعوة السعودية .
  - ٥١- مجلة رابطة العالم الاسلامي .
  - ٥٢- مجلة الاعتصام المصرية .
  - ٥٣- جريدة اخبار اليوم المصرية .
  - ٥٤- اذاعة مقد يشيو .
  - ٥٥- جريدة نجمة الكومر .
-

فهرس الموضوعات  
سس

| الصفحة | الموضوع                                            |
|--------|----------------------------------------------------|
| ٩      | المقدمة                                            |
| ح      | شكر وتقدير                                         |
| ١      | المدخل : دخول الاسلام في القرن الافريقي            |
| ٩      | الباب الاول : عقبات في طريق الدعوة في الصومال      |
| ١٠     | تمهيد :                                            |
| ١٢     | الفصل الاول : آثار الاستعمار في القرن الافريقي     |
| ٢٨     | الآثار المترتبة على التقسيم                        |
| ٤٣     | الفصل الثاني : القبلية وآثارها في المجتمع          |
| ٤٥     | العوامل المساعدة في ايجاد القبلية                  |
| ٤٩     | المصيبة عامل شقاء في المجتمع                       |
| ٥٨     | موقف الاسلام من المصيبة                            |
| ٦٤     | مواقف تستحق الثناء                                 |
| ٦٦     | الفصل الثالث : أثر الانظمة الوطنية في مسيرة الدعوة |
| ٧٣     | مجيء المرحلة الثانية                               |
| ٨١     | كتابة الحروف اللاتينية                             |
| ٩٨     | افتتاح معهد حلبي                                   |
| ١٠٩    | عام المرأة في الصومال                              |
| ١٢٧    | الفصل الرابع : العادات والتقاليد الجاهلية          |
| ١٢٩    | الحسير                                             |
| ١٣٥    | عيد النيروز                                        |

| الصفحة | الموضوع                                                 |
|--------|---------------------------------------------------------|
| ١٣٧    | بناء القبور وتعظيمها                                    |
| ١٤٣    | منع النساء من الميراث                                   |
| ١٤٧    | عدم تعليم البنات                                        |
| ١٥٣    | القباب الثنائي : ركائز الدعوة الاسلامية في الصومال      |
| ١٥٤    | الفصل الأول : دعوة العلماء وجهادهم                      |
| ١٦٣    | الشيخ عبد الرحمن نوري وخدمته للتعليم                    |
| ١٦٧    | الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله ومحاكمته للمفاسد           |
|        | الشيخ محمد عبد الله حسن وجهاده ضد                       |
| ١٧١    | الدول النصرانية                                         |
| ١٩٠    | الشيخ بشير يوسف وجهاده ضد بريطانيا                      |
| ٢٠١    | موقف العلماء من قانون الاسيرة                           |
| ٢٢٧    | الفصل الثاني : رسالة المسجد في الصومال                  |
| ٢٤٠    | الفصل الثالث : مدارس تحفيظ القرآن                       |
| ٢٦١    | الباب الثالث : أحوال المسلمين في الدول المجاورة للصومال |
| ٢٦٢    | تمهيد                                                   |
| ٢٦٣    | نبذة تاريخية عن الحبشة                                  |
| ٢٦٤    | الفصل الأول : أوضاع المسلمين في الحبشة                  |
| ٢٦٧    | الصراع بين النصرانية والاسلام                           |
| ٢٨٣    | نسبة المسلمين في الحبشة                                 |
| ٢٨٨    | موقف الحبشة من الاسلام في الوقت الحاضر                  |
|        | أسباب الفشل للمسلمين                                    |



| الصفحة | الموضوع                                  |
|--------|------------------------------------------|
| ٣١٠    | الفصل الثاني : أوضاع المسلمين في كينيا   |
| ٣١٢    | نسبة المسلمين في كينيا                   |
| ٣١٣    | سير الدعوة الاسلامية في كينيا            |
| ٣١٦    | الجمعيات الاسلامية                       |
| ٣٢٤    | مخاطر التبشير                            |
| ٣٣٦    | نشاط اليهود في كينيا                     |
| ٣٤٠    | الفصل الثالث : أوضاع المسلمين في تنزانيا |
| ٣٤٥    | التبشير في تنزانيا                       |
| ٣٤٦    | التبشير في زنجبار                        |
| ٣٤٦    | الحوامل المساعدة                         |
| ٣٥٢    | التبشير في تانجانيقا                     |
| ٣٥٨    | الدعوة الاسلامية وأهمية المسجد           |
| ٣٦١    | المدارس الاسلامية                        |
| ٣٦٣    | الاشتراكية والاسلام في تنزانيا           |
| ٣٦٦    | الخاتمة                                  |
| ٣٧٨    | الفهارس                                  |
| ٣٧٩    | فهرس المراجع                             |
| ٣٨٣    | فهرس الموضوعات                           |